

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَدَائِعُ وَالنَّهَائِجُ

الجزء الأول

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشرح
قامت بها هيئة باشراف

حنان

مكتبة المعارف

بيروت

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

طبع هذا المجلد نقلاً عن المخطوطة الموجودة في المدرسة الأحمدية
بمدينة حلب، من الجمهورية العربية السورية، بعد أن قارنها جمهورٌ من
المحققين وراجعوها على أمهات الكتب التاريخية وكتب السير الأقدم
منها زمنًا، والتي تم تحقيقها إلى أن غدت معتمدة لدى الدارسين. وبعد
أن حققوا الفاظها على معاجم اللغة.

جميع الحقوق محفوظة

لِلنَّاشِرِ

مكتبة المصنف

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير قرشي النسب دمشقي الدار توفي سنة ٧٧٤ هـ ، كان مقرئاً متقناً وراويَةً للحديث موثقاً ، كما كان مفسراً ومؤرخاً معروفاً . وهذا النفس الموسوعي هو الذي نجده في كتابه الموسوم « البداية والنهاية » . وفيه يؤرخ الامام ابن كثير للدول الاسلامية حتى زمانه . وهو يقسم مصنفه الكبير الى ثلاثة اقسام :

الاول : يورد فيه بدء الخليفة ولمعاً من تواريخ الامم الغابرة حتى يبلغه العرب في الجاهلية ، ونشأة الرسول (ص) ، ثم الوحي وظهور هداية الاسلام حتى الهجرة الى مدينة الرسول .

وهو في هذا القسم يعتمد على القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن تقدمه من كبار المؤرخين كالطبري وابن عمر والواقدي ، وعلى اصحاب السير .

والثاني : يؤرخ فيه للعهد الراشدي فالدولة الأموية ، فالعباسية ، وما تفرع عنها من ممالك ودولات أيام انحطاطها وتدهورها ، والى ما بعد ان قضى عليها المغول حتى وفاته سنة ٧٧٤ هـ .

اما الثالث : فهو ذكر للآخرة ومظاهر قروب الساعة وعلاماتها ووعظ ديني بمخافة الله ، وجعل ذلك في المجلد الاخير فقط .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول الآخر ، الباطن الظاهر ، الذي هو بكل شيء عليم ، الأول فليس قبله شيء ،
الآخر فليس بعده شيء ، الظاهر فليس فوقه شيء الباطن ، فليس دونه شيء ، الأزل القديم الذي لم
يزل موجودا بصفات الكمال ، ولا يزال دائما مستمرا باقيا سرمديا بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال .
يعلم ديب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، وعدد الرمال . وهو العلى الكبير
المتعال ، العلى العظيم الذى خلق كل شيء قديره تقديرا .

ورفع السموات بغير عمد ، وزينها بالكواكب الزاهرات ، وجعل فيها سراجا وقرآ منيرا
وسوى فوقهن سريرا ، شرجا ^(١) عاليا منيفا متسا مقبيا مستديرا . وهو العرش العظيم - له قوائم
عظام ، تحمله الملائكة الكرام ، وتحمله الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ، ولهم زجل بالتقديس
والتعظيم . وكذا أرجاء السموات مشحونة بالملائكة ، ويفد منهم فى كل يوم سبعون ألفا الى البيت
المعمود بالسما الرابعة لا يعودون اليه ، آخر ما عليهم فى تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم .
ووضع الارض للأنام على قيار الماء . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها

في أربعة أيام قبل خلق السماء ، وأثبت فيها من كل زوجين اثنين ، دلالة للالباء من جميع ما يحتاج العباد اليه في شتاتهم وصيغهم ، ولكل ما يحتاجون اليه ويمسكونه من حيوان بهيم *

وبدأ خلق الانسان من طين ، وجعل نسله من سائلة من ماء مهين ، في قرار مكين . فجعله سميعا بصيرا ، بعد ان لم يكن شيئا مذكورا . وشرفه بالعلم والتعليم . خلق يده الكريمة آدم أبا البشر ، وصور جنته ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وخلق منه زوجه حواء أم البشر فأنس بها وحدته ، وأسكنها جنته ، واسبغ عليهما نعمته . ثم أهبطهما الى الارض لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وقسمهم بقدره العظيم ملوكا ورعاة ، وفقراء وأغنياء ، وأحرارا وعبيدا ، وحرار وإماء . وأسكنهم أرجاء الارض ، طولها والعرض ، وجعلهم خلائف فيها يخلف البعض منهم البعض ، الى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم . وسخر لهم الأنهار من سائر الاقطار ، تشق الأقاليم الى الأمصار ، ما بين صغار وكبار ، على مقدار الحاجات والأوطار ، وأنبع لهم العيون والآبار . وأرسل عليهم السحاب بالمطار ، فأثبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار . وآتاهم من كل ما سألوا بلسان حالهم وقالهم : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار » : فسبحان الكريم العظيم الخليم * وكان من أعظم نعمه عليهم . واحسانه اليهم ، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل وأنطقهم ، أن أرسل رسله اليهم ، وأنزل كتبه عليهم : مبينة حلاله وحرامه ، وأخباره وأحكامه ، وتفصيل كل شيء في المبدأ والمعاد الى يوم القيامة *

فالسعيد من قابل الاخيار بالتصديق والنسليم ، والواو امر بالانقياد والنواهي بالتعظيم . ففاز بالنعيم المقيم ، وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والحميم ، والعذاب الاليم *
أحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يملا أرجاء السموات والارضين ، دائما أبدا لا بد من ، ودهر الداهرين ، الى يوم الدين ، في كل ساعة وآن ووقت وحين ، كما ينبغي لجلاله العظيم ، وسلطانه القديم ووجهه الكريم * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ولا ولده ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا نظير ولا وزير له ولا مشير له ، ولا عديد ولا نديد ولا قسم *

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليفه ، المصطفى من خلاصة العرب العرباء من الصميم ، خاتم الانبياء ، وصاحب الحوض الاكبر الزواء ، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وحامل اللواء الذي يبعثه الله المقام المحمود الذي يرغب اليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل ابراهيم صلى الله عليه وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين ، وسلم وشرف وكرم أزكى صلاة وتسليم ، وأعلى تشریف وتكريم . ورضى الله عن جميع أصحابه الغر الكرام ، السادة النجباء الأعلام ، خلاصة العالم بعد الانبياء . ما اختلط الظلام بالضياء ، وأعلن الداعي بالنداء وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم *

﴿أما بعد﴾ فهذا كتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ المخلوقات : من خلق العرش والكرسى والسموات ، والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين ، وكيف خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى مجرى ذلك الى أيام بنى اسرائيل وأيام الجاهلية حتى تنتهى النبوة الى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . فنذكر سيرته كما ينبغي فتشفي الصدور والغليل ، وتريح الداء عن العليل *

ثم نذكر ما بعد ذلك الى زماننا ، ونذكر الفتن والملاحم وأشرط الساعة . ثم البعث والنشور وأهوال القيامة ، ثم صفة ذلك وما فى ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الأمور الهائلة . ثم صفة النار ، ثم صفة الجنان وما فيها من الخيرات الحسان ، وغير ذلك وما يتعلق به ، وما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المنقولة المقبولة عند العلماء وورثة الانبياء ، الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية الحمديدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

ولسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع فى قوله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) . وهو القسم الذى لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه . وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله (ص) ، ما صح قلعه أو حسن وما كان فيه ضعف نبينه . والله المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم العلى العظيم *

فقد قال الله تعالى فى كتابه (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) وقد قص الله على نبيه (ص) خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضين ، وكيف فعل بأوليائهم ، وماذا أحل باعدائهم . وبين ذلك رسول الله (ص) لأمته يانا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل الينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه . من ذلك تلو الآيات الواردة (١) فى ذلك فأخبرنا بما نحتاج اليه من ذلك ، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم فى فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه لكثير من الناس اليه . وقد يستوعب قلعه طائفة من علمائنا ولسنا نحذو حذوهم ولا ننحو نحوهم ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقع فيه الانكار *

فما الحديث الذى رواه البخارى رحمه الله فى صحيحه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عنى ولا تكذبوا على » ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها

عندنا. فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها ، فيجوز روايتها للاعتبار . وهذا هو الذى نستعمله فى كتابنا هذا * فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه استغناء بما عندنا . وما شهد له شرعنا منها بالبطالان . فذاك مردود لا يجوز حكايته ، الا على سبيل الانكار والابطال *

فاذا كان الله ، سبحانه وله الحمد ، قد أغنانا برسولنا محمد ، (ص) عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخط ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير *

فالمحتاج اليه قد بينه لنا رسولنا ، وشرحه وأوضحه . عرفه من عرفه ، وجهله من جهله . كما قال على بن أبى طالب « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن أبغى الهدى فى غيره أضله الله » وقال أبو ذر ، رضى الله عنه : « لقد توفى رسول الله (ص) وما طائر يطير بجناحيه الا أذكرنا منه علما » وقال البخارى فى كتاب بدء الخلق ، وروى عن عيسى بن موسى غنجار عن رقية عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال « سمعت عمر بن الخطاب يقول قام فىنا رسول الله (ص) مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم . وأهل النار منازلهم » حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه » قال أبو مسعود الدمشقى فى اطرافه هكذا قال البخارى ، وأما رواه عيسى غنجار عن أبى حمزة عن رقية ، وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله فى مسنده : حدثنا أبو عاصم ^(١) حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثنا علباء بن أحمر الشكرى : حدثنا أبو زيد الانصارى ، قال قال : صلى بنا رسول الله (ص) « صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فخطبنا الظهر . ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فخطبنا العصر . ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان ، وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا »

افرد باخراجه مسلم فروله فى كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن ابراهيم

الدورق وحجاج بن الشاعر ، جميعا عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد

النيل عن عزرة عن علباء عن أبى زيد عمرو بن أخطب بن

رفاعة الانصارى رضى الله عنه عن النبى (ص) بنحوه



فَضْلُ الْمَلَكِ

قال الله تعالى في كتابه العزيز « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له ، مربوب مدبر ، مكوّن بعد أن لم يكن محدث بعد عدمه . فالعرش الذي هو سقف المخلوقات الى ماتحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وناطق الجميع خلقه ، وملكه وعبيده وتحت قهره وقدرته ، وتحت تصرفه ومشيتته « خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام . ثم استوى على العرش . يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير »

وقد أجمع العلماء قاطبة لا يشك في ذلك مسلم أن الله خلق السموات والأرض ، وما بينهما في ستة أيام كما دل عليه القرآن الكريم . فاختلفوا في هذه الأيام أمي كأيامنا هذه أو كل يوم كآلف سنة مما تعدون ؟ على قولين كما بينا ذلك في التفسير ، وسنعرض لآيراده في موضعه . واختلفوا هل كان قبل خلق السموات والأرض شيء مخلوق قبلهما . فذهب طوائف من المتكلمين الى انه لم يكن قبلهما شيء وأنهما خلقتا من العدم المحض . وقال آخرون بل كان قبل السموات والارض مخلوقات أخر لقوله « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » الآية . وفي حديث عمران ابن حصين كما سيأتي « كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض » وقال الإمام أحمد بن حنبل حديثا بهز حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو يعلى ابن عطاء عن وكيع بن حُدس عن عمه أبي رزين تميم بن عامر العقيلي أنه قال « يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال كان في عماء مافوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء » ورواه عن يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به . وانظروا أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ وباقية سواء وأخرجه الترمذي عن أحمد بن منيع وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن الصباح ثلاثهم عن يزيد بن هرون ، وقال الترمذي حسن . واختلف هؤلاء في أيها خلق أولا ؟ فقال قائلون خلق القلم قبل هذه الاشياء كلها ، وهذا هو اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما قال ابن جرير ، وبعد القلم السحاب الرقيق . واحتجوا بالحديث الذي رواه الامام أحمد ، وأبو داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : قال قال رسول الله (ص) « إن أول ما خلق الله القلم . ثم قال له اكتب ، فخرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » لفظ أحمد . وقال الترمذي حسن صحيح غريب . والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره (أن العرش مخلوق قبل ذلك) وهذا هو الذي رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس كما دل على ذلك الحديث الذي رواه

مسلم في صحيحه . حيث قال : حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب أخبرني
أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجليلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله
(ص) يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، قال
وعرشه على الماء » قالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير . وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق
العرش فثبت تقديم العرش على التلم الذي كتب به المقادير كما ذهب الى ذلك الجماهير . ويحمل حديث
القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين : قال
قال أهل اليمن لرسول الله (ص) « جئناك لتفتقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال كان الله
ولم يكن شيء قبله * وفي رواية معه ، وفي رواية غيره « وكان عرشه على الماء . وكتب في الذكر كل شيء
وخلق السموات والارض » وفي لفظ : ثم خلق السموات والارض . فسأله عن ابتداء خلق السموات
والارض . ولهذا قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فأجابهم عما سألوا فقط . ولهذا لم يخبرهم
بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رزين المتقدم . قال ابن جرير وقال آخرون « بل خلق الله
عز وجل الماء قبل العرش » رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن
مرة عن ابن مسعود وعن نلس من أصحاب رسول الله (ص) : قالوا « ان الله كان
عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء » وحكى ابن جرير عن
محمد بن اسحاق أنه قال « أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة
ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهراً مضيئاً
مبصراً » قال ابن جرير وقد قيل « ان الذي خلق ربنا بعد القلم
الكرسى . ثم خلق بعد الكرسي العرش . ثم خلق بعد
ذلك الهواء والظلمة . ثم خلق الماء فوضع عرشه
على الماء » والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل في خلق العرش والكرسي

فما ورد في صفة خلق العرش والكرسي . قال الله تعالى « رفيع الدرجات ذو العرش » وقال تعالى
« فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » وقال الله « لا إله إلا هو رب العرش
العظيم » وقال « وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد » . وقال تعالى « الرحمن على العرش استوى »
وقل « ثم استوى على العرش » في غير ما آية من القرآن ، وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً »

وقال تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بلق و قيل الحمد لله رب العالمين » وفي الدعاء المروى في الصحيح في دعاء الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش الكريم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا يحيى بن العلاء عن عه شعيب بن خالد حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن عباس بن عبد المطلب قال كنا جلوساً مع رسول الله (ص) بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله (ص) « أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قال قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكشف كل سماء^(١) مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلىه كما بين السماء والأرض . ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلىه كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء » . هذا لفظ الامام أحمد . ورواه أبو داود وابن ماجة والترمذى من حديث سماك باسنادة نحوه . وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه ولفظ أبي داود « وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا لا ندرى » قال « بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وسبعون سنة » والباقي نحوه . وقال أبو داود حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثني ومحمد بن بشار ، وأحمد بن سعيد الرباطي قالوا حدثنا وهب بن جرير . قال أحمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه . قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله (ص) اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاعت العيال^(٢) ونهكت الأموال وهلكت الأنعام . فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك » قال رسول الله (ص) « ويحك أتدرى ما تقول » وسبح رسول الله (ص) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله إن عرشه على سمواته لهكذا » وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليثبط به أطيظ الزحل بالراكب . قال ابن بشار في

(١) قوله: وكشف كل سماء) بالشين المعجمة . والذي في مسند الامام أحمد المطبوع بمصر كيف بالياء التحتية . وفي العيني على البخاري منسوباً الى كتاب العرش لابن أبي شيبة . وكشف كل سماء بالثاء المثناة . وهذا هو الصواب (٢) قوله: وجاعت العيال هكذا في النسخ التي بأيدينا وفي نسخة أبي داود التي بأيدينا وضاعت العيال (محمود الامام)

حديثه « ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته » وساق الحديث . وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عقبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده ، قال أبو داود والحديث بإسناد أحمد بن سعيد وهو الصحيح . وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة منهم عن ابن اسحاق كما قال أحمد أيضاً ، وكان شماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار في نسخة واحدة فيما بلغني . تفرد بإخراجها أبو داود ، وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي جزءاً في الرد على هذا الحديث . سماه (بيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأوطي) واستفرغ وسعه في الطعن على محمد بن اسحاق بن بشار راويه . وذكر كلام الناس فيه ، ولكن قد روى هذا اللفظ من طريق أخرى عن غير محمد بن اسحاق ، فرواه عبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما ، وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي السنة لهما ، والبرزاري مسنده والحافظ الضياء المقدسي في مختارته من طريق أبي اسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال « أتت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال « ان كرسيه وسع السموات والارض وإن له أطيافاً كأطياف الزحل الجديد من ثقله . عبد الله بن خليفة هذا ليس بذلك المشهور . وفي سماعه من عمر نظر . ثم منهم من يرويه موقوفا ومرسلاً ، ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم *

وثبت في صحيح البخاري عن رسول الله (ص) أنه قال « اذا سألت الله الجنة فسلوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن » . يروى وفوقه بالفتح على الظرفية ، وبالضم . قال شيخنا الحافظ المزني وهو أحسن ، أي وأعلاها عرش الرحمن . وقد جاء في بعض الآثار (أن أهل الفردوس يسمعون أطياف العرش وهو تسديحه وتعظيمه) وما ذاك الا تقربهم منه . وفي الصحيح أن رسول الله (ص) قال « لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . وذكر الحافظ بن الحافظ محمد ابن عثمان بن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف « أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة » وذكرنا عند قوله تعالى « تخرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » أنه بعد ما بين العرش الى الأرض السابعة مسيرة خمسين الف سنة واتساعه خمسون الف سنة . وقد ذهب طائفة من أهل الكلام الى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير . وهذا ليس بجيد لانه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل ، وأيضاً فانه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك الى فلك . وأيضاً فلن العرش في اللغة عبارة عن السرير

الذى للملك كما قال تعالى (ولها عرش عظيم) . وليس هو فلـكا ولا تفهم منه العرب ذلك . وانقرآن
 إنما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات .
 قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
 آمنوا) وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم ثمانية ، وفوق ظهورهن العرش ، وقال تعالى (ويحمل
 عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال شهر بن حوشب « حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون
 سبحانك اللهم وبحمديك لك الحمد على حملك بعد علمك » وأربعة يقولون « سبحانك اللهم وبحمديك لك
 الحمد على عفوك بعد قدرتك » فأما الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر
 ابن أبي شيبة ، حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عقبة عن عكرمة عن ابن
 عباس أن رسول الله (ص) ، صدق أمية يعنى ابن أبي الصلت في بيتين من شعره فقال
 رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالْأُخْرَى لِيَثَّ مَرَصِدُ
 فقال رسول الله (ص) ، صدق . فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء مطعم لونها متورد
 تأتي فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبةً والا تجلد

فقال رسول الله (ص) ، « صدق » فانه حديث صحيح الاسناد رجاله ثقات . وهو يقتضى أن
 حملة العرش اليوم أربعة ، فيعارضه حديث الأوعال . اللهم الا أن يقال إن اثبات هؤلاء الأربعة على
 هذه الصفات لا ينفى ما عداهم . والله أعلم . ومن شعر أمية بن أبي الصلت في العرش قوله
 مَجْدُوا اللَّهَ فَهُوَ الْمَجْدُ أَهْلُ رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
 بِالْبَنَاءِ الْعَالِي الَّذِي بِهِرَ النَّاسِ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
 شَرَجًا لَا يَنْصَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ تَرَى حَوْلَهُ الْمَلَائِكُ صُورَا

صور جمع أصور وهو المائل العنق لنظره الى العلو^(١) والشرج هو العالى المتيف . والسرير هو العرش في
 اللغة . ومن شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الذى عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته
 شَهِدْتُ بِأَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنْ النَّارَ مَثْوًى الْكَافِرِينَ
 وَأَنْ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ كَرَامٍ مَلَائِكَةُ الْآلَةِ مَسْؤُمِينَ

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة * وقال أبو داود حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله
 حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله

(١) قوله لنظره الى العلو كذا بالاصول . والذي في كتب اللغة لتقل حملة (محمود الامام)

أن النبي (ص)، قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». ورواه ابن أبي عاصم^(١) ولفظه «محقق الطير»^(٢) مسيرة سبعمائة عام

وَأَمَّا الْكَرْسِيُّ

فروى ابن جرير من طريق جويبر وهو ضعيف عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره وعن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنهما قالوا في قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) أي علمه والمحموظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم في مستدركه. وقال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل. وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس في تفسيره عن أبي عاصم النبيل عن الثوري فجعله مرفوعا والصواب أنه موقوف على ابن عباس وحكاية ابن جرير عن أبي موسى الأشعري والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ومسلم البطين وقال السدي عن أبي مالك «الكرسي تحت العرش». وقال السدي السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش» وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال «لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن ببعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة» وقال ابن جرير حدثني يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله (ص)، «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدارهم سبعة ألقيت في ترس» قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله (ص)، يقول «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض» أول الحديث مرسل. وعن أبي ذر مقطع. وقد روى عنه من طريق أخرى موصولا فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني أنبأنا عبد الله بن وهيب المغربي أنبأنا محمد بن أبي سري السقلاني أنبأنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله (ص)، عن الكرسي فقال رسول الله (ص)، «والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» وقال ابن جرير في تاريخه حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن الأعمش عن المتهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة قال

(١) وفي نسخة ابن أبي حاتم (٢) (قوله محقق الطير) كذا بالأصول ولا ندري له معنى. ولعل

الرواية مخمق الطير أو محلق الطير (محمود الامام) نقلناه عنه

سئل ابن عباس عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح قال
والسموات والارضون وكل ما فيهن من شئ تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل
فيما قيل الكرسي. وروى (١) عن وهب ابن منبه نحوه . وفسر وهب الهيكل فقال شئ من أطراف
السموات يحدق بالأرضين والبحار كأطنايب الفسطاط * وقد زعم بعض من ينتسب الى علم الهيئة أن
الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يسمونه فلك الكواكب الثوابت . وفيما زعموه نظر لأنه قد
ثبت أنه أعظم من السموات السبع بشئ كثير ورد الحديث المتقدم (٢) بأن
نسبتها اليه كنسبة حلقة ملقاة بارض فلاة وهذا ليس نسبة فلك الى فلك . فان
قال قائلهم فنحن نعرف بذلك ونسميه مع ذلك فلماذا نقول الكرسي
ليس في اللغة عبارة عن الفلك وإنما هو كما قال غير واحد من السلف
بين يدي العرش كالمرقاة اليه . ومثل هذا لا يكون فلماذا وزعم
أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه لا دليل لهم عليه .
هذا مع اختلافهم في ذلك أيضا كما هو
مقرر في كتبهم والله أعلم

ذكر اللوح المحفوظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا
ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن
عباس أن نبي الله (ص) قال « أن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء ،
قلبه نور وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل
ويفعل ما يشاء » وقال اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال « إن
في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله . فمن آمن بالله وصدق بوعده
واتبع رسله أدخله الجنة » قال « واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء . طوله ما بين السماء والأرض ،
وعرضه ما بين المشرق والمغرب . وحافته الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلبه نور ، وكلامه
معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك » وقال أنس بن مالك ، وغيره من السلف « اللوح المحفوظ في
جبهة اسرافيل » وقال مقاتل هو عن يمين العرش *

(١) قوله وروى اي ابن جرير (٢) (قوله ورد الحديث المتقدم) هكذا بالاصول وهو تمليل لما

قبله فالصواب فقد ورد الخ

ما روي في خلق السموات والارض وما بينهما

قال الله تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض ، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال تعالى (خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) في غير ما آية من القرآن وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة الايام على قولين . فالجمهور على أنها كايامنا هذه . وعن ابن عباس ، ومجاهد والضحاك ، وكعب الاحبار : ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . واختار هذا القول الامام أحمد ابن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية ، وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم . وسيأتي ما يدل على هذا القول . وروى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ، وغيره أن أسماء الأيام الستة « أبجد هوز حطى كلن سعض قرشت » وحكى ابن جرير في أول الايام ثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال « يقول أهل التوراة ابتداء الله اخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الانجيل : ابتداء الله اخلق يوم الاثنين ، وهول نحن المشركون فيما انتهى الينا عن رسول الله (ص) ، ابتداء الله اخلق يوم السبت » وهذا القول الذي حكاه ابن اسحاق عن المسلمين مال اليه طائفة من الفقهاء من الشافعية ، وغيرهم . وسيأتي فيه حديث أبي هريرة (خلق الله التربة يوم السبت) والقول بأنه الأحد رواه ابن جرير عن السدي عن أبي مالك ، وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن جماعة من الصحابة ورواه أيضا عن عبد الله ابن سلام ، واختاره ابن جرير . وهو نص التوراة ، ومال اليه طائفة آخرون من الفقهاء . وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا كل اخلق في ستة أيام فكان آخرهن الجمعة فاتخذهم المسلمون عيدهم في الأسبوع وهو اليوم الذي أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا كما سيأتي بيانه ان شاء الله . وقال تعالى (هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) وقال تعالى (قل أنتم كنتم تكفرون) بالذي خلق الأرض في يومين وتجمعون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيات ذلكم الله ربكم فتنابذ الله رب العالمين) قال تعالى (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا الى ان قال وبينا فوقكم سبعة شدادا وجعلنا سراجا وهاجا) وقال (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا

من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أى فضلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون ، والأنهار واتمش الحيوان . ثم قال (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) أى عما خلق فيها من الكواكب الثوابت ، والسيارات والنجوم الزاهرات والاجرام النيرات ، وما فى ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى « وكأين من آية فى السموات والأرض يمدحونها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فأما قوله تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض . فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فان مقتضى هذه الآية أن دحى الأرض وأخرج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء . وقد كان ذلك مقدرا فيها بالقوة كما قال تعالى (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) أى هيا أماكن الزرع ومواقع العيون والأنهار ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلى والعلوى دحى الأرض فأخرج منها ما كان مودعا فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ، ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر الدحى بإخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال (والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها) وقوله (والجبال أرساها) أى قررها فى أماكنها التى وضعها فيها وثبتها وأكدها وأطدها وقوله (والسماء بنيناها بإيدى وانا لموسعون ، والأرض فرشناها فنعم الماهدون ، ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) بإيدى أى بقوة . وانا لموسعون ، وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التى تحتها فهى أوسع منها . ولهذا كان الكرسي أعلى من السموات . وهو أوسع منهن كلهن . والعرش أعظم من ذلك كله بكثير . وقوله بعد هذا (والأرض فرشناها) أى بسطناها وجعلناها مهدا أى قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم . ولهذا قال (فنعم الماهدون) والواو لا تقتضى الترتيب فى الوقوع . وإنما يقتضى الاخبار المطلق فى اللغة والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال « دخلت على النبي (ص) وعقلت ناقتى بالباب فأتاه ناس من بنى تميم فقالوا اقبلوا البشرى يا بنى تميم » قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ان لم يقبلها بنو تميم » قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر . قال « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض » فنادى مناد ذهب ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فاذا هى تقطع دونها السراب فوالله لوددت انى كنت تركتها » هكذا رواه هاهنا وقد رواه فى كتاب المغازى

وكتاب التوحيد وفي بعض الفاظه « ثم خلق السموات والارض » وهو لفظ النبأى أيضا .
وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا حجاج حدثني ابن جريج أخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد
عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن ابى هريرة قال « أخذ رسول الله (ص) يدي فقال خلق الله
التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق خلق
في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل » وهكذا رواه مسلم عن سريج بن يونس
وهرون بن عبد الله والنسائي عن هرون ويوسف بن سعيد ثلاثهم عن حجاج بن محمد المصيصي الاور
عن ابن جريج به مثله سواء . وقد رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن محمد
ابن الصباح عن ابى عبيدة الجداد عن الأخضر بن مجلان عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن أبى
هريرة « ان رسول الله (ص) أخذ يدي فقال يا أبا هريرة « ان الله خلق السموات والأرض وما بينهما
في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع ، وخلق التربة يوم السبت » وذكر تمامه بنحوه فقد اختلف
فيه على ابن جريج وقد تكلم في هذا الحديث على ابن المديني والبخارى والبيهقي وغيرهم من الحفاظ
قال البخارى في التاريخ ، وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعنى أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة
وتلقاه من كعب الاجبار فانهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحذره عن صحفه ، وهذا
يحذره بما يصدقه عن النبي (ص) ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم
بعض الرواة فجعله مرفوعا الى النبي (ص) ، وأكد رفعه بقوله « أخذ رسول الله (ص) يدي »
ثم في متنه غرابة شديدة . فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما
فيها في سبعة أيام . وهذا خلاف القرآن لأن الارض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين
من دخان . وهو بخار الماء الذى ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذى خلق من ربذة الأرض بالقدره
العظيمة البالغة كما قال اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير في خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى
صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) ،
هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » قال ان الله
كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق المخلوق أخرج من الماء دخاناً
فارتفع فوق الماء فسماء عليه فسماء سماء * ثم أليس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم ففمها فجعل سبع أرضين
في يومين (الاحد والاثنين) وخلق الأرض على حوت وهو النون الذى قال الله تعالى « نون والقلم
وما يسطرون » والحوت فى الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة
فى الريح . وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض فتحرك الحوت فاضطرب

فتنزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرت . وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وفقق السماء وكانت رتقا فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة . وأما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى في كل سماء أمرها . ثم قال خلق في كل سماء خلقا من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره . ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا يحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش . هذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الأسرانيات . فان كعب الأخبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفاً له ، وتمجيباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر فاستجاز كثير من الناس قبل ما يورده كعب الأخبار لهذا ، ولما جاء من الأذن في التحديث عن بني إسرائيل لكن كثيراً ما يقع مما يرويه غلط كبير وخطأ كثير * وقد روى البخاري في صحيحه (١) عن معاوية أنه كان يقول في كعب الأخبار (وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) أي فيما ينقله لأنه يعتمد ذلك والله أعلم *

ونحن نورد ما نورده من الذي يسوقه كثير من كبار الأئمة المتقدمين عنهم . ثم تتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يكذبه ويبقى الباقي مما لا يصدق ولا يكذب وبه المستعان وعليه التكلان قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي زناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » وكذا رواه مسلم والنسائي عن قتيبة به . ثم قال البخاري

سابعاً وفي سبعة أرفض

وقوله تعالى (والله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر) ينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير ، وان الله قد أحاط بكل شيء علماً ثم قال حدثنا علي بن عبد الله أخبرنا ابن عليه عن علي بن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وكانت بينه وبين نلس خصومة في أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك . فقالت يا أبا سلمة

(١) من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رهطاً من قرش بالمدينة . وذكروا كعب الأخبار فقال انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

اجتنب الارض فان رسول الله (ص) قال « من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين » ورواه أيضا في كتب المظالم ومسلم من طرق عن يحيى بن كثير به * ورواه احمد من حديث محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة به ، ورواه أيضا عن يونس عن ابان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة بمثله . ثم قال البخارى حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال قال النبي (ص) « من أخذ شيئا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين » ورواه في المظالم أيضا عن مسلم بن ابراهيم عن عبد الله هو ابن المبارك عن موسى بن عقبة به وهو من افرادة ، وذكر البخارى ها هنا حديث محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ، قال قال رسول الله (ص) « الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثني عشر شهرا » الحديث ومراده والله أعلم تقرير قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) أى فى العدد كما أن عدة الشهور الآن اثني عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله فى كتابه الأول فهذه مطابقة فى الزمن كما أن تلك مطابقة فى المكان . ثم قال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصمته أروى (١) فى حق زعمت أنه انتقصه لها الى مروان فقال سعيد رضى الله عنه انا انتقص من حقها شيئا ؟ أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول « من أخذ شبرا من الأرض ظلها فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » ورواه (٢) .

وقال الامام أحمد حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله ابن لهيعة حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود قال « قلت يارسول الله أى الظلم أعظم قال ذراع من الأرض ينتقصه المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها أحد الا طوقها يوم القيامة الى قعر الأرض ، ولا يعلم قعرها الا الذى خلقها » تفرد به أحمد ، وهذا اسناد لا بأس به . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « من أخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع أرضين » تفرد به من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال أحمد حدثنا يحيى عن ابن مجلان حدثني أبي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) ،

(١) أروى بفتح الهزة وسكون الراء وفتح الواو مقصورا وهى بنت أبي أوس .

(٢) (قوله ورواه) يياض بالاصول . وفى البخارى عقب ما تقدم . قال ابن ابى الزناد عن هشام عن أبيه قال قال لى سعيد بن زيد (دخلت على النبي (ص) انتهى) وهذا تعليق من البخارى يبين لقاء عروة لسعيد والتصریح بسماعه منه الحديث المذكور فلعل المصنف يريد . ورواه البخارى ايضا معلقا أو نحوه . نقلنا عن (محمود لامام) .

قال « من اقتطع شبرا من الأرض بغير حقه طوقه الى سبع أرضين » تفرد به أيضا وهو على شرط مسلم . وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال « من أخذ من الأرض شبرا بغير حقه طوقه من سبع أرضين » تفرد به أيضا وقد رواه الطبراني من حديث معاوية بن قرة عن ابن عباس مرفوعا مثله * فهذه الأحاديث كالتواترة في اثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر الى السابعة وهي صماء لا جوف لها، وفي وسطها المركز وهي قطعة مقدرة متوهمه . وهو محط الأتقال ، اليه ينتهي ما يهبط من كل جانب اذا لم يعاوقه مانع . واختلفوا هل هن متراكبات بلا تفاصل أو بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين وهذا اختلاف جار في الافلاك أيضا . والظاهر أن بين كل واحدة وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر ينهن) الآية وقال الامام أحمد حدثنا شريم حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال « بينا نحن عند رسول الله (ص) اذ مرت سحابة فقال « أتدرون ما هذه قلنا الله ورسوله أعلم قال العنان وزوايا الأرض تسوقه الى من لا يشكرونه من عباده ولا يدعونه أتدرون ما هذه فوقكم : قلنا الله ورسوله أعلم قال الرفيع موج مكفوف وسقف محفوظ أتدرون كم ينسكم وبينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة خمسمائة سنة . ثم قال أتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات * ثم قال أتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال العرش أتدرون كم بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام . ثم قال أتدرون ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أخرى أتدرون كم بينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين ثم قال وأيم الله لو دليتم أحدكم الى الأرض السفلى السابعة لهبط . ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، وغير واحد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيان بن عبد الرحمن عن قتادة ، قال حدث الحسن عن أبي هريرة وذكره الا انه ذكر أن بعد ما بين كل أرضين خمسمائة عام وذكر في آخره كلمة (١) ذكرناها عند تفسير هذه الآية من سورة الحديد ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه قال ويروى عن ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد

(١) (قوله كلمة) أى جملة . ونصها (والذى) نفس محمد بيده لو انكم دليتم رجلا بحبل الى الارض

السفلى لهبط على الله .

أنهم قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة * ورواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر مثل لفظ الترمذي سواء بدون زيادة في آخره ورواه ابن جرير في تفسيره عن بشر عن يزيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا. وقد يكون هذا أشبه والله أعلم. ورواه الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي من حديث أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) ولكن لا يصح استناده والله أعلم *

وقد تقدم عند صفة العرش من حديث الأوعال ما يخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له. وفيه وبعد ما بين كل سماءين خمسمائة عام، وكثفتها أي سمكتها خمسمائة عام * وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث (طوقه من سبع أرضين) أنها سبعة أقاليم. فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح وصرح كثير من ألقاظه مما يعتمد من الحديث الذي أوردناه من طريق الحسن عن أبي هريرة. ثم إنه حمل الحديث والآية على خلاف ظاهرهما بلا مستند ولا دليل والله أعلم. وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علمائنا من أن هذه الأرض من تراب والتي تحتها من حديد والأخرى من حجارة من كبريت والأخرى من كذا فكل هذا إذا لم يخبر به ويصح سندُه إلى معصوم فهو مردود على قائله. وهكذا الأثر المروي عن ابن عباس أنه قال في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم فهذا ذكره ابن جرير مختصراً واستقصاه البيهقي في الأسماء والصفات وهو محمول أن صح نقله عنه على أنه أخذه ابن عباس رضي الله عنه عن الأسرانيات والله أعلم *

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فلقاها عليها فاستقرت فمجتبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد. قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار. قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الريح. قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق يمينه يخفيها من شماله تفرد به أحمد *

وقد ذكر أصحاب الهيئة أعداد جبال الأرض في سائر بقاعها شرقاً وغرباً، وذكروا طولها وبعد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هنا. وقد قال الله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود » قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرائق وقال عكرمة وغيره الغرايب الجبال الطوال السود. وهذا هو الشاهد من الجبال في سائر الأرض تختلف باختلاف بقاعها وألوانها. وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين وهو جبل عظيم شرقي

جزيرة ابن عمر الى جانب دجلة . عند الموصل امتداده من الجنوب الى الشمال مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو أخضر لأن فيه شجرا من البلوط والى جانبه قرية يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا فى السفينة مع نوح عليه السلام فى موضعها فما ذكره غير واحد من المفسرين والله أعلم

فصل فى البحار والآنهار

قل الله تعالى « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » وقال تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وقال تعالى « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان « فالمراد بالبحرين البحر الملح المر وهو الاجاج والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة . وقال تعالى « ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوقهين بما كسبوا ويعفو عن كثير » وقال تعالى « ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختال كفور » وقال تعالى « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » فامتن تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما يثبت منه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مروفى هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء اذ لو كان حلوا لأنتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات فكان يؤدى الى تقاى بنى آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة . ولهذا لما سئل رسول الله (ص) عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته *

واما الأنهار فماؤها حلو عذب فرات سائغ شرابها لمن أراد ذلك . وجعلها جارية سارحة ينبعها

تعالى في أرض ويسوقها إلى أخرى رزقا للعباد . ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة . وقد تكلم أصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار اليكبار وأصول منابعها وإلى أين ينتهي سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى ، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة - وقوله تعالى « والبحر المسجور » فيه قولان أحدهما أن المراد به البحر الذي تحت العرش المذكور في حديث الاوعال . وأنه فوق السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ، وهو الذي ينزل منه المطر قبل البعث فتحيا منه الاجساد من قبورها . وهذا القول هو اختيار الربيع بن أنس . والثاني أن البحر اسم جنس يعم سائر البحار التي في الأرض وهو قول الجمهور *

واختلفوا في معنى البحر المسجور قليل الملوء وقليل يصير يوم القيامة نارا تزجج فيحيط بأهل الموقف كما ذكرناه في التفسير عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن مجاهد وغيرهم . وقليل المراد به الممنوع المكفوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الأرض ومن عليها فيغرقوا . رواه الوابي عن ابن عباس وهو قول السدي وغيره ويؤيده الحديث الذي يرواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال « لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله (ص) قال « ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله عز وجل أن يتفصح عليهم فيكفه الله عز وجل » ورواه اسحاق بن راهويه عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط قال « خرجت ليلة للحرس لم يخرج أحد من الحرس غيري فأنتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلى أن البحر يشرف يحاذي برءوس الجبال فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فليقت أبا صالح فقال حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله (ص) قال « مامن ليلة الا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن يتفصح عليهم فيكفه الله عز وجل في اسناده رجل مبهم (١) والله أعلم وهذا من نعمه تعالى على عباده أن كشف البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم يحمل مراكبهم ليلفوا عليها إلى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه في السماء والأرض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرهم وبما خلق لهم فيه من الآلئ والجواهر النفيسة العريزة الحسنة الثمينة التي لا توجد الا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتتها كما قال تعالى « أحل لكم صيد البحر وطعامه » وقال النبي (ص) « هو الظهور ماؤه الحل ميتته » وفي الحديث الآخر « أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » رواه أحمد وابن ماجه وفي اسناده نظر *

(١) - قوله مبهم وفي نسخة متهم ونحن اميل إلى « مبهم »

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده «وجئت في كتاب عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه قال «كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للغربي اني حامل فيك عبادا من عبادي فكيف انت صانع بهم قال أغرقهم . قال بأسك في نواحيك وحرمة الحلية والصيد ، وكلم هذا البحر الشرقي فقال اني حامل فيك عبادا من عبادي فما انت صانع بهم قال أحملهم على يدي ، واكون لهم كالوالدة لولدها فأنابه الحلية والصيد * ثم قال لا تعلم أحدا . مارواه عن سهيل الا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر وهو منكر الحديث . قال وقد رواه سهيل عن عبد الرحمن بن أبي عياش عن عبد الله بن عمرو وموقوفا . قلت الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبه فانه قد كان وجد يوم اليرموك ذاملتين مملوءتين كتبنا من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الاسرائيليات منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود . فأما المعروف فتفرد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم المدني قاضيا . قال فيه الامام أحمد ليس بشيء وقد سمعته منه * ثم مرقت حديثه كان كذبا وأحاديثه منكرا * وكذا ضعفه بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجوزجاني والبخاري وأبو داود والنسائي وقال ابن عدي عامة أحاديثه منكرا وأفظعها حديث البحر *

قال علماء التفسير المتكلمون على العروض والاطوال والبحار والانهار والجبال والمساحات وما في الارض من المدن والخراب والعمارات والاقاليم السبعة الحقيقية في اصطلاحهم والاقاليم المتعددة العرفية وما في البلدان والاقاليم من الخواص والنباتات وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا الارض مغمورة بالماء العظيم الامتداد الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الالهية اقتضت انحسار الماء عن هذا القدر منها لتميش الحيوانات عليها وتبث الزرع والثمار منها كما قال تعالى «والارض وضعها للانعام فيها فأكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان» قالوا المعمور من هذا البادى منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلا . وهو خمس وتسعون درجة . قالوا فالبحر المحيط الغربي ويقال له أوقيانوس وهو الذي يتاخم بلاد المغرب وفيه الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريبا وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة وجه واختلاف ما فيه من الرياح والامواج وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شيء ولا يسافر فيه لمتجر ولا غيره وهو آخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت الجبال القمر^(١) ويقال جبال القمر التي منها أصل منبع نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء *

(١) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والتقات منهم على انه بضم القاف وسكون الميم .

افاده العلامة المحقق الاستاذ احمد زكي باشا في طبعته لكتاب مسالك الابصار *

ثم يمتد شرقا ويصير جنوبي الارض . وفيه هناك جزائر الزايج وعلى سواحل خراب كثير * ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند * ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة . وهناك بلاد الصين . ثم ينعطف في شرق الصين الى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج . ثم ينعطف ويستدير على أراضي غير معلومة الأحوال * ثم يمتد مغربا في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويمطف مغربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويعود الى جهة الغرب وينبتق من الغربي الى متن الأرض الزقاق الذي ينتهي أقصاه الى اطراف الشام من الغرب * ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم

وينبت من المحيط الشرقي بحار آخر فيها جزائر كثيرة ، حتى إنه يقال ان في بحر الهند الف جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الاخضر فشرقيه بحر الصين وغربيه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبه غير معلوم *

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسيرها لهم الذي خلقها كما جعل مثلها في البر أيضا قال الله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تמיד بكم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلمكم تهتدون) * وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون ، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالى كثيرة جدا . فمنها ماهو واحد ، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له . فمن ذلك بحر القلزم . والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة . وبحر فارس وبحر الخزر وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطش وبحر الأزرق ، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضا ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية ، ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطئ اذا جاءت من الاسكندرية الى القرم لاستقبالها جريان الماء . وهذا من العجائب في الدنيا فان كل ماء جار فهو حلوا وهذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج الا مايد كر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه .

قال أهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل الى الطول ماهو * وقيل إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشئ من البحر المحيط بل منفرد وحده ، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل اكثر من ذلك والله أعلم .

ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره ايضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة الى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد * ثم يشرع في النقص وهو الجزر الى آخر الشهر * وقد ذكرنا تحديد هذه البحار ومبتدأها ومنتهاها وذكروا ما في الأرض

من البحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهي البطائح *

وذكروا مافي الارض من الأنهار المشهورة السكار، وذكروا ابتداءها وانتهاءها ولسنا بصدد بسط ذلك والتطويل فيه وإنما نتكلم على مايتعلق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث. وقد قال الله تعالى « الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » ففي الصحيحين من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن رسول الله (ص) لما ذكر سدرة المنتهى قال فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فاما الباطنان ففي الجنة وأما للظاهران فالنيل والفرات * وفي لفظ في البخارى وعنصرها أى مادتهما أو شكلهما وعلى صفتها ونعتها وليس في الدنيا مما في الجنة الاسماوية (١) وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة »

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير ويزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال رسول (ص) « فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان » وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم . وكأن المراد والله أعلم من هذا ان هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفاتها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك في هذه الصفات ونحوها كما قال في الحديث الآخر الذي رواه الترمذى وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » أى تشبه ثمر الجنة لأنها مجتناة من الجنة ، فان الحس يشهد بخلاف ذلك فتعين أن المراد غيره وكذا قوله (ص) « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » وكذا قوله « اذا اشتد الحمى فأبردوها بالماء فان شدة الحر من فيح جهنم » * وهكذا هذه الأنهار أصل منبعها مشاهد من الأرض *

أما النيل . وهو النهر الذى ليس في أنهار الدنيا له نظير في خلقه ولطافته وبعد مسراه فيما بين مبتداه الى منتهاه فمبتداه من الجبال القمر (٢) أى البيض ومنهم من يقول جبال القمر بالاضافة الى الكوكب وهي في غربى الارض وراء خط الاستواء الى الجانب الجنوبى . ويقال انها حمر ينبع من بينها عيون * ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة . ثم يجتمع كل خمسة منها في بحر . ثم يخرج منها أنهار ستة . ثم يجتمع كلها في بحيرة أخرى . ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان

(١) كذا بالاصول (٢) هذا يؤيد قول الثقات الذى نقلناه عن الاستاذ زكى باشا فيما تقدم

الحبشه ثم على النوبة ومديتها العظمى دمقلة (١) ثم على اسوان ثم يقد على ديار مصر . وقد تحمل اليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة اليهما معا لان مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها . وترتبتها رمال لا تنبت شيئا حتى يجئ النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون اليه وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم أفلا يبصرون » ثم يجاوز النيل مصر قليلا فيفتقر شطرين عند قرية على شاطئه يقال لها شطنوف فيمر الغربي على رشيد ويصب في البحر المالح * واما الشرقي فتفتقر ايضا عند جوجر فرقتين تمر الغربية منهما على دمياط من غربها ويصب في البحر والشرقية منهما تمر على أشمون (٢) طناح فيصب هناك في بحيرة شرق دمياط . يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط . وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه الى منتهاه . ولهذا كان لطف المياه * قال ابن سينا له خصوصيات دون مياه سائر الأرض * فمنها انه أبعد مسافة من مجراه الى أقصاه . ومنها انه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال ومنها انه لا يخضر فيه حجر ولا حصة وما ذاك الا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته . ومنها ان زيادته في أيام قصان سائر الأنهار . ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها وأما ما يذكره بعضهم من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيما وجواري حسانا وأشياء غريبة وأن الذي اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانك الأفاكين *

وقد قال عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال « لما فتح عمرو بن عاص مصر أتى أهلها اليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم (القبطية) فقالوا (أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فارسينا أبويها وجعلنا عليها من الجلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا * وفي رواية فأقاموا بؤنة وأيدب ومسرى وهو لا يجري حتى هموا بالجللاء . فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عر إنك قد اصببت بالذي فعلت وأنى قد بعثت اليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها « من عند الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر (أما بعد) فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك (٣) فالتقى عمرو البطاقة في النيل فاصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا

(١) المعروفة الان بسم دمقلة بطريق التحريف * (٢) كذا بالاصول وفي معجم البلدان (أشمون طناح)

(٣) قوله فالتقى عمرو البطاقة في النيل الخ الذي في حسن المحاضرة للسيوطي فالتقى عر البطاقة في

في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم *

وأما الفرات فاصلها من شمالى أدرن الروم فتمر الى قرب ملطيه ثم تمر على شمشاط . ثم على البيرة قبلها ثم تشرق الى بالس (١) وقلعة جبر ثم الرقة ثم الى الرحبة شمالها ثم الى عانة ثم الى هيت ثم الى الكوفة ثم تخرج الى فضاء العراق ويصب في بطائح كبار اى بحيرات وترد اليها ويخرج منها أنهار كبار معروفة وأما سيحان . ويقال له سيحون أيضا فأوله من بلاد الروم ويجرى من الشمال والغرب الى الجنوب والشرق وهو غربى مجرى جيحان ودونه في القدر وهو بلاد الارض التي تعرف اليوم ببلاد سبب وقد كانت في أول الدولة الاسلامية في أيدي المسلمين * فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها عن الاعداء فتغلب تقفور الأرمني على هذه البلاد أعنى بلاد سبب في حدود الثلاثمائة والى يومنا هذا . والله المسؤول عودها الينا بحوله وقوته . ثم يجتمع سيحان وجيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا . ثم يصبان في بحر الروم بين آياس وطرسوس *

وأما جيحان ويقال له جيحون أيضا وتسميه العامة جاهان . وأصله في بلاد الروم ويسير في بلاد سبب من الشمال الى الجنوب وهو يقارب الفرات في

القدر * ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا *

ثم يصبان في البحر عند آياس وطرسوس والله أعلم *

فصل

قال الله تعالى « الله الذى دفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الأمر يفصل الايات لعلكم تلاقون * وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » وقال تعالى « امن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فانبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لايعلمونه » وقال تعالى

النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا . وقد زال تلك السنة السوء عن أهل مصر انتهى (١) بلدة بين حلب والرقة لها وقائع تاريخية مذكورة في معجم البلدان (محمود الامام)

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

فذكر تعالى ما خلق فى الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والاعوار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات فى البرارى والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق الذى هى محتاجة اليه فى ليالها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومساءها كما قال تعالى « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » وقد روى الحافظ أبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله (ص) يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعائة فى البر . وأول شئ يهلك من هذه الأمم الجراد فاذا هلك تنابت مثل النظام اذا قطع سلكه .

(عبيد بن واقد) أبو عباد البصرى ضعفه أبو حاتم وقال بن عدى عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه اضعف منه . قال الفلاس والبخارى منكر الحديث ، وقال أبو زرعة لا ينبغي أن يحدث عنه . وضعفه ابن حبان والدارقطنى وأنكر عليه ابن عدى هذا الحديث بعينه وغيره والله أعلم * وقال تعالى « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون *

ذكر ما يعملون فى السموات وما فىهن من الآيات

قد قدمنا ان خلق الأرض قبل خلق السماء كما قال تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم » وقال تعالى « قل ائتكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمورها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير العزيز العليم » وقال تعالى « أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلاها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاه » فان الدحى غير الخلق وهو بعد خلق السماء * وقال تعالى « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق

الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير « وقال تعالى « وبينا فوقكم سبعا شدادا رجعلنا سراجا وهاجا » وقال تعالى « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » وقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات والارض مثلهن يتنزل الأمر ينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقال تعالى « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان ملود لا يسمعون الى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطى الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون » وقال تعالى « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى « فالحق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فضلنا الآيات لقوم يعمون » وقال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا اله الا خلق والأمر تبارك الله رب العالمين) والآيات في هذا كثيرة جدا وقد تكلمنا على كل منها في التفسير * والمقصود أنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنها في غاية الحسن والبهاء والكمال والسناء كما قال تعالى « والسماء ذات الجبك » أي اطلق الحسن وقال تعالى « فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » أي خاسئا عن ان يرى فيها قصا أو خلا وهو حسير أي كليل ضعيف ولو نظر حتى يمي ويكل ويضعف لما اطلع على قص فيها ولا عيب لانه تعالى قد أحكم خلقها وزين بالكواكب اقمتها كما قال « والسماء ذات البروج » أي النجوم * وقيل محال الحرس التي يرى منها بالشهب لمسترق السمع ولا منافاة بين القولين وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم » قد ذكر انه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات (الشمس والقمر والنجوم الزاهرات) وأنه صان حوزتها عن حلول

الشياطين بها وهذا زينة معنى * فقال وحفظناها من كل شيطان رجيم كما قال (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا إلا على)

قال البخارى فى كتاب بدء الخلق وقل قتادة (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) خلق هذه النجوم الثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكاف ما لا علم له به * وهذا الذى قاله قتادة مصرح به فى قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » فمن تكلف غير هذه الثلاث اى من علم أحكام ما تدل عليه حركاتها ومقارنتها فى سيرها وأن ذلك يدل على حوادث ارضيه فقد أخطأ . وذلك أن أكثر كلامهم فى هذا الباب ليس فيه الا حدس وظنون كاذبة ودعاوى باطلة . وذكر تعالى إنه خلق سبع سموات طباقا أى واحدة فوق واحدة * واختلف أصحاب الهيئة هل هن مترابطات أو متفاضلات بينهما على قولين . والصحيح الثانى لما قدمنا من حديث عبد الله بن عتبة عن الاحنف عن العباس فى حديث الأوعال أن رسول الله (ص) قال اتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينها مسيرة خمسمائة عام . ومن كل سماء الى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة * الحديث بتامه رواه احمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه * وفى الصحيحين من حديث أنس فى حديث الاسراء قال فيه (ووجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فرد عليه السلام . وقال مرحبا وأهلا بابنى نعم الابن أنت الى أن قال ثم عرج الى السماء الثانية * وكذا ذكر فى الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) فدل على التفاضل بينها لقوله ثم عرج بنا حتى أتينا السماء اثنا عشر فاستفتح فقبل من هذا (الحديث) * وهذا يدل على ما قلناه والله أعلم .

وقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج ابن الجوزى وغير واحد من العلماء الاجماع على أن السموات كرة مستديرة * واستدل على ذلك بقوله كل فى فلك يسبحون . قال الحسن يدورون ، وقال ابن عباس فى فلكة مثل فلكة المغزل . قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق كما قال أمية ابن أبى الصلت .

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمراء مطلع لونها متورد * تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها * الامعذبه والأتجد فلما الحديث الذى رواه البخارى حيث قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن ابى ذر قال قال رسول الله (ص) لاى ذر حين غربت الشمس تدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها . يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك

قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)*

هذا لفظه في بدء الخلق ورواه في التفسير * وفي التوحيد من حديث الأعمش أيضا ورواه مسلم في الإيمان من طريق الأعمش ومن طريق يونس بن عبيد وأبو داود من طريق الحكم بن عتبة كلهم عن إبراهيم بن يزيد بن شريك عن أبيه عن أبي ذر به نحوه . وقال الثرمذى حسن صحيح * إذا علم هذا فانه حديث لا يعارض ما ذكرناه من استدارة الأفلاك التي هي السموات على أشهر القولين ولا يدل على كرية العرش كما زعمه زاعمون . قد أبطلنا قولهم فيما سلف ولا يدل على أنها تصعد الى فوق السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التفسير . وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه فإذا ذهب فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلا في اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي فأنها تكون أبدا ما يكون من العرش لانه مقبب من جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فإذا كانت في محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من الشرق فيؤذن لها فتبدو من جهة الشرق وهي مع ذلك كارهة لعصاة بني آدم أن تطلع عليهم ولهذا قال أمية

تأبى فلا تبدولنا في رسلها * إلا معذبة والاتجلى * فإذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عادتها وتستأذن في الطلوع من عادتها فلا يؤذن لها فجاء أنها تسجد أيضا ثم تستأذن فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة كما ذكرنا في التفسير ، فتقول يا رب ان الفجر قد اقترب وان المدى بعيد فيقال لها ارجعي من حيث جئت فطلع من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا جميعا وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، وفسروا بذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قيل لوقتها الذي تؤمر فيه تطلع من مغربها * وقيل مستقرها موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش * وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا . وعن ابن عباس أنه قرأ والشمس تجري لمستقر لها أي ليست تستقر فعلى هذا تسجد وهي سائرة . ولهذا قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون أي لا تدرك الشمس القمر فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو أيضا ولا الليل سابق النهار أي ليس سابقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها بل إذا ذهب النهار جاء الليل في اثره متعقباله كما قال في الآية الأخرى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين *

وقال تعالى « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » أي يخلف هذا لهذا وهذا لهذا كما قال رسول الله (ص) « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت

الشمس فقد أنظر الصائم « فالزمان المحقق ينقسم الى ليل ونهار وليس بينهما غيرهما * ولهذا قال تعالى « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » فيوج من هذا في هذا ، أى يأخذ من طول هذا في قصر هذا فيعتدلان كما في أول فصل الربيع يكون الليل قبل ذلك طويلا والنهار قصيرا فلا يزال الليل ينقص والنهار يتزايد حتى يعتدلا وهو أول الربيع * ثم يشرع النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص حتى يعتدلا أيضا في أول فصل الخريف * ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار الى آخر فصل الخريف * ثم يترجح النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل شيئا شيئا حتى يعتدلا في أول فصل الربيع كما قدمنا ، وهكذا في كل عام . ولهذا قال تعالى « وله اختلاف الليل والنهار » أى هو المتصرف في ذلك كله الحاكم الذى لا يخالف ولا يمانع ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار « ذلك تقدير العزيز العليم » أى العزيز الذى قد قهر كل شئ ودان له كل شئ فلا يمانع ولا يغالب العليم بكل شئ تقدر كل شئ تقديرا على نظام لا يختلف ولا يضطرب . وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « قال الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقرب الليل والنهار » وفي رواية فانا الدهر أقرب ليله ونهاره *

قال العلماء كالشافعي وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهما يسب الدهر أى يقول فعل بنا الدهر كذا ياخية الدهر ، أيتم الأولاد ، أرمل النساء . قال الله تعالى (وأنا الدهر) أى انا الدهر الذى يعنيه فانه فاعل ذلك الذى اسنده الى الدهر والدهر مخلوق ، وإنما فعل هذا هو الله فهو يسب فاعل ذلك ويعتقده الدهر . والله هو الفاعل لذلك الخالق لكل شئ المتصرف في كل شئ كما قال وأنا الدهر بيدي الأمر أقرب ليله ونهاره وكما قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير * تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) وقال تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق . يفصل الايات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون » أى فإت بين الشمس والقمر في نورهما وفي شكلهما وفي وقتهما وفي سيرهما فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر والقمر نورا أى أضعف من برهان الشمس وجعله مستفادا من ضوئها وقدره منازل أى يطلع أول ليلة من الشهر صغيرا ضئيلا قليل النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها فيقدره مقابلته لها يكون نوره ولهذا في الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان في الليلة الأولى فيكون نوره بضعف النور أول ليلة * ثم كلما بعد ازداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة

مقابلته إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر * ثم يشرع في النقص لاقترابه اليها من الجهة الأخرى الى آخر الشهر فيستتر حتى يعود كما بدا في أول الشهر الثاني . فيه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالي والأيام وبذلك تعرف السنين والأعوام ولهذا قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتتبعوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا » وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

وقد بسطنا القول على هذا كله في التفسير . فالكواكب التي في السماء منها سيارات وهي المتخيرة في اصطلاح علماء التفسير وهو علم غلبه صحيح بخلاف علم الاحكام فان غلبه باطل ودعوى مالا دليل عليه وهي سبعة . القمر في سماء الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة . وبقية الكواكب يسمونها الثوابت وهي عندهم في الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح كثير من المتأخرين . وقال آخرون بل الكواكب كلها في السماء الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض * وقد يستدل على هذا بقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين *) وقوله (فبما نرى سبيح سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فخص سماء الدنيا من بينهن بزينة الكواكب فان دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك والا فلا مانع مما قاله الآخرون والله أعلم . وعندهم أن الافلاك السبعة بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات تدور على خلاف فلکه من المغرب الى المشرق . فالقمر يقطع فلکه في شهر والشمس تقطع فلکهما وهو الرابع في سنة . فاذا كان السيران ليس بينهما تفاوت وحركتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا ثنتي عشرة مرة وزحل يقطع فلکه وهو السابع في ثلاثين سنة فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلثة وستين مرة *

وقد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا في هذه الاشياء حتى تعدوا الى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأرضية وما لا علم لكثير منهم به . وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام بدهور لهم في هذا كلام كثير يطول بسطه ، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبوابا سبعة وجعلوا على رأس كل باب هيكلًا على صفة الكواكب السبعة . يعبدون كل واحد في هيكله ، ويدعونه بدعاء يآثره عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم . وذكروه صاحب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم

وغيره من علماء الحرانيين (١) (فلاسفة حران في قديم الزمان) . وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين * ولهذا قال الله تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وقال تعالى إخبارا عن الهدهد أنه قال لسليمان عليه السلام مخبرا عن بلقيس وجنودها ملكة سبأ في اليمن وما والاها (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون . أن لا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وقال تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » وقال تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفأظلا له عن اليمين والשמائل يسجدوا لله وهم داخرون * والله يسجد من في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال تعالى « والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » وقال تعالى « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » والآيات في هذا كثيرة جدا

ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السموات والأرض هي الكواكب وأشرفهن منظرا وأشرفهن معتبرا الشمس والقمر استدلل الخليل على بطلان الهية شيء منهن . وذلك في قوله تعالى « فلما جن الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين » أي للعائنين (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) فبين بطريق البرهان القطعي أن هذه الاجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للالهية لانها كلها مخلوقة مربوبة مدبرة مسخرة في سيرها لا تحيد عما خلقت له ولا تزيع عنه الا بتقدير متقن محرر لا تضطرب ولا تختلف *

(١) قال في معجم البلدان (حران) بتشديد الراء وآخره نون يجوز أن يكون (فضالا) من حرن الفرس اذا لم يتقد ويجوز أن يكون (فضلان) من الحر . يقال رجل حران أي عطشان وأصله من الحر واسرة حري وهو حران يران . والنسبة اليها حراني بعد الراء الساكنة نون على غير قياس كما قالوا مناني في النسبة الى ماني .

وذلك دليل على كونها مربوبة مصنوعة مسخرة مقهورة ولهذا قال تعالى. « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وثبت في الصحيحين في صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله (ص) قال في خطبته يومئذ إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله عز وجل وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته »

وقال البخارى في بدء الخلق حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سامة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (الشمس والقمر مكوران يوم القيامة) انفرد به البخارى * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق ، فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج سمعت أبا سامة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (ص) قال « إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة فقال الحسن وما دينهما فقال أحدثك عن رسول الله (ص) وتقول وما دينهما ثم قال البزار لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سامة سوى هذا الحديث * وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق يزيد الرقاشي وهو ضعيف عن أنس قال قال رسول الله (ص) الشمس والقمر ثوران عقيران في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأزدي حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بحيلة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) . قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها نارا . فذات هذه الآثار على أن الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقها الله ما أراد* ثم يفعل فيها ما يشاء ، وله الحجة الدافعة والحكمة البالغة فلا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته وقدرته ومشيئته النافذة وحكمه الذي لا يرد ولا يمانع ولا ينال* وما أحسن ما أوردته الامم محمد بن اسحاق بن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل في خلق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك * قال ابن هشام هي لامية ابن أبي الصلت

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا	وقولاً رضيا (١) لا يني الدهر باقيا
الى الملك الأعلى الذي ليس فوقه	إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان إياك والردى	فإنك لا تخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره	فإن سبيل الرشدا أصبح باديا

حَنَانِكَ إِنِ الْجَنِّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا
 رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبَّافُلْنِ أَرَى . أَدِينِ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا
 وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا
 قُلْتَ لَهُ إِذْ هَبْ وَهَرُونَ فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
 وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوِّتَ هَذِهِ بَلَا وَتَدِيرُ حَتَّى اطْمَأْنَتَ كَمَا هِيََا
 وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ بَلَا مَعْدٍ . أَرِ فَقِي لَدَا بَكَ بَانِيَا
 وَقَوْلًا لَمَاءَاتٍ سَوِّتَ وَشَطْطَهَا مِنْبِرًا إِذَا مَلَجَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
 وَقَوْلًا لَهُ مِنْ يَرْسُلُ الشَّمْسُ غَدَوَةً فَيَصْبِحُ مَامَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَا حِيَا
 وَقَوْلًا لَهُ مِنْ يَنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى فَيَصْبَحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَايَا
 وَيَخْرُجُ مِنْهُ جَنَّةٌ فِي رُؤْسِهِ وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
 وَأَنْتَ بِفَضْلٍ نِكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا وَقَدْ بَلَكَ فِي أَضْغَافٍ حَوْتٍ لِيَالِيَا
 وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتَ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَا كَثُرَ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَايَا (١)
 فَرَبِّ الْعِبَادِ الْقَرِيبِ رَحْمَةً عَلَيَّ وَبَارِكْ فِي بَنِي وَمَالِيَا

فاذا علم هذا قال كواكب التي في السماء من الثواب والسيارات الجميع مخلوقة خلقها الله تعالى كما قال (وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت ومردوت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها على نفسها فأبت إلا أن يملأها الاسم الأعظم فملأها فقالت فرفعت كوكبا إلى السماء فهذا أظنه من وضع الاسرائيليين وإن كان قد أخرجه كعب الأخبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكره على سبيل الحكاية والتحديث عن بني اسرائيل . وقد روى الامام احمد وابن حبان في صحيحه في ذلك حديثا رواه احمد عن يحيى ابن بكير عن زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبي (ص) وذكر القصة بطولها * وفيه فتمثل لها الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهم فأسألاها نفسها وذكر القصة . وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن كعب

(١) قوله وأنى ولو سبحت الخ معنى البيت أنى لا أكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت الخ . وما بعد الأ زائدة . وإن سبحت اعتراض بين اسم إن وخبرها كما تقول إنى لا أكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لي فعل كذا والتسييح هنا بمعنى الصلاة أى لا اعتمد وإن صليت الأعلى دعائك واستغفارك

الاجبار به. وهذا أصح وأثبت. وقد روى الحاكم في مستدركه وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس فذكره وقال فيه وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وذكر تمامه * وهذا أحسن لفظ روى في هذه القصة والله أعلم *

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا مبشر بن عبيد عن يزيد بن أسلم عن ابن عمر عن النبي (ص). وحدثنا عمرو بن عيسى حدثنا عبد الأعلى حدثنا إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (ص) ذكر سهيلاً فقال (كان عشاراً ظلوماً فسخه الله شهاباً) ثم قال لم يرود عن زيد بن أسلم إلا مبشر بن عبيد وهو ضعيف الحديث ولا عن عمرو بن دينار إلا إبراهيم بن يزيد وهو لين الحديث * وإنما ذكرناه على ما فيه من علة لأننا لم نحفظه إلا من هذين الوجهين (قلت) أما مبشر بن عبيد القرشي فهو أبو حفص الحمصي وأصله من الكوفة. فقد ضعفه الجميع وقال فيه الامام أحمد والدارقطني كان يضع الحديث ويكذب وأما إبراهيم بن يزيد فهو الخوزي وهو ضعيف باتفاقهم * قال فيه احمد والنسائي متروك.

وقال ابن معين ليس بثقة وليس بشيء * وقال البخاري سكتوا عنه. وقال أبو حاتم

وأبو زرعة منكر الحديث ضعيف الحديث. ومثل هذا الاسناد لا يثبت به

شيء بالكلية. وإذا أحسننا الظان قلنا هذا من أخبار بني اسرائيل

كما تقدم من رواية بن عمر عن كعب الأجار. ويكون

من خرافاتهم التي لا يعمل عليها والله أعلم *

الحجرة وقوس فرج

قال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عارم أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب الى معاوية وقال إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما أسأله عنه. قال فكتب اليه يسأله عن الحجرة وعن القوس وعن بقعة لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة * قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال إن هذا الشيء ما كنت آبه له أن أسأل عنه الى يومى هذا من لهذا؟ قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس فكتب اليه «أن القوس أمان لأهل الأرض من الفرق. والحجرة باب السماء الذي تنشق منه الأرض. وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من النهار فالبحر الذي أفرج عن بني اسرائيل وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس رضى الله عنه * فلما الحديث الذي رواه الطبراني حدثنا أبو الزيناع روح بن الفرج

حدثنا ابراهيم بن مخلد حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابن أبي يحيى عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) « يا معاذ إني مرسلك الى قوم أهل كتاب فاذا سئلت عن الحجرة التي في السماء قتل هي لعاب حية تحت العرش » فنه حديث منكر جداً بل الأشبه أنه موضوع ورواه الفضل بن المختار هذا أبو سهل البصري * ثم انقل الى مصر قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول حدث بالأبطل . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى منكر الحديث جداً . وقال ابن عدى لا يتابع على أحاديثه لا تمتنا ولا اسنادا * وقال الله تعالى (هو الذي يرسم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) وقال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) وروى الإمام احمد عن يزيد بن هرون عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بني غفار قال سمعت رسول الله (ص) (يقول إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك) وروى موسى بن عبيدة بن سعد بن ابراهيم أنه قال إن نطقه الرعد وضحكه البرق . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام عن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مضع بذنبه فذاك البرق * وقد روى الامام احمد والترمذي والنسائي والبخاري في كتاب الأدب والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة حدثني ابن مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله اذا سمع الرعد والصواعق قال (اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك) * وروى ابن جرير من حديث ليث عن رجل عن أبي هريرة رفته كان اذا سمع الرعد قال (سبحان من يسبح الرعد بحمده) وعن علي أنه كان يقول (سبحان من سبحت له) وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاوس وغيرهم * وروى مالك عن عبد الله ابن عمر أنه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول (إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض) * وروى الامام احمد عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال قال ربكم لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذا كرا * وكل هذا مبسوط في التفسير والله الحمد والمنة *

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم

قال الله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال تعالى « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم » وقال تعالى « فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون * وقال (ومن عنده لا يستكبرون . عن عبادته ولا يستحسرون) يسبحون اليل والنهار لا يفترون » وقال تعالى « ومما نلا له مقام معلوم . وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وقال تعالى وما تنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » وقال تعالى « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » . وقال تعالى « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وقال تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقال تعالى « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » وقال تعالى « يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا * الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا » وقال تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) وقال تعالى « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » وقال تعالى « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جدا يصفهم تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا ساء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) الآيات فذكرنا في التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم في صورة شباب حسان امتحانا واختبارا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر * وكذلك كان جبريل يأتي الى

النبي (ص) في صفات متعددة فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها . له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة هرتين . مرة منهبطاً من السماء إلى الأرض . وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . وهو قوله تعالى « علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى » أي جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة * منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة « فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى » أي إلى عبد الله محمد (ص) ثم قال (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى) وقد ذكرنا في أحاديث الاسراء في سورة سبحان أن سدرة المنتهى في السماء السابعة * وفي رواية في السادسة أي أصلها وفروعها في السابعة فلما غشيها من أمر الله ما غشيها * قيل غشيها نور الرب جل جلاله * وقيل غشيها فراش من ذهب * وقيل غشيها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة * وقيل غشيها الملائكة مثل الغربان * وقيل غشيها من نور الله تعالى فلا يستطيع أحد أن ينعتها * أي من حسناتها وبهاياتها . ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع ممكن حصوله في حال واحدة * وذكرنا أن رسول الله (ص) قال . ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا ينقها كالثقال * وفي رواية كقلال هجر وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فأما الباطنان ففي الجنة . وأما الظاهران فالنيل والفرات * وتقدم الكلام على هذا في ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار * وفيه ثم رفع لي البيت المعمور وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا ينفذون إليه آخر ما عليهم * وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مستنداً ظهره إلى البيت المعمور . وذكرنا وجه المناسبة في هذا أن البيت المعمور هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض * وقد روى سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعة أن ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب عن البيت المعمور فقال هو مسجد في السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة من فوقها . حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً * وهكذا روى علي بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي مثله * وقال الطبراني أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحاله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط فإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة . يعني في الأرض وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والريبع بن أنس والسدي وغير واحد * وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله (ص) قال

يوم لا يحياه هل تدرون ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم * قال قال مسجد في السماء بمخيال الكعبة
لوخر نحر عليها يصلى فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم * وزعم
الضحاك أنه تعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس لعنه الله كان يقول سدته وخدامه
منهم والله أعلم *

وقال آخرون . في كل سماء بيت يعمره ملائكته بالعبادة فيه ويفدون اليه بالنوبة والبدل كما يعمر
أهل الأرض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعمار في كل وقت والطواف والصلاة في كل آن * قال
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى في أوائل كتابه المغازى * حدثنا أبو عبيد في حديث مجاهد « أن الحرم
حرم مناه (يعنى قدره) من السموات السبع والأرضين السبع وأنه رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء
بيت وفي كل أرض بيت لو سقطت سقطت بعضها على بعض » ثم روى مجاهد قال مناه أى مقابله وهو
حرف مقصور . ثم قال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سليمان مؤذن الحجاج سمعت
عبد الله بن عمرو يقول « إن الحرم محرم في السموات السبع مقداره من الأرض - وإن بيت المقدس
مقدس في السموات السبع مقداره من الأرض كما قال بعض الشعراء

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَهَا يَتَنَأْ دَعَامَهُ أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

واسم البيت الذى في السماء بيت العزة * واسم الملك الذى هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل * فعلى
هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم الى البيت المعمور ثم لا يعودون اليه .
آخر ما عليهم (أى لا يحصل لهم نوبة فيه الى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها .
ولهذا قال تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » وقال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل
عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مروق عن أبي ذر قال قال رسول الله «سب » إلى أرى ما لا ترون
وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تظن ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لوعلمهم
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذثتم بالنساء على الفرشات وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى
الله عز وجل » فقال أبو ذر (والله لوددت أنى شجرة تعضد) ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث
إسرائيل فقال الترمذى حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا * وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى
حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن عمران الرقى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم
ابن مالك عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (سب) (ما فى السموات السبع
موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة
قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئاً) فدل هذان الحديثان على أنه مامن موضع
في السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة . منهم من هو قائم أبداً . ومنهم

من هو رابع أبداً ومنهم من هو ساجد أبداً ومنهم من هو في صنوف آخر والله أعلم بها . وهم دائمون في عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) * وقال (ص) : (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها * قالوا وكيف يصفون عند ربهم قال يكملون الصف الأول ويتراضون في الصف) * وقال (فضلنا على الناس بثلاث * جعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها لنا طهوراً وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدي الرب جل جلاله صفوفًا كما قال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ويقفون صفوفًا بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) * والمراد بالروح ههنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقتادة * وقيل ضرب من الملائكة يشبهون بنى آدم في الشكل * قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش * وقيل جبريل * قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك * وقيل ملك يقال له الروح بقدر جميع المخلوقات * قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً * وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا داود ابن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الزابعة هو أعظم السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يحجي يوم القيامة صفاً واحداً * وهذا غريب جداً * وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصري حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله (ص) يقول « إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات والأرضين بلقمة واحدة لفعل . تسبيحه سبحانه حيث كنت » وهذا أيضاً حديث غريب جداً * وقد يكون موقوفاً * وذكرنا في صفة حملة العرش عن جابر بن عبد الله قال رسول الله (ص) « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه محقق الطبري سبعمائة عام *

وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى « علمه شديد القوى » قالوا كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعة بمن فيها من الأمم وكأثروا قريباً من أربع مائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدن من الأراضي والمعملات والعمارات وغير ذلك * رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى . وقوله ذو مرة أي خلق حسن وبهاء وسناء كما قال في الآية الأخرى « إنه لقول رسول كريم » أي جبريل رسول الله كريم أي حسن المنظر

ذى قوة أى له قوة وبأس شديد عند ذى العرش مكين أى له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش المجيد مطاع ثم أتى مضافاً فى الملام الأعلی أمين أى ذى أمانة عظيمة ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم بالوحي . فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة * وقد كان يأتى الى رسول الله (ص) ، وينزل عليه فى صفات متعددة كما قدمنا . وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين * له ستمائة جناح كما روى البخارى عن طلق بن غنم عن زائدة الشيباني قال سألت زراً عن قوله فكان قاب قوسين أو أذنى فأوحى إلى عبده مأوحى * قال حدثنا عبد الله بن مسعود أن محمداً (ص) رأى جبريل له ستمائة جناح *

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن راشد عن أبى وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله (ص) ، جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل (١) من الدر والياقوت ما الله به عليم . وقال أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى هذه الآية « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » قال قال رسول الله (ص) ، (رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل الدر والياقوت * وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين (٢) حدثنى عاصم ابن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله (ص) ، وسلم رأيت جبريل على السدرة المنتهى وله ستمائة جناح فسألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرنى قال فأخبرنى بمض أصحابه أن الجناح مابين المشرق والمغرب * وهذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها أحمد *

وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين حدثنى حصين حدثنى شقيق سمعت ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ، أثنى جبريل فى خضر تعلق به الدر * إسناده صحيح * وقال ابن جرير حدثنا ابن بزيع البغدادي قال حدثنا إسحاق بن منصور قال حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن ابن يزيد عن عبد الله (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله (ص) ، جبريل عليه حللتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض * إسناده جيد قوى * وفى الصحيحين من حديث عامر الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول « ولقد رآه بالأفق المبين ولقد رآه نزلة أخرى » فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله (ص) ، عنها فقال إنما ذاك جبريل لم يره فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين

(١) قوله التهاويل أى الاشياء المختلفة الالوان والزوايا على ما فى النهاية رأى جبريل ينتشر من جناحه الدر والتهاويل ، (٢) قوله الحسين هو ابن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كريز أبو عبد الله المروزي قاضيهما

راه منهبطا من السماء إلى الارض سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض *

وقال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر (ح) وحدثني يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن عمر ابن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، لجبريل ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت « وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا » الآية * وروى البخارى من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص)، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله (ص)، أجود بالخير من الریح المرسلة * وقال البخارى (١) حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز آخر العصر شيئا فقال له عروة أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله (ص)، فقال عمر أعلم ما تقول يا عروة قال سمعت بشير بن أبي مسعود يقول سمعت أبا مسعود يقول سمعت رسول الله (ص)، يقول نزل جبريل فأمنى فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه بحسب باصابعه خمس صلوات *

ومن صفة إسرائفيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة * أولاهن نفخة الفرع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتى بيانه فى موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه * والصور قرن ينفخ فيه . كل دائرة منه كما بين السماء والارض . وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح فتوهج فيقول الرب جل جلاله وعزتى وجلالى لترجمن كل روح إلى البدن الذى كانت تعمه فى الدنيا فتدخل على الاجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديع فتجى الاجساد وتنشق عنهم الاجداث فيخرجون منها سراعا إلى مقام المحشر كما سيأتى تفصيله فى موضعه

ولهذا قال رسول الله (ص)، « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جهته وانتظر أن يؤذن له * قالوا كيف قول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل . على الله توكلنا * رواه أحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى * وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد الطائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد قال ذكر رسول الله (ص)، صاحب الصور فقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عمر أن ابن أبى ليلى حدثني عن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس * قال ينادى رسول الله (ص)، ومعه جبريل بناحية إذ انشق أفق السماء فأقبل

(١) فى كتاب بدء الخلق نقله عن (محمود الامام)

إسرافيل يدنو من الأرض ويتمايل فإذا ملك قد مثل بين يدي النبي (ص). فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبي عبد أو ملك نبي قال فأشار جبريل إلى يديه (أن تواضع) فعرفت أنه لي ناصح فقلت عبد نبي فرجع ذلك الملك إلى السماء فقلت يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل ؟ فقال هذا إسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه يمينه وبين الرب سبعون نورا مامنهم من تور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح فإذا أذن الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرِبَ جبهته فينظر فإن كان من عملٍ أمرني به وإن كان من عمل ميكائيل أقره به وإن كان من عمل ملك الموت أمره به * قلت يا جبريل وعلى أي شيء أنت قال على الريح والجنود * قلت وعلى أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى أي شيء ملك الموت قال على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة وما الذي رأيت مني إلا خوفاً من قيام الساعة * هذا حديث غريب من هذا الوجه * وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله (ص) كان إذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم * وفي حديث الصور أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصور * وذكر محمد بن الحسن النقاش أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ * حكاه أبو القاسم السهيلي في كتابه (التعريف والاعلام) بما أبهم في القرآن من الأعلام * وقال تعالى « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل عطفهما على الملائكة لشرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره * وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة المقربين * وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا ابن عباس عن عمارة بن غزاة الانصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني المصلى يقول سمعت ثابتاً البنانى يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) أنه قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط فقال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار * فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم في القرآن وفي الصحاح هم المذكورون في الدعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل * فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأوامر . وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار * وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه . يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله . وقد روينا أنه مامن قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض » وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور . والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور . ويجازى الكفور . فذلك ذنبه مضفور . وسعيه مشكور * وهذا قد صار عمله كالهباء المثار . وهو يدعو بالويل والثبور « فجبريل عليه السلام

يحصل بما ينزل به الهدى * وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق . وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء * وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح . وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم *

وقد قال الله تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » وله أعوان يستخرجون روح العبد من جسده حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »

✓ ثم يصعدون بها فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقي بها إلى الأرض قال الله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح . وإن كان كافراً فبالضد من ذلك * عياذاً بالله العظيم من ذلك * وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ حدثنا عمر بن شمر قال سمعت جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول نظر رسول الله (ص) إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي (ص) يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طيب نفساً وقر عيناً فأتى بكل مؤمن رفيق * وأعلم أن مافي الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أنفحصهم في كل يوم خمس مرات حتى إنني أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها . قال جعفر بن محمد أبي هو الصادق بلغني بتفحصهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في تلك الحال العظيمة . هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) (الحديث) بطوله . وفيه ويأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قدمات أهل السموات والأرض إلا من شئت * فيقول الله وهو أعلم بمن بقي (فمن بقي) فيقول بقيت أنت الحى الذي لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل * فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت جبريل

وميكايل فيقول اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيدوتان «ثم يأتي ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات جبريل وميكايل فيقول الله وهو أعلم بمن بقي فمن بقي؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله لمت حملة عرشي . فتدوت . ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قد مات حملت عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي (فمن بقي) فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فت فيموت فاذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * كان آخراً كما كان أولاً * وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبراني وابن جرير والبيهقي ورواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الطولات) (١) وعنده زيادة غريبة وهي قوله فيقول الله له أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فت موتاً لا تحيى بعده أبداه

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن هاروت وماروت في قول جماعة كثيرة من السلف * وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات * وروى الامام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر وصححه ابن حبان في تقاسيمه . وفي صحته عندى نظر والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأبحار كما سيأتى بيانه والله أعلم * وفيه أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر * وعن علي وابن عباس وابن عمر أيضاً ان الزهرة كانت امرأة وأنهما لما طلبا منها ما ذكر أبت إلا أن يعلمها الاسم الأعظم فعلمها فقالت فارتفعت إلى السماء فصارت كوكبا * وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب . وهذا اللفظ احسن ما ورد في شأن الزهرة * ثم قيل كان أمرهما وقصتهما في زمان إدريس * وقيل في زمان سليمان بن داود كما حررنا ذلك في التفسير *

وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه الى كعب الأبحار كما رواه عبد الرزاق في تفسيره . عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأبحار بالقصة * وهذا أصح إسناداً وأثبت رجالاً والله أعلم *

ثم قد قيل إن المراد بقوله « وما أنزل على الملكين يابيل هاروت وماروت » قبيلان من الجان قاله ابن حزم وهذا غريب وبعيد من اللفظ * ومن الناس من قرأ وما أنزل على الملكين بالكسر ويجعلهما علجين من أهل فارس . قاله الضحاك . ومن الناس من يقول هما ملكان من السماء ولكن

(١) قال في كشف الظنون للطولات للحافظ الكبير أبي موسى محمد بن أبي بكر عمر المديني المتوفى

سبق في قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما إن صح به الخبر ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قيل إنه من الملائكة لكن الصحيح أنه من الجن كما سيأتي تقريره *

ومن الملائكة المسلمين في الحديث منكر ونكير عليهما السلام . وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر . وقد أوردناها عند قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » وهما فتانا القبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ويمتحنان البر والفاجر وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفرقة أجارنا الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت آمين * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب حدثني عروة أن عائشة زوج النبي (ص) ، حدثته أنها قالت للنبي (ص) ، (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد . قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني لى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فلم على ثم قال يا محمد فقال ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي (ص) ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيأ * ورواه مسلم من حديث ابن وهب به *

فَضْلُ الْمَلَائِكَةِ

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة الى ما هيأهم الله له أقسام * فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم ومنهم الكروكيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش . وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى « لن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون * ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبلهم وأزواجهم وذرياتهم . إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته . وذلك هو الفوز العظيم) ولما كانت سجايام هذه السهجة الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال « اذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل *

ومنهم سكان السموات السبع يعبرونها عبادة دائبة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال « يسبحون

الليل والنهار لا يفترقون * فمنهم الراكع دائماً والقائم دائماً والساجد دائماً * ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة الى البيت المعمور كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم * ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لاهلها وتهية الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن وما كَل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *

وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الاحاديث * ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية * ومقدمهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة . وهم المذكورون في قوله تعالى (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) الآية . وقال تعالى « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك . قال انكم ما كنتم لثقتنا لكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » وقال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال تعالى (عليها تسعة عشر ومجعلنا أحساب النار إلا ملائكة ومجعلنا عنهم إلا فئة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتلب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء * وما يعلم جنود ربك إلا هو)

وهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به . ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » * له مقببات من بين يديه ومن خلفه يحفظون من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله قوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال « قال الوالي عن ابن عباس (له مقببات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وهي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله * قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام . وليس شئ يأتيه يريد الا قال وراءك الاشئ يأذن الله فيه فيصيبه . وقال أبو اسامة (ما من آدمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له . وقال أبو مجاز جاء رجل الى علي فقال ان فرا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه ان الأجل جنة حصينة .

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وقال تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون * قال الحافظ أبو محمد

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسيره حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا
سفيان ومسلم عن علقمة بن يزيد عن مجاهد قال قال رسول الله (ص) أكرموا الكرام الكاتبين
الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم حائط أو
بعيره أو يستتره أخوه * هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده من طريق جعفر بن
سليمان * وفيه كلام عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) إن الله ينهاكم
عن التعري فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى
ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل . فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجذم حائط أو بعيره .
ومعنى أكرمهم أن يستحي منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فإن الله خلقهم كراما في
خلقهم وأخلاقهم * ومن كرمهم أنه قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن والمسانيد من
حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله (ص) أنه قال لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا
جنب . وفي رواية عن عاصم بن ضمرة عن علي (ولا بول) وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعا
لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال . وفي رواية مجاهد عن أبي هريرة مرفوعا لا تدخل الملائكة بيتا
فيه كلب أو تمثال . وفي رواية ذكر أن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا تصحب
الملائكة رقة معهم كلب أو جرس . ورواه زرارة بن أوفى عنه لا تصحب الملائكة رقة معهم جرس *
وقال البزار حدثنا اسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقولس . حدثنا بيان بن حران حدثنا
سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) إن ملائكة
الله يعرفون بني آدم (وأحسبه قال) ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكره
بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجاة الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكره بينهم
وسموه . وقالوا هلك فلان الليلة * ثم قال سلام أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث . وقد قال
البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله
(ص) الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يرجع
إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون . وأتيناهم وهم
يصلون * هذا اللفظ في كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ تفرد به دون مسلم من هذا
الوجه * وقد أخرجاه في الصحيحين في البدء من حديث مالك عن أبي الزناد به * وقال البزار حدثنا
زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس
قال قال رسول الله (ص) ما من حافظين يرفضان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة
وفي آخرها استغفارا إلا قال الله غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة * ثم قال تفرد به تمام بن نجيح

وهو صالح الحديث * قلت وقد وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وابن عدى ورواه ابن حبان بالوضع وقال الامام أحمد لأعرف حقيقة أمره والمقصود أن كل انسان له حافظان ملكان اثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل * وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال . كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »

فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر * حدثنا سفيان . حدثنا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) . ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير . انفرد باخراجه مسلم من حديث منصور به فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الانسان وانما هو موكل به ليهديه ويرشده باذن ربه الى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لايألوه جهدا في الخبال والاضلال . والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان *

وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ، اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يسمعون الذكر وهكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وهو في الصحيحين من وجه آخر * وقد قال الله تعالى « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » * وقال الامام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي (ص) * وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، في قوله « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار * ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أسباط * وقال الترمذي حسن صحيح * قلت وهو منقطع *

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي (ص) * قال فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة . ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر . يقول أبو هريرة لم أقرأ ان شئتم « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ، اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فبات غضبان لعلها ملائكة حتى تصبح * تابعه شعبة وأبو حمزة وأبو داود وأبو معاوية عن

الأعشى . وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل بلفظ اذا قال الامام آمين فان الملائكة تقول في السماء آمين فن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا (اللهم ربنا ولك الحمد) فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك * وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد هوشك (يعنى الاعشى) قال قال رسول الله (ص) إن الله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا اقواما يذكرون الله فنادوا هلموا الى بضيتكم فيحيئون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله أى شئ تركتم عبادى يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لورأوني فيقولون لورأوك لكانوا أشد تحميذا وتمجيذا وذكرنا قال فيقول فأى شئ يطلبون فيقولون يطلبون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول وكيف لورأوها فيقولون لورأوها لكانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا قال فيقول من أى يتعوزون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد منها هربا وأشد منها خوفا . قال فيقول اشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال فيقول ان فيهم فلانا الخطاء لم يردم وإنما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم *

وهكذا رواه البخارى عن قتبية عن جرير بن عبد الحميد عن الأعشى به . وقال رواه شعبة عن الأعشى ولم يرفعه . ورفعه سهيل عن أبيه . وقد رواه أحمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه كما ذكره البخارى معلقا عن سهيل . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب به . وقد رواه الامام أحمد أيضا عن غندر عن شعبة عن سليمان (هو الاعشى) عن أبي صالح عن أبي هريرة كما أشار اليه البخارى رحمه الله * وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية . حدثنا الاعشى وابن نمير * أخبرنا الاعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة * ومن سلك ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحققهم الملائكة وذكروهم الله فيمن عنده * ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه * وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية * وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبي اسحاق عن الأغر (أبي مسلم) عن

أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله (ص). قال ما اجتمع قوم يذكرون الله الا حتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده * وكذا رواه أيضا من حديث إسرائيل وسفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق به نحوه * ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذي من حديث الثوري وقال حسن صحيح * ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم عن عمار بن زريق عن أبي إسحاق بإسناد نحوه * وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة * وفي مسند الامام أحمد والسنن عن أبي الدرداء مرفوعا (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أي تتواضع له كما قال تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وقال تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله (ص) قال إن لله ملائكة سياحين في الأرض ليلفوني عن امتي السلام * وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان الاعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به * وقال الامام أحمد. حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم * وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به . والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جدا * وقد ذكرنا ما يسهره الله تعالى وله الحمد *

فَضْلُ الْمَلَائِكَةِ

وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال . فأكثر ما توجد هذه المسئلة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم وأقدم كلام رأيته في هذه المسئلة ما ذكره الحافظ بن عساكر في تلخيصه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلسا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر ما أحد أكرم على الله من كريم بن آدم . واستدل بقوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراك ابن مالك ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله الى أنبيائه . واستدل بقوله تعالى « ماتها كما ربكنا عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي ما تقول أنت يا أبا حمزة * قال قد أكرم الله آدم فخلق يده وفنخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره الملائكة * فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله * وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » مضمونه أنها ليست بخاصة بالبشر * فان الله قد وصف الملائكة بالآيمان في

قوله « ويؤمنون به » وكذلك الجنان « وانما سمعنا الهدى آمنا به » « وانما لنا المسلمون » قلت وأحسن ما يستدل به في هذه المسئلة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو أصح قال لما خلق الله الجنة قالت الملائكة ياربنا اجعل لنا هذنا كل منها ونشرب فانك خلقت الدنيا لبني آدم فقال الله لن اجعل صالح ذرية من خلقت يدي كن قلت له كن فكان*

باب خلق الجنان وقصة الشيطان

قال الله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجنان من نار فبأي آلاء يكذبان » وقال تعالى « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجن خلقناه من قبل من نار السموم » وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد (من نار) قالوا من طرف اللهب وفي رواية من خالصة وأحسنه* وقد ذكرنا آثما من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) خلقت الملائكة من نور وخلق الجنان من نار وخلق آدم مما وصف لكم رواد مسلم* قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان قبلهم في الأرض الحن والبش فسلط الله الجن عليهم فقتلهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم . وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سمو الجن لانهم خزان الجنة . وكان ابليس مع ملكه خازنا فوق في صدره انما أعطاني الله هذا المزية لي على الملائكة . وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء بعث الله اليهم ابليس ومعه جند من الملائكة فقتلهم وأجلوهم عن الأرض الى جزائر البحور *

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل . وكان من سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهدا وأكثرهم علما وكان من حى يقال لهم الجن* وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عنه كان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من أولى الاجنحة الاربعة* وقد أسند عن حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة* وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا . وكان له سلطان الأرض* وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس كان يسوس ما بين السماء والأرض رواه ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا* وقال الحسن البصري لم يكن من الملائكة طرفة عين وانه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر* وقال شهر ابن حوشب وغيره كان ابليس من الجن الذين طردوهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به الى السماء . رواه ابن جرير* قالوا فدا

أراد الله خلق آدم ليكون في الأرض هو وذريته من بعده وصور جثته منها جعل ابليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبادة إذ ذاك وكان اسمه عزازيل يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك * وقال أمالئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لأعصينك فلما أن فسخ الله في آدم من روحه كما سيأتي وأمر الملائكة بالسجود له دخل ابليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين مخالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ في قوله وابتعد من رحمة ربه وأنزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه مخلوق من نار وهم من نور فخافه طبعه في أحوج ما كان اليه ورجع الى أصله الناري (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

فأهبط ابليس من الملائكة الأعلى وحرّم عليه قدر أن يسكنه فنزل الى الأرض حقيرا ذليلا مذموما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس الا انه مع ذلك جاهد كل الجهد على اضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد كما قال (أرايتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني الى يوم القيامة لاحتكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والأولاد وعدمهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً)

وسندكر القصة مستفاضة عند ذكر خلق آدم عليه السلام * والمقصود أن الجان خلقوا من النار وهم كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون * ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما أخبر تعالى عنهم في سورة الجن في قوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم * يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب اليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين) وقال تعالى (قل أوحى الى آتة استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشدا فامنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وانه كان يقول سفيها على الله شططا . وأن ظننا أنا لن نقول الا نس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا * وأننا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأننا كنا نهد منها مقاعد لسمع فن يستمع الآن يجد له شهابا

رصدنا . وانا لاندرى أشرف أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدنا * وأنا لما الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا * وأنا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا . وأنا لما سمعنا الهدى أمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . وأنا لما المساهون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحروا رشدنا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه . ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا) وقد ذكرنا تفسير هذه السورة وتامم القصة في آخر سورة الاحقاف * وذكرنا الاحاديث المتعلقة بذلك هنالك * وأن هؤلاء النفر كانوا من جن (نصيبين) وفي بعض الآثار من جن (بصرى) وأنهم مروا برسول الله (ص) . وهو قائم يصلى بأصحابه يبطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته . ثم اجتمع بهم النبي (ص) ، ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم (كل عظم ذكر اسم الله عليه تجددونه أوفر ما يكون لما وكل روثه علف لدوابكم) ونهى النبي (ص) أن يستنجى بهما وقال (إنهما زاد إخوانكم) الجن . ونهى عن البول في السرب لأنها مساكن الجن . وقرأ عليهم رسول الله (ص) سورة الرحمن فما جعل يمر فيها بآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . وقد أثنى عليهم النبي (ص) ، في ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتوا . فقال (الجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد) . رواه الترمذى عن جبير وابن جرير والبخاري عن ابن عمر *

وقد اختلف في مؤمنى الجن هل يدخلون الجنة أو يكون جزاء طائفتهم ان لا يعذب بالنار قط . على قولين الصحيح أنهم يدخلون الجنة لعموم القرآن * ولعموم قوله تعالى « ولن خاف مقام ربه جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » فامتن تعالى عليهم بذلك فلو لا أنهم ينالونه لما ذكره وعده عليهم من النعم * وهذا وحده دليل مستقل كاف في المسئلة وحده والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه أن أبا سعيد الخدرى قال له (إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة) * قال أبو سعيد سمعته من رسول الله (ص) . * افرد به البخارى دون مسلم *

وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر إبليس عدو آدم أبى البشر وقد سلطه هو وذريته على آدم وذريته . وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم . كما قال « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا » وقال تعالى « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها

في شك وربك على كل شيء حفيظ » وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)

وقال (واذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي قمعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس مالك أن لا تكون من الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقتني من صلصال من حمأ مسنون قال فخرج منها فانك رجيم وإن عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأفطرني إلى يوم يبعثون . قال فإنيك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الارض ولا أغوينهم أجمعين . إلا عبادك المحصلين قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من العاوين . وان جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)

وقد ذكر تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وههنا وفي سورة سبحان وفي سورة طه وفي سورة ص * وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضعه في كتابنا التفسير والله الحمد * وسنوردها في قصة آدم إن شاء الله * والمقصود أن إبليس أنظره الله الى يوم القيامة محنة لمبادء واختبارا منه لهم كما قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك . وربك على كل شيء حفيظ) * وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام) *

فإبليس لعنه الله حتى الآن منظر الى يوم القيامة بنص القرآن * وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويمتد سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن * وقد قال الله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا وكان اسمه قبل . مصيته العظيمة عزازيل * قال النقاش وكنيته (أبو كردوس) ولهذا لما قال النبي (ص) لابن صياد ما ترى قال أرى عرشا على الماء . فقال له النبي (ص) . (احسأ فلن تمدو قدرك) فعرف أن مادة مكاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر * ولهذا قال له احسأ فلن تمدو قدرك أي لن تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة *

والدليل على أن عرش إبليس على البحر الذي رواه الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني معاذ التميمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) . (عرش إبليس في البحر يبعث

سراياه في كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس» ورواه (١)
وقال أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت
رسول الله (ص) يقول (عرش إبليس على البحر يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم
فتنة) تفرد به من هذا الوجه *

وقال أحمد حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله (ص) لابن صائد (ما ترى . قال أرى عرشا على الماء أو قال على البحر حوله حيات)
قال (ص) ذاك عرش إبليس * هكذا رواه في مسند جابر *

وقال في مسند أبي سعيد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن
أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال لابن صائد (ما ترى قال أرى عرشا على البحر حوله الحيات) فقال
رسول الله (ص) صدق ذاك عرش إبليس *

وروى الامام أحمد من طريق معاذ التميمي وأبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
(ص) إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون ولكن في التحريش (٢) بينهم * وروى الامام مسلم
من حديث الأعمش عن أبي سفيان طاحه بن نافع عن جابر عن النبي (ص) قال «إن الشيطان يضع عرشه
على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة . ينجي أحدهم فيقول ما زالت
بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئا . وينجي أحدهم فيقول
ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال فيقر به ويدنيه ويقول نعم أنت . يروى بفتح النون بمعنى نعم أنت
ذاك الذي تستحق الاكرام . وبكسر ها أي نعم منك * وقد استدلل به بعض النحاة على جواز كون فاعل
نعم مضرا وهو قليل * واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج الاول ورجحه ووجهه بما ذكرناه والله اعلم
وقد أوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» يعني أن السحر المتعلق
عن الشياطين من الانس والجن يتوصل به الى التفرقة بين المتألفين غاية التألف المتوادين المتحابين
ولهذا يشكر إبليس سعي من كان السبب في ذلك . فالذي ذمه الله يمدحه والذي يغضب الله يرضيه
عليه لعنة الله * وقد أنزل الله عز وجل سورتي المعوذتين مطردة لأنواع الشر وأسبابه وغاياته . ولا سيما
سورة «قل أعوذ برب الناس ملك الناس إليه الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس» . وثبت في الصحيحين عن أنس . وفي صحيح البخاري عن صفية بنت حسين
أن رسول الله (ص) قال «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» *

(١) يابض بالأصليين مقداره ما ترى (٢) قوله في التحريش متعلق بمقدار أي سعى بينهم في التحريش

بالخصومات والشحناء والحروب

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن جبيرة حدثنا عدى بن أبي عمارة حدثنا زياد النخعي عن أنس قال قال رسول الله (ص)، «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي التزم قلبه فذلك الوسواس الخناس * ولما كان ذكر الله مطردة للشيطان عن القلب كان فيه تذكير للناس كما قال تعالى «واذكر ربك إذا نسيت» وقال صاحب موسى «وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره» وقال تعالى «فأنساه الشيطان ذكر ربه» يعني الساقى لما قال له يوسف اذكرني عند ربك نسي الساقى أن يذكره لربه يعني مولاه الملك. وكان هذا النسيان من الشيطان فلبث يوسف في السجن بضع سنين * ولهذا قال بعده «وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة» أى مدة * وقرئ بعد أمة أى نسيان. وهذا الذى قلنا من أن الناسى هو الساقى هو الصواب من القولين كما قررناه فى التفسير والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا ثيمة يحدث عن رديف رسول الله (ص)، قال عثر بالنبي (ص)، حمارة فقلت نفس الشيطان فقال النبي (ص)، (لا تقل نفس الشيطان فانك إذا قلت نفس الشيطان تعظم وقال بقوتى صرعته وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب) * تفرد به أحمد وهو إسناده جيد * وقال أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأيس به كما يئس الرجل بدابته فإذا سكن له زهقه أو ألجه * قال أبو هريرة وأنتم ترون ذلك. أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر إلا الله * وأما الملجم ففأتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد * وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعنى ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، «العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم» * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال (جاء رجل الى النبي (ص)، فقال يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشئ لأن آخر من السماء أحب الى من أن اتكلم به) فقال النبي (ص)، «الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة» * ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والأعمش كلاهما عن أبي ذر به *

وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة قال قال أبو هريرة قال رسول الله (ص)، «يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله وليتبه * وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ومن حديث الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به * وقد قال الله تعالى «إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون» وقال تعالى «وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون» وقال تعالى «وإما يزرغنيك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه سميع عليم» وقال تعالى

(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) . وروى الامام أحمد وأهل السنن من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد قال كان رسول الله (ص) يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) . وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وإبي أسامة الباهلي . وتفسيره في الحديث (فهزمه الموتة وهو الخلق الذي هو الصرع . ونفخه الكبر . ونفثه الشر) وثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله (ص) كان اذا دخل اخلاء قال «أعوذ بالله من الخبث والخبائث» قال كثير من العلماء استعاذ من ذكر ان الشياطين وإنهم * وروى الامام أحمد عن شريح عن عيسى بن يونس عن ثور عن الحسين عن ابن سعد الخير وكان من اصحاب عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (ومن أتى الفأط فليستتر فان لم يجد الا أن يجمع كتيبا فليستدبره فان الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج) * ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ثور بن يزيد به . وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن عدي بن ثابت قال قال سليمان بن صرد استب رجلان عند النبي (ص) ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي (ص) (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد . لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبي (ص) فقال إني لست بمجنون . ورواه أيضا مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الاعمش *

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال (لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله) * وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاسناد وهو في الصحيح من غير هذا الوجه *

وروى الامام أحمد من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عروة عن عائشة عن رسول الله (ص) أنه قال (من أكل بشماله أكل معه الشيطان ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان) * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن أبي زياد الطحان سمعت أبا هريرة يقول عن النبي (ص) أنه رأى رجلا يشرب قائما فقال له (قه) قال لم . قال (أيسرك أن يشرب معك الهر) قال لا قال (فانه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان) * تفرد به احمد من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء) قال وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) بمثل حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير أنه سأل جابراً

سمعت النبي (١) (ص) قال (إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لاميت لكم ولا عشاء ههنا. وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركتم الميت. وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم الميت والعشاء. قال نعم * وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرن الشيطان » أو (الشياطين) لأدري أي ذلك قال هشام * ورواه مسلم والنسائي من حديث هشام به * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال رأيت رسول الله (ص) يشير إلى المشرق فقال « هاإن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا من حيث يطالع قرن الشيطان » * هكذا رواه البخاري منفردا به من هذا الوجه * وفي السنن أن رسول الله (ص) نهى أن يجلس بين الشمس والظل. وقال إنه مجلس الشيطان * وقد ذكرنا في هذا معاني من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بالخلقة فيما يرى كان يحبه الشيطان لأن خلقته في نفسه مشوه وهذا مستقر في الأذهان. ولهذا قال تعالى (طاعها كأنه رؤس الشياطين) الصحيح أنهم الشياطين لا ضرب من الحيات كما زعمه من زعمه من المفسرين والله أعلم * فإن النفوس مغرور فيها قبح الشياطين وحسن خلق الملائكة وإن لم يشاؤا. ولهذا قال تعالى « طاعها كأنه رؤس الشياطين » وقال النسوة لما شاهدن جمال يوسف (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم). وقال البخاري حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا ابن جريج أخبرني عطاء عن جابر عن النبي (ص) قال (إذا استجنح) أو (كان جنب الليل) فكفوا صيايكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم (٢) وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفي مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخر إناك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئا » ورواه أحمد عن أحمد عن يحيى عن ابن جريج وعنده فإن الشيطان لا يفتح مقلنا. وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن قط (٣) عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله (ص) « أغلقوا أبوابكم وخرؤا آيتكم وأوكوا أسقيتكم وأطفؤا سرجكم فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ولا يكشف غطاء ولا يحل وكاء وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله يعني الفأرة. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور عن سالم بن ابى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي (١) قوله سمعت النبي الخ بفتح التاء وهو استفهام من جابر عن الحديث الآتي فهو بيان لسؤال ابن الزبير جابرا. وجوابه قوله الآتي نعم (٢) المراد من الحل بلغاء المهلة المفتوحة اخلاء سيلهم (٣) قوله عن قط كذا بالاصول وليس من الروات من تسمى هذه

أهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه . . . وحدثنا الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله *

ورواه أيضا عن موسى بن إسماعيل عن همام عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان) * وقال البخاري حدثنا إسماعيل حدثنا أخى عن سليمان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد . يضرب على كل عقدة مكانها» عليك ليل طويل فارقد «فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة . فان توضأ انحلت عقدة . فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه . وقال البخاري حدثنا إبراهيم عن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فان الشيطان يبيت على خيشومه) ورواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردي . والنسائي عن محمد بن زبور عن عبد العزيز بن أبي حازم كلاهما عن يزيد بن الهادي به * وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال «ذكر عند النبي (ص) رجل نام ليله ثم أصبح قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » أو قال (في أذنه) *

ورواه مسلم عن عثمان واسحاق كلاهما عن جرير به . وأخرجه البخاري أيضا والنسائي وابن ماجه من حديث منصور بن المعتمر به . وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف أنبأنا الأوزاعي عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فاذا قضى اقبل فاذا ثوب بها ادبر فاذا قضى اقبل حتى يخطر بين الانسان . وقلبه . فيقول اذكر كذا وكذا حتى لا يدري أم ثلاثا صلى أم أربعا فاذا لم يدرك أم ثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتي السهو» هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه . وقال احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا جعفر يعني الأحمر عن عطاء بن السائب عن أنس قال قال رسول الله (ص) «راصوا الصفوف فان الشيطان يقوم في الخلخل » وقال أحمد حدثنا ابن حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبي (ص) كان يقول راصوا الصفوف وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فواللذي نفس محمد بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الخذف * وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) «إذا مر بين يدي أحدكم شيء فليمنه فان أبي فليمنه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان» ورواه أيضا مسلم وأبو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن

حميد بن هلال به * وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا بشير بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني * ثم قل حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه يقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت يدي فما زلت أحتقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل * وروى أبو داود منه فمن استطاع الى آخره عن أحمد بن أبي سريح عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن محمد بن الزبير به .

وقال البخاري حدثنا محمود حدثنا شعبة حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) « أنه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي فسد على لقطع الصلاة على فمكنني الله منه » فذكر الحديث * وقد رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به مطولاً *

ولفظ البخاري عند تفسير قوله تعالى اخباراً عن سليمان عليه السلام أنه قال « رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب » من حديث روح وغندر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إن عفريتاً من الجن قفلت على البازحة) أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فمكنني الله منه فاردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه . كما كنتم فذكرت قول أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب) قال روح فردّه خاسئاً * وروى مسلم من حديث أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قام رسول الله (ص) يصلي فسمعناه يقول (اعوذ بالله منك) ثم قال (الملك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك فقال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات . ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موقاً يلعب به ولدان أهل المدينة . وقال تعالى (فلا تفرسكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الثرور) يعني الشيطان وقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) فالشيطان لا يألو الانسان خبالاً جهده وطاقته في جميع أحواله وحرركاته وسكناته كما صنف الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً في ذلك سماه (مصائد الشيطان) وفيه فوائد جمة وفي سنن أبي داود إن رسول الله (ص) كان يقول في دعائه . وأعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت . وروينا في بعض الاخبار أنه قال (يارب وعزك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني) وقال الله تعالى (الشيطان

يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) فوعده الله هو الحق المصدق ووعد الشيطان هو الباطل . وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » * وقد ذكرنا فى فضل سورة البقرة أن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه . وذكرنا فى فضل آية الكرسي أن من قرأها فى ليلة لا يقربه الشيطان حتى يصبح . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (من قال لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك . وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث مالك . وقال الترمذى حسن صحيح .

وقال البخارى أنبأنا أبو اليان أنبأنا شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال (ص) كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يده من فطن فى الحجاب . ثم رد به من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا عاصم بن علي حدثنا بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « التائب من الشيطان فاذا تائب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا قال (ها) ضحك الشيطان » . ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث ابن أبي ذئب به * وفى لفظ (اذا تائب أحدكم فليكظم ما استطاع فان الشيطان يدخل) وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قل قال رسول الله (ص) « إن الله يحب العطاس ويغض أو يكره التائب فاذا قال أحدكم هاها فانما ذلك الشيطان يضحك من جوفه . ورواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عجلان به . وقال البخارى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن أشعث عن أبيه عن مسروق قال قالت عائشة سألت النبي (ص) عن التفات الرجل فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم . وكذا رواه أبو داود والنسائى من رواية أشعث بن أبي الشعثاء سليم بن أسود المحاربى عن أبيه عن مسروق به *

وروى البخارى من حديث الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن

أبيه قال قال رسول الله (ص)، « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلما بخافه فليصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره ». وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، « لا يشيرن أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار ». أخرجاه من حديث عبد الرزاق .
وقل الله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير)
وقال « انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد . لا يسمعون الى الملائكة الا على ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »
وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « وما تنزل به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » وقال تعالى اخبارا عن الجان « وأنا نسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهابا . وانا كننا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا »

وقال البخاري وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ان أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي (ص)، قال الملائكة تحدث في العنان (والعنان الغمام) بالأمريكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن كما تقرأ القارورة فيزيدون معها مائة كلمة (١) . هكذا رواه في صفة ابليس معلقا عن الليث به . ورواه في صفة الملائكة عن سعيد بن أبي مريم عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابى الاسود عن عروة عن عائشة بنحوه * تفرد بهذين الطريقين دون مسلم * وروى البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث الزهري عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال « قلت عائشة سألت ناس النبي (ص)، عن الكهان فقال « انهم ليسوا بشيء » * فقالوا يا رسول الله إنهم يحدو ننا أحيانا بشيء فيكون حقا فقال (ص)، تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجن فيقرقها في اذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة * هذا لفظ البخاري *

وقال البخاري حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله (ص)، قال « اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بجناحها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان . فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال . الحق وهو العلي الكبير . فيسمعها مسترق السمع . ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض . ووصف سفيان بكفه فخرقها وبدد بين أصابعه . فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر او الكاهن . فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها وربما القاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة

كذبة فيقال ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا . فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .
 افرد به البخاري * وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين زين العابدين عن ابن عباس
 عن رجال من الانصار عن النبي (ص)، نحو هذا . وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن قهض
 له شيطانا فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت
 بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقال تعالى (وقيضنا لهم قرناه فزينوا لهم ما بين ايديهم وما
 خلفهم) الآية وقال تعالى (وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدي
 وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل
 نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فعلوه
 فذرهم وما يفترون . ولتصفي اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)
 وقد قدمنا في صفة الملائكة ما رواه أحمد ومسلم من طريق منصور عن سالم بن أبي الجهم عن
 أبيه واسمه رافع عن ابن مسعود قل قال رسول الله (ص)، ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه
 من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا
 يأمرني الا بخير *

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه واسمه حصين بن جندب
 وهو أبو ظبيان الجنبى عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، ليس منكم من أحد الا وقد وكل به
 قرينه من الشياطين قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم * تفرد به أحمد وهو
 على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا هارون حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابو صخر عن
 يزيد بن قسيط حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي (ص)، حدثته أن رسول الله (ص)،
 «خرج من عندها ليلا قالت ففرت عليه قالت فجاء فرأى ما صنع فقال مالك يا عائشة أغرت قالت قتلت
 ومالي أن لا يغار مثلى على مثلك فقال رسول الله (ص)، «أفأخذك شيطانك قالت يا رسول الله أو معى
 شيطان . قال نعم . قلت ومع كل انسان . قال نعم . قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربى أعاننى
 عليه حتى أسلم * وهكذا رواه مسلم عن هارون وهو ابن سعيد الأيل بإسناده نحوه .

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن ابى هريرة أن
 النبي (ص)، قال «ان المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بعيه في السفر» تفرد به أحمد من هذا الوجه
 ومعنى لينصى شيطانه ليأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير اذا شرد ثم غلبه . وقوله تعالى
 إخبارا عن ابليس «قال فبا أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تبينهم من بين ايديهم ومن
 خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » *

قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو ذميل هو عبد الله بن عقيل الثقفي حدثنا موسى ابن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكه قال سمعت رسول الله (ص) قال «إن الشيطان قد لابن آدم بأطرفة قدم له بطريق الاسلام فقال أنسلم وتذر دينك ودين آبائك . قال فعصاه وأسلم قال وقدم له بطريق الهجرة قال أتهاجر وتذر ارضك وسماؤك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فمصاد وهاجر . ثم قدم له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال أقتاتل فتقتل فتكبح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد » قال رسول الله (ص) « فمن فعل ذلك منهم كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان كان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جبير بن ابى سليمان ابن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله (ص) يدع هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسي « اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » قال وكيع يعني الخسف ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به . وقال الحاكم صحيح الاسناد *

باب خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة . قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها . ثم عرضهم على الملائكة . فقال أنبؤني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلهما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا حيث شئتما . ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه . وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . فالتقى آدم من ربه كلمات . فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى . فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (يا أيها

الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام . إن الله كان عليكم رقيبا) كما قال « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وقال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » الآية وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نلر وخلقته من طين . قال فاهبط منها . فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يعثون . قال انك من المنظرين . قال فما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها ملثوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لها الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين . فدلها ما بغرور . فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا . وإن لم نقترب لينا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) . كما قال فى الآية الاخرى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) . وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجنان خلقناه من قبل من نلر السموم . واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته وفخنت فيه من روحى قعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأنظرنى الى يوم يعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولا أغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من العاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . قال أسجد لمن خلقت طينا . قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتسكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم

جزاؤكم جزاء موفورا . واستغفر من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدمهم وما يعدم الشيطان الاغرورا . ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنتي بربك وكيلًا) وقال تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه . افئتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا» وقال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل قنسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا لا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى . قلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظأ فيها ولا تضجى . فوسوس اليه الشيطان . قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطقما يخصفان عليهما من ورق الجنة . وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضهم لبعض عدو . فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) . وقال تعالى (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون . ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون إن يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين . اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشر من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فتهوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين . قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من النظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لا غوينهم أجمعين إلا عبداك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين . قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين . ان هو الا ذكر للعالين . ولتعلمن نبأه بعد حين) *

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن * وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير * ولندكر ههنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الاحاديث الواردة فى ذلك عن رسول الله (ص) * والله المستعان *

فاخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم « انى جاعل فى الارض خليفة » أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال (وهو الذى جعلكم خلائف فى الارض فاخبرهم بذلك على سنيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالامر العظيم قبل كونه قالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لاعلى وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض

جهلة المفسرين * قالوا (أنجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قيل علموا ان ذلك كائن بمارأو من كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة *

وقال عبد الله بن عمر كانت الجن قبل آدم بالفي عام فسفكوا الدماء فبعث الله اليهم جندا من الملائكة فطردوهم الى جزائر البحور * وعن ابن عباس نحوه . وعن الحسن ألهوا ذلك * وقيل لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقبل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له الشجل . رواء بن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر * وقيل لانهم علموا ان الارض لا يخلق منها الامن يكون بهذه المثابة غالبا (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) اى نبيدك دائما لا يعصيك منا أحد * فان كان المراد يخلق هؤلاء ان يعبدوك فيها نحن لا نفتقر ليلا ولا نهارا (قال إني أعلم مالا تعلمون) أى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هؤلاء مالا تعلمون أى سيوجد منهم الانبياء والمرسلون والصديقون والشهداء ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال (وعلم آدم الاسماء كلها) * قال ابن عباس هى هذه الاسماء التى يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجرى وحمار وأشياء ذلك من الامم وغيرها * وفى رواية علمه اسم الصحيفة والقدر حتى الفسوة والنفسية * وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شئ * وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد * وقال الربيع علمه أسماء الملائكة * وقال عبد الرحمن ابن زيد علمه اسماء ذريته والصحيح أنه علمه اسماء الذوات وافعالها مكبرها ومصغرها كما أشار اليه ابن عباس رضى الله عنهما * وذكر البخارى هنا ما رواه هو ومنسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) قال (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجدك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ) وذكر تمام الحديث * (ثم عرضهم على الملائكة فقال ابنهونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) قال الحسن البصرى (لما اراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا) وذلك قوله (ان كنتم صادقين) وقيل غير ذلك كما بسطناه فى التفسير قالوا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) أى سبحانك أن يحيط أحد بشئ من علمك من غير تعليمك كما قال (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) اى أعلم السر كما اعلم العلانية * وقيل إن المراد بقوله واعلم ما تبدون ما قالوا أنجمل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام ابليس حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدى والضحاك والثورى واختاره ابن جرير * وقال ابو العالية والربيع والحسن وقتادة (وما كنتم تكتمون) قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه * قوله (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا)

الا ابليس أبى واستكبر) هذا! كرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما
 قل (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فهذه أربع تشریفات خلقه له بيده
 السكينة ونفخه فيه من روحه . وأمره الملائكة بالسجود له وتعليمه اسماء الاشياء ولهذا قال له موسى
 السكينة حين اجتمع هو واباه في الملا الأعلى وتناظرا كما سيأتى (أنت آدم أبو البشر الذى خلقك
 الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ . وهكذا يقول أهل
 المحشر يوم القيامة كما تقدم وكما سيأتى ان شاء الله تعالى وقال فى الآية الاخرى (ولقد خلقناكم ثم
 صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك
 ان لا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) * قال الحسن البصرى
 قاس ابليس وهو أول من قاس * وقال محمد بن سيرين أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس
 ولا القمر الا بالمقاييس * رواهما ابن جرير ومعنى هذا انه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم
 فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الامر له ولسائر الملائكة بالسجود .
 والقياس اذا كان مقابلا للنص كان فاسد الاعتبار * ثم هو فاسد فى نفسه فان الطين أنفع وخير من النار
 فان الطين فيه الرزاق والحلم والأناة والنمو والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والاحراق * ثم آدم
 شرفه الله بخلق له بيده ونفخ فيه من روحه * ولهذا أمر الملائكة بالسجود له * كما قال (اذ قال ربك
 للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
 ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا ابليس مالك
 أن لا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * قال
 فاخرج منها فانك رجيم * وان عليك اللعنة الى يوم الدين) استحق هذا من الله تعالى لانه استلزم تنقصه
 لآدم وازدراؤه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الاهى ومعاودة الحق فى النص على آدم على التبيين
 وشرع فى الاعتذار بما لا يجدى عنه شيئا - وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى فى سورة سبحان
 (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أسجد لمن خلقت طينا * قال أرايتك هذا
 الذى كرمت على لئن اخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا * قل اذهب فن تبك منهم
 فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستغفر من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
 وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدمهم وما يعدم الشيطان الا غرورا * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
 وكفى بربك وكيل) وقال فى سورة الكهف (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
 كان من الجن ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعة الله عمدا وعنادا واستكبارا عن امثال أمره
 وما ذاك الا لأنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان اليها فانه مخلوق من نار كما قل وكما قدرنا فى

صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله (ص): قال (خلق الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) *

قال الحسن البصري . لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين قط . وقال شهر بن حوشب . كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله اليهم جنداً من الملائكة قتلهم وأجلهم الى جزائر البحار وكان ابليس ممن أسر فأخذوه معهم الى السماء فكان هناك . فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع ابليس منه . وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون . كان ابليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا . قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل : وفي رواية عن الحارث قال النقاش وكنيته (أبو كردوس) قال بن عباس . وكان من حى من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علماً وعبادة وكان من أولى الاجنحة الاربعة فسخره الله شيطانا رجيا . وقال في سورة ص « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي قفعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين . قال انا خير منه خلقتني من نر وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لا ملئن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين » وقال في سورة الاعراف (قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا يبينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) أى بسبب اغوائك اباى لأقعدن لهم كل مرصد ولا تينهم من كل جهة منهم فالسعيد من خالفه والشقي من اتبعه *

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل (هو عبد الله بن عقيل الثقفي) حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله (ص) قال (ان الشيطان يقعد لابن آدم بأطرقه) وذكر الحديث كما قدمناه في صفة ابليس *

وقد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم . أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور . أو المراد بهم ملائكة الأرض . كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس . وفيه اقطاع . وفي السياق نكارة وان كان بعض المتأخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياقات الاول ويدل عليه الحديث وأسجد له ملائكته وهذا عموم أيضا والله أعلم . وقوله تعالى لا بليس (اهبط منها) و (اخرج منها) دليل على أنه كان في السماء فأمر بالهبوط منها والخروج من المنزل والمكانة التي كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بأكبره وحسده

ومخالفته لربه فأهبط الى الارض مذثوما مدحورا . وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وقال في الأعراف (قال اخرج منها مذثوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملئن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي قتلنا يا آدم، ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظلم فيها ولا تضحق) وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وهذا قد صرح به اسحاق ابن بشار وهو ظاهر هذه الآيات ولكن حكى السدى عن ابى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة . خلقها الله من ضلعه . فسألها من أنت قالت امرأة قال ولما خلقت قالت لتسكن الى فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه (ما اسمها يا آدم) قال حواء قالوا ولم كانت حواء قال لانها خلقت من شئ حى . وذكر محمد ابن اسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الا قصر الايسر وهو نائم ولأن مكانه لحا ومصدق هذا فى قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية وفى قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قلما تنفشاها حملت حملا خفيفا فمرت به) الآية وستكمل عليها فيما بعد ان شاء الله تعالى *

وفى الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الاشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى (ص) أنه قال (استوصوا بالنساء خيرا - فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج شئ فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) لنظ البخارى

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » فقيل هى الكرم وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال وتزعم يهود أنها الحنطة . وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى ووهب بن منبه وعطية العوفى وأبى مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبى ليلي * قال وهب والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل * وقال الثورى عن ابى حصين عن أبى مالك ولا تقربا هذه الشجرة هى النخلة * وقال ابن جريج عن مجاهد هى التينة وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو العالية كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينفى فى الجنة حدث *

وهذا الخلاف قريب * وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها * ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها
لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن *

وانما الخلاف الذي ذكره في ان هذه الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الارض هو
الخلاف الذي ينبغى فصله والخروج منه والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات
والإحاديث كقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) والالف واللام ليست للعموم ولا
لمعهود لفظي وانما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة المأوى وكقول موسى عليه السلام
لآدم عليه السلام (علام أخرجتنا ونفسك من الجنة) الحديث كما سيأتي الكلام عليه * وروى مسلم
في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق عن أبي حازم سلمة بن دينار عن أبي
هريرة * وأبو مالك عن ربي عن حذيفة قال قال رسول الله (ص)، (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون
حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا
خطيئة أيكم) وذكر الحديث بطوله * وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليست
تخلو عن نظر *

وقال آخرون بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لانه كلف فيها ان لا يأكل من تلك
الشجرة ولانه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه ابليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى . وهذا
القول يحكى عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة
في المعارف والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره وأفرد له مصنفنا على حدة . وحكاه عن أبي حنيفة
الامام واصحابه رحمهم الله . ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي بن خطيب الري في تفسيره عن أبي
القاسم البلخي وأبي مسلم الاصبهاني . ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والتقدمية * وهذا القول هو
نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب * ومن حكي الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل
والنحل وأبو محمد بن عطية في تفسيره وأبو عيسى الرمازي في تفسيره *

وحكى عن الجمهور الاول . وأبو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال واختلف
في الجنة التي أسكنها يعنى آدم وحواء على قولين * أحدهما أنها جنة الخلد * الثاني جنة أعدها الله لهما
وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا اختلفوا على قولين * أحدهما
أنها في السماء لانه ابطها منها وهذا قول الحسن * والثاني أنها في الارض لانه امتحنها فيها بالنهي عن
الشجرة التي نهيها عنها دون غيرها من الثمار . وهكذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر ابليس
بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك *

هذا كلامه . فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة واشعر كلامه أنه متوقف في المسألة . ولقد حكي

أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردتها الماوردي . ورابعها الوقف * وحكي القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي . وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب فقالوا لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قدرى لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال (أخرج منها مذءوماً مدحوراً) وقال (اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) وقال (أخرج منها فانك رجيم) والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياً ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدر في المكان الذي طرده عنه وابعده منه لاعتلى سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز * قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له (هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) وبقوله (مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين . أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكمان الناصحين . فدلأهما بفرور) الآية وهذا ظاهر في اجتماعهما في جنتهما . وقد احيوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها وأنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء . وفي الثلاثة نظر . والله أعلم . ومما احتج به أصحاب هذه المقالة ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في الزيادات عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب قال (إن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً من عنب الجنة . فانطلق بنوه ليطلبوه له . فلقيتهم الملائكة فقالوا إن تريدون يا بني آدم فقالوا إن أبانا اشتهى قطفاً من عنب الجنة . فقالوا لهم (ارجعوا فقد كفيتموه) فأنهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه . وقالوا . (هذه سنتكم في موتاكم) وسيأتي الحديث بسنده . وتام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام . قالوا فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكناً لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها في الأرض لا في السماء والله تعالى أعلم *

قالوا والاحتجاج بأن الألف واللام في قوله ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود عليه فهو الممهود الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام فإن آدم خلق من الأرض ولم ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون في الأرض وبهذا أعلم الرب الملائكة حيث قال (إني جاعل في الأرض خليفة) قالوا وهذا كقوله تعالى (أنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) فالألف واللام ليس للعموم ولم يتقدم ممهود لفظي وإنما هي للممهود الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال الله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية وإنما كان في السفينة حين استقر على الجودي ونضب الماء

عن وجه الارض أمر أن يهبط اليها هو ومن معه مبارك عليه وعليهم . وقال الله تعالى (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) الآية وقال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله) الآية . وفي الاحاديث واللغة من هذا كثير *

قلوا ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الارض ذات اشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى (إن لك أن لا تنجوع فيها ولا تعرى) أى لا يزل باطنك بلجوع ولا ظاهرك بالعرى . وانك لا تنظأ فيها ولا تضجى) أى لا يمس باطنك حر الظأ ولا ظاهرك حر الشمس . ولهذا قرن بين هذا وهذا وبين هذا وهذا لما بينهما من الملايمة . فلما كان منه ما كان من اكلكه من الشجرة التي نهى عنها اهبط الى ارض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعي والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان واختلاف السكان دينا واخلاقا واعمالا وقصودا وإرادات واقوالا وافعالا كما قال تعالى (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى (وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء

قلوا وايس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما فكل من حكى عنه هذا القول من السلف واكثر الخلف ممن ثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والاحاديث الصحاح كما سيأتى ايرادها في موضعها والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *

وقوله تعالى (فأزلهما الشيطان غمها) أى عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من النعيم والنضرة والسرور الى دار التعب والكدر والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما كما قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما . وقال ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) يقول ما نها كما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أى ولو اكلتا منها لصرتما كذلك (وقاسمهما) أى حلف لهما على ذلك (انى لكما لمن الناصحين) كما قال فى الآية الأخرى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أى هل أدلك على الشجرة التي اذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمرت في ملك لا يبيد ولا يتقضى وهذا من التغرير والتزوير والاخبار بخلاف الواقع *

والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي اذا اكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) (ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد) *

وكذا رواد أيضا عن غندر (وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسي فى مسنده عن شعبة أيضا به *

قال غندر قلت لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي *

تفرد به الامام أحمد * وقوله (فدلها بفرور فلما ذاقا الشجرة بدت لها سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) كما قال في « طه » أكلتا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حَدَّثَتْهُ عَلَى أكلها والله أعلم *

وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله أنبأنا معمر عن همام ابن منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص) نحوه لولا بنوا اسرائيل لم يخنز (١) اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها . تفرد به من هذا الوجه وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن أبي وهب عن عمرو بن حارث عن أبي يونس عن أبي هريرة به * وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء على الاكل من الشجرة هي الحية وكانت من احسن الاشكال وأعظمها فاكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لا بليس فعند ذلك افتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فوصلا من ورق التين وعلما يمازروا فيها أنهما كانا عريانين * وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فان نقل الكلام من لغة الى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما من لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا فلم هذا وقع في تعريبهم لما خطأ كثير لفظا ومعنى * وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما) فهذا لا يرد لغيره من الكلام والله تعالى أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن بن اسكاف حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله (ص) (ان الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشد في الجنة فأخذت شعرد شجرة فنازعها فناداه الرحمن عز وجل يا آدم متى تفرقا فسمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء * وقال الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) ورق التين * وهذا اسناد صحيح اليه وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالى أعلم *

وروى الحافظ بن عساكر من طريق محمد بن اسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصري عن ابي بن كعب قال قال رسول الله (ص) ان اباكم آدم كان كلنخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر موارد العورة فلما أصاب الخطيئة في الجنة بدت له سواته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت ناصيته

(١) قوله لم يخنز أي لم ينتن

فناداه ربه أفرارا متى يا آدم قال بل حياء منك والله يارب مما جئت به * ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبي بن كعب عن النبي (ص) بنحوه . وهذا أصح فان الحسن لم يدرك أيما * ثم أورده أيضا من طريق خيثمة بن سليمان الاطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة العسقلاني عن آدم بن أبي اياس عن شيان عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه * (وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا اعتراف ورجوع الى الانابة وتذلل وحضوع واستسكانة وافتيقار اليه تعالى في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته الا كانت عاقبته الى خير في دنياه وأخراه (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) وهذا خطاب لآدم وحواء وابليس قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين * وقد يستشهد لذكر الحية معها بما ثبت في الحديث عن رسول الله (ص) أنه أمر بقتل الحيات وقال ماسألناهن منذ حاربناهن وقوله في سورة طه (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) هو أمر لآدم وابليس واستتبع آدم حواء وابليس الحية * وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرت اذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) والصحيح ان هذا لما كان الحاكم لا يحكم الا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال وكنا لحكمهم شاهدين وأما تكريره الالهباط في سورة البقرة في قوله وقلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فلما يأتيكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فقال بعض المفسرين المراد بالالهباط الاول الهبوط من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض . وهذا ضعيف لقوله في الاول (قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) فدل على أنهم اهبطوا الى الارض بالالهباط الاول والله أعلم *

والصحيح أنه كرهه لفظا وان كان واحدا وناط مع كل مرة حكما فناطق بالا ولعداوتهم فيما بينهم وبالتالي الاشتراط عليهم أن من تبع هداي الذي ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الاسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم .

وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جواره فتزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقرل العفو العفو فقال الله فرارا متى قال بل حياء منك ياسيدي وقال الاوزاعي

عن حسان هو بن عطية مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده حين قتل أربعين عاما * رواه ابن عساكر *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال أهبط آدم عليه السلام الى ارض يقال له دحنا بين مكة والطائف * وعن الحسن قال أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وابليس بدستيسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية باصبعان رواه ابن أبي حاتم أيضا * وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الاسود وبقبضة من ورق الجنة فبته في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك * وعن ابن عمر قال أهبط آدم بالصفاء وحواء بالمروة. رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال ان الله حين أهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شئ وزوده من ثمار الجنة فثاركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير * وقال الحاكم في مستدركه أنبأنا أبو بكر بن بالوية عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمر عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه * وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها) وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة) وقال احمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن أبي عمار عن عبد الله بن فروخ عن أبي هريرة عن النبي (ص) : قال (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم *

فاما الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا محمد بن جعفر الوركاني حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال قال رسول الله (ص) : (هبط آدم وحواء عريانين جميعا عليهما ورق الجنة فأصاباهم الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد أذااني الحر قال فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغفل وعليها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج وقال كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما باكلهما من الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على حدة ينام احدهما في البطحاء والاخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما أتاه جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال صالحة) فانه حديث غريب ورفعه منكر جدا * وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكري البصري. قال فيه البخاري منكر الحديث. وقال ابن حبان يروى الموضوعات وقال بن عدى مظلم الامر وقوله (فلحق آدم من ربه كالت فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) قيل هي قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) * روى

هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقادة ومحمد بن كعب وخاله بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله (ص)، (قال آدم عليه السلام أرايت يارب ان تبت ورجعت أعائدي الى الجنة قال نعم) فذلك قوله. (فخلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا غريب من هذا الوجه وفيه اقطاع *

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكلمات (اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين . اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب اني ظلمت نفسي فتاب علي انك انت التواب الرحيم) * وروى الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس (فخلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال قال آدم يارب ألم تخلفني بيدك . قيل له بلى . ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكتبت علي أن أعمل هذا قيل له بلى . قال أفرأيت ان تبت هل أنت راجي الى الجنة . قال نعم * ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه * وروى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص). (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد أن غفرت لي فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال يارب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله الا الله محمد رسول الله فعملت انك لم تضاف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق اليّ واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك * قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله أعلم وهذه الآية كقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى)

رحمك آدم وموسى عليهما السلام

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم . قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتولمني على أمر قد

كتبه الله على قبل أن يخلقني أو قدره على قبل أن يخلقني قال رسول الله (ص)، فخرج آدم موسى *
وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن أيوب بن النجار به * قال
أبو مسعود الدمشقي ولم يخرجاه عنه في الصحيحين سواء * وقد رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر
عن همام عن أبي هريرة * ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به *

وقال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا أبو شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن
أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي اخرجتك
خطيئتك من الجنة فقال له آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومني على أمر قد
على قبل أن أخلق * قال رسول (ص)، (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) مرتين * قلت وقد روى هذا
الحديث البخاري ومسلم من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص)، نحوه
وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة
عن النبي (ص)، (قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قل فقال آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه
تلومني على عمل أعلمه كتب الله عليّ قبل أن يخلق السموات والارض قال فخرج آدم موسى * وقد رواه
الترمذي والنسائي جميعا عن يحيى بن حبيب بن عدي عن معمر بن سليمان عن أبيه عن الاعمش به * قال
الترمذي وهو غريب من حديث سليمان التيمي عن الاعمش قال وقد رواه بعضهم عن الاعمش
عن أبي صالح عن أبي سعيد قلت هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن مثنى عن
معاذ بن أسد عن الفضل بن موسى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد . ورواه البزار أيضا حدثنا
عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن
النبي (ص)، فذكر نحوه ، وقال أحمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع طاووسا سمع أبا هريرة يقول قال
رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له
آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالاته وأخط لك يده) أتولموني على أمر قدره
الله عليّ قبل أن يخلقني باربعين سنة قال حج آدم موسى حج آدم موسى (وهكذا رواه
البخاري عن علي بن المديني حدثنا عن سفيان قال حفظناه من عمرو عن طاووس قال سمعت أبا هريرة
عن النبي (ص)، قال (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال
له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وأخط لك يده) أتولموني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني باربعين
سنة فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى هكذا ثلاثا .

قال سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص)، مثله * وقد رواه الجماعة

إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفیان بن عیینة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص)، بنحوه * وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته واسكنك الجنة ثم فعلت . فقال أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسالته وأنزل عليك التوراة أنا أقدم أم الذکر قال لا بل الذکر فخرج آدم موسى *

قل أحمد وحدثنا عنان حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص)، وحيد عن الحسن عن رجل قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي (ص)، قال لقي آدم موسى فذكر معناه . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا الحسن حدثنا جرير هو ابن حازم عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله بيده واسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم صنعت ما صنعت * قال آدم يا موسى أنت الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة * قال نعم * قال فهل تجده مكتوبا على قبل ان أخلق * قال نعم * قال (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وكذا رواه حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه وكذا رواه علي بن عاصم عن خالد وهشام عن محمد بن سيرين * وهذا على شرطهما من هذه الوجوه * وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذباب عن يزيد بن هرم سمعت أبا هريرة يقول . قال رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى عذرهما فخرج آدم موسى . قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك * قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه / وأعطاك الألواح فيها) بيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة * قال موسى باربعين عاما * قال آدم فهل وجدت فيها « وعصى آدم ربه فغوى » قال نعم * قال أفأعلمني على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخالفني باربعين سنة . قال . قال رسول الله (ص)، « فخرج آدم موسى »

قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرم بذلك عن أبي هريرة عن رسول الله (ص)، وقد رواه مسلم عن اسحق بن موسى الانصاري عن أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن يزيد بن هرم والاعرج كلاهما عن أبي هريرة عن النبي (ص)، بنحوه ، وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، « احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار . فقال آدم يا موسى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أن أهبط . قال نعم . قال فخرجه آدم » وهذا على شرطهما ولم يخرجاه

أخرجكم الذي رتب الاخراج على أكل من الشجرة والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله عز وجل فأت تلومني على أمر ليس له نسبة الى أكثر ما أتى نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها وكون الاخراج مترتباً على ذلك ليس من فعلي فأتألم أخرجكم ولا نفسي من الجنة وإنما كان هذا من قدرة الله وصنعه وله الحكمة في ذلك فلم ذا حج آدم موسى *

ومن كذب بهذا الحديث فمأندلانه متواتر عن أبي هريرة رضي الله عنه ونأهيك به عدالة وحفظاً واتقاناً * ثم هو مروي عن غيره من الصحابة كما ذكرنا . ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة آنفاً فهو بعيد من اللفظ والمعنى . وما فيهم من هو أقوى مسلماً من الجبرية . وفيما قالوه نظر من وجود * (أحدها) أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله (الثاني) أنه قد قتل نفسه لم يؤمر بقتلها وقد سأل الله في ذلك بقوله « رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له » الآية (الثالث) أنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لا فتتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله فيحتج بالقدر السابق فيفسد باب القصاص والحدود ولو كان القدر حجة لا محتج به كل أحد على الأمر الذي ارتكبه في الأمور الكبار والصغار وهذا يفضي الى لوازم فظيمة . فلهذا قال من قال من العلماء بان جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالقدر على المصيبة لا المعصية والله تعالى أعلم .

للعمامة المروية في خلق آدم

قال الامام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر حدثنا عوف حدثني قسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي (ص) قال (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك ورواه أيضا عن هوزة عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعري قال قال رسول الله (ص) (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والسهل والحزن وبين ذلك . والخبيث والطيب وبين ذلك) . وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي (ص) بنحوه . وقال الترمذي حسن صحيح *

وقد ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) قالوا (فبعث الله عز وجل جبريل في الارض ليأتيه بطين منها فقات الأرض أعوذ بالله منك ان تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذبها

فبعث ميكائيل فعادت منه فاعادها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعادت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أفقد أمره فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا (واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض) ثم قال للملائكة (إني خالق بشرا من طين . فإذا سويته وفتحت فيه من روحي فقموا له ساجدين) فخلقه الله بيده لثلا يتكبر ابليس عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففرغوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فرعا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره وقال للملائكة لا تهابوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمك ربك فلما دخلت الروح في عيذه نظر الى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجله عجلان الى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى « خلق الانسان من عجل » (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الاحاديث وان كان كثير منه متلقى من الاسرائيليات فقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قال (لما خلق الله آدم تركه ماشاء أن يدعه فجعل إبليس يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتكلم) وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هبة ابن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال (لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال الحمد لله رب العالمين فقال له تبارك وتعالى يرحمك الله) *

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا حبان بن حلال حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن حبيب عن حنص هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبي هريرة رفعه قال (لما خلق الله آدم عطس فقال الحمد لله فقال له ربه رحمك ربك يا آدم) وهذا الاسناد لا بأس به ولم يخرجوه . وقال عمر بن عبد العزيز « لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم اسرافيل فاتاه الله أن كتب القرآن في جبهته » رواه ابن عساكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عمرو بن محمد عن اسمعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « ان الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان حما مسنونا خلقه وصوره ثم تركه حتى اذا كان صلصلا كالفخار قال فكان ابليس يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم . ثم نفخ الله فيه من روحه

فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعتس فلقيه الله رحمة به فقال الله . يرحمك ربك . ثم قال الله يا آدم اذهب الى هؤلاء النفر فقل لهم (١) فانظر ماذا يقولون فجاء فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . فقال يا آدم هذا تحتك وتحت ذريتك . قال يارب وما ذريتي قال اختر يدى يا آدم قال اختار يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين وبسط كفه فاذا من هو كلن من ذريته فى كف الرحمن فاذا رجال منهم أفواهم النور فاذا رجل يعجب آدم نوره قال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فكم جعلت له من العمر قال جعلت له ستين قال يارب فأنم له من عمرى حتى يكون له من العمر مائة سنة ففعل الله ذلك وأشهد على ذلك فلما نفذ عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم أو لم يبق من عمرى أربعون سنة قال له الملك أولم تعطها ابنك داود فجحد ذلك فجحدت ذريته ونسبى فنسبت ذريته * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى (ص) . وقال الترمذى حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقال النسائى هذا حديث منكر وقد رواه محمد ابن عجلان (٢) عن سعيد المقبرى عن ابيه عن عبد الله بن سلام * وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أى رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه فقال أى رب من هذا قال هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أى رب زده من عمرى أربعين سنة فلما اقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمرى أربعون سنة قال أو لم تعطها ابنك داود . قال فجحد فجحدت ذريته ونسبى آدم فنسبت ذريته وخطى آدم فخطت ذريته) ثم قال الترمذى حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى (ص) ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وروى ابن أبى حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعا فذكره وفيه (ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك واذا فيهم الأجدم والابرص والأعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يارب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر نعمتى) . ثم ذكر قصة داود . وستأتى من رواية ابن عباس أيضا * وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا أبو الربيع عن يونس

(١) قوله قتل لهم كذابا لأصول ساقطا منه المقول وهو السلام عليكم أونحوه (٢) قوله عن سعيد

المقبرى الخ صوابه عن ابيه عن أبى سعيد المقبرى عن عبد الله بن سلام اهـ عن (محمود الامام)

ابن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الدرداء عن النبي (ص)، قال (خلق الله آدم حين خلقه فضرِب كَتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر وضرب كَتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم . فقال للذى فى يمينه . الى الجنة ولا أبلى . وقال للذى فى كَتفه اليسرى الى النار ولا أبلى *

وقال ابن ابى الدينا حدثنا خلف بن هشام حدثنا الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قال « خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفته اليمنى وأخرج أهل النار من صفته اليسرى فآلقوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلى * فقال آدم يارب الاسويت بين ولدى * قال يا آدم انى أردت ان أشكر » وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه * وقد رواه ابو حاتم وابن حبان فى صحيحه فقال حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له ربه يرحمك ربك يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملائمتهم جلوس فسلم عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله . ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية بنيك ينهم وقال الله ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكنتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطهما فاذا فيهما آدم وذريته فقال اى رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك واذا كل انسان منهم مكتوب عمره بين عينيه واذا فيهم رجل أضوؤهم » أو « من أضوؤهم لم يكتب له الا أربعون سنة قال يارب ما هذا . قال هذا ابنك داود وقد كتب الله عمره أربعين سنة * قال أى رب زد فى عمره فقال ذاك الذى كتب له قال فاقى قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال انت وذاك * اسكن الجنة . فاسكن الجنة ماشاء الله ثم هبط منها وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لى ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود » هذا لفظه .

وقد قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا . ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يجيبونك فأنها تحيك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليكم ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل المخلوق يتقص حتى الآن . » . وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به ، وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)، قال كان طول آدم ستين ذراعا فى سبع أذرع عرضا . افرد به احمد .

وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله (ص) « إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم ان الله لما خلق آدم ومسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارى الى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه فرأى بينهم رجلا يزهر قال أى رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أى رب كم عمره قال ستون عاما قال أى رب زد فى عمره قال لا الا أن ازیده من عمرك وكان عمر آدم الف عام فزاده أربعين عاما . فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لقبضه قال إنه قد بقى من عمرى أربعون عاما . فقيل له إنك قد وهبتها لابنك داود . قال ما فعلت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة » وقال احمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) (إن أول من جحد آدم قالها ثلاث مرات ان الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره فأخرج ذريته فعرضهم عليه فرأى فيهم رجلا يزهر فقال أى رب زد فى عمره قال لا الا ان تزيد أنت من عمرك فزاده أربعين سنة من عمره . فكتب الله تعالى عليه كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما أراد أن يقبض روحه قال إنه بقى من أجلي أربعون سنة فقيل له إنك قد جعلها لابنك داود قال فجحد قال فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البيتة فأتىها لداود مائة سنة وأنتم لا آدم عمره الف سنة * تفرد به أحمد وعلي بن زيد فى حديثه نكارة * ورواه الطبرانى عن على بن عبد العزيز عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن قال (لما نزلت آية الدين قال رسول الله (ص) (إن أول من جحد آدم ثلاثا) وذكره * وقال الامام مالك بن أنس فى موطئه عن زيد بن أبي أنيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب اخبره عن مسلم بن يسار الجهمى ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (ص) يسأل عنها فقال (ان الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال رسول الله (ص) اذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار)

وهكذا رواه الامام احمد وابو داود والترمذى والنسائى وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه من طرق عن الامام مالك به * وقال الترمذى هذا حديث حسن * ومسلم بن يسار

لم يسمع عمر * وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة * وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقة عن عمر بن جثعم عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث * قال الحافظ الدار قطنى وقد تابع عمر بن جثعم أبو فروة بن يزيد بن سنان الراوى عن زيد بن أبي أنيسة قال وقولهما أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله *

وهذه الاجاديت كلها دالة على استخراجها تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين أهل اليمن وأهل الشمال وقال هؤلاء للجنة ولا أبلى وهؤلاء للنار ولا أبلى . فأما الاشهاد عليهم واستنطاقهم بالأقرار بالوحدانية فلم يجبىء فى الأحاديث الثابتة . وتفسير الآية التى فى سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر كما ينهه هناك . وذكرنا الأحاديث والآثار مستقصاة بأسانيدها وألفاظ متونها . فمن أراد تحريره فليراجعهم ثم والله أعلم *

فأما الحديث الذى رواه أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعنى ابن حازم عن كاثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى (ص) قال (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه . ثم كلمهم قبلا قال (الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غفلين أو تقولوا) الى قوله (المبطلون) فهو باسناد جيد قوى على شرط مسلم * رواه النسائى وابن جرير والحاكم فى مستدركه من حديث حسين ابن محمد المروزى به . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه الا أنه اختلف فيه على كاثوم بن جبر فروى عنه مرفوعا وموقوفا . وكذا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا . وهكذا رواه العوفى والوالبى والضحاك وأبو جرة عن ابن عباس قوله * وهذا أكثر وأثبت والله أعلم *

وهكذا روى عن عبد الله بن عمر موقوفا ومرفوعا والموقوف أصح * واستأنس القائلون بهذا القول وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم الجمهور بما قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنى عبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبى (ص) قال (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شئ أكنت متديا به قال فيقول نعم . فيقول قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئا فأيت الا أن تشرك بى) أخرجاه من حديث شعبة به وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قوله تعالى (واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية والتى بعدها قال فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه الى يوم القيامة فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فشكلوا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم (أست بربكم قالوا بلى) الآية قال فأتى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد

عليكم أباكم آدم أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعلّموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشاركوا
 بي شيئاً وإني سأرسل اليكم رسلاً ينذرونكم عهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتابى - قالوا نشهد أنك
 ربنا والهنّا لارب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى
 فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك * فقال يارب لو سويت بين عبادك فقال إني أحببت
 أن أشكر . ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى
 يقول الله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم
 وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وهو الذى يقول (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها
 لا تبديل لخلق الله) وفى ذلك قال (هذا نذير من النذر الاولى) وفى ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم
 من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) رواه الأئمة عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم وابن جرير
 وابن مردويه فى تفاسيرهم من طريق أبى جعفر * وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن
 البصرى وقتادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث وتقدم أنه
 تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الإلهى وامتنع إبليس من السجود له حسداً
 وعداوة له فطرده الله وأبعده وأخرجه من الحضرة الإلهية وفناه عنها وأهبطه الى الأرض طريداً
 ملعوناً شيطاناً رجيماً *

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع . ويعلى ومحمد ابنا عبيد قالوا حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن
 أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : (إذا) قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول
 ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فى النار . ورواه مسلم من حديث
 وكيع وأبى معاوية عن الأعمش به . ثم لما أسكن آدم الجنة التى أسكنها سواء كانت فى السماء أو فى
 الأرض على ما تقدم من الخلاف فيه أقام بها هو وزوجته حواء عليهما السلام يأكلان منها رغداً حيث
 شآءا فلما أكلتا من الشجرة التى نهاى عنها سلبا ما كانا فيه من اللباس وأهبطا الى الأرض * وقد ذكرنا
 الاختلاف فى مواضع هبوطه منها * واختلفوا فى مقدار مقامه فى الجنة فقليل بعض يوم من أيام الدنيا
 وقد قدمنا ما رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وتقدم
 أيضاً حديثه عنه وفيه (يعنى) يوم الجمعة خلق آدم وفيه أخرج منها فإن كان اليوم الذى خلق فيه فيه أخرج
 وقلنا إن الأيام الستة كهذه الأيام فقد لبث بعض يوم من هذه . وفى هذا نظر وإن كان إخراجهم فى غير
 اليوم الذى خلق فيه أو قلنا بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد
 والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة . قال ابن جرير ومعلوم أنه خلق فى آخر ساعة
 من يوم الجمعة والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر فكث مصورا طيناً قبل أن ينفخ فيه .

الروح أربعين سنة وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثاً وأربعين سنة. وأربعة أشهر والله تعالى أعلم * وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار خبر عطاء بن أبي رباح أنه كان لما أهبط رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فخطه الله إلى ستين ذراعاً * وقد روى عن ابن عباس نحوه . وفي هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن * وهذا يقتضي أنه خلق كذلك لا أطول من ستين ذراعاً وأن ذريته لم يزالوا ينقص خلقهم حتى الآن *

وذکر ابن جریر عن ابن عباس إن الله قال يا آدم إن لي حرماً بحیال عرشي فانطلق فابن لي فيه بيتاً فطاف به كما تطوف ملائكتي بعرشي وأرسل الله له ملكاً فعرفه مكانه وعلمه المناسك . وذکر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك *

وعنه أن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل بسبع جبات من حنطة فقال ما هذا قال هذا من الشجرة التي نهيت عنها فأكلت منها فقال وما أصنع بهذا قال ابذره في الأرض فبذره وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف فنبئت فخصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) *

وكان أول كسوتهم من شعر الضأن جزاه ثم غزلاه فتنسج آدم له جبة ولحواء درعاً وخماراً * واختلفوا هل ولد لهما بالجنة شيء من الأولاد فقبل لم يولد لهما إلا في الأرض * وقيل بل ولد لهما فيها فكان قابيل وأخته ممن ولد بها والله أعلم *

وذكروا أنه كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وأمر أن يزوج كل ابن أخت أخيه التي ولدت معه والآخر بالأخرى وهلم جرا ولم يكن تحل أخت لأخيها الذي ولدت معه

قصة قابيل وهابيل

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بلحقا إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسسطيدي إليك لاقلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) * قد تكلمنا على هذه القصة في سورة المائدة في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد *

ولندكر هنا ملخص ما ذكره أئمة السلف في ذلك * فذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن

ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكركل بطن بأثني الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج باخت قاييل وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فاراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى فأمرهما أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السموات على بنيه فأين والأرضين والجبال فأين فتقبل قاييل بمحفظ ذلك . فلما ذهب قربا قربانهما فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قاييل حزمة من زرع من ردى ززرعه فترلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قاييل فغضب وقال لا قتلتك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين * وروى عن ابن عباس من وجوه أخرى عن عبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن يبسط إليه يده * وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مباشرا لتقربهما القربان والتقبل من هابيل دون قاييل فقال قاييل لآدم إنما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي وتوعد أخاه فيما بينه وبينه . فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي فبعث آدم أخاه قاييل لينظر ما أبطأ به فلما ذهب إذا هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني فقال إنما يتقبل الله من المتقين . فغضب قاييل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله * وقيل إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته * وقيل بل خنقه خنقا شديدا وعضا كما تفعل السباع فمات والله أعلم *

وقوله له لما توعد بالقتل (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) دل على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتودع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه) وقوله (إني أريد أن تبوء بأثمي وأثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) أي إني أريد ترك مقاتلتك وإن كنت أشد منك وأقوى إذ قد عازمت على ما عازمت عليه أن تبوء بأثمي وإثمك أي تتحمل إثم قتلي مع مالك من الآثام المتقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد وليس المراد أن آثام المقتول تتحول بمجرد قتله إلى القاتل كما قد توهمه بعض قاله ابن جرير حكى الإجماع على خلاف ذلك *

وأما الحديث الذي يورده بعض من لا يعلم عن النبي (ص) أنه قال مترك القاتل على المقتول من ذنب فلا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضا ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يوم القيامة يطالب المقتول القاتل فتكون حسنات القاتل لا تنق بهذه المظلمة فتتحول من سيئات المقتول إلى القاتل كما ثبت به الحديث الصحيح في سائر المظالم والقتل

من أعظمها والله أعلم . وقد حررنا هذا كله في التفسير والله الحمد *

وقد روى الامام احمد وأبو داود والترمذي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال عند فتنة عثمان ابن عفان أشهد أن رسول الله (ص) قال (انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي) قال أفرأيت ان دخل على يتي فبسط يده الى ليقتلني قال كن كابن آدم . ورواه بن مردويه عن حذيفة بن اليمان مرفوعا وقال كن كخير ابني آدم . وروى مسلم وأهل السنن الا النسائي عن أبي ذر نحو هذا

وأما الآخر فقد قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ووكيع قال حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) (لا تقتل نفس ظالما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل) * ورواه الجماعة سوى أبي داود من حديث الأعمش به وهكذا روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابراهيم النخعي انهما قالا مثل هذا سواء * ويجعل قاسيون شمالي دمشق منارة يقال لها مغارة الدم مشهورة بانها المكان الذي قتل قابيل أخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب فلهذا أعلم بصحة ذلك * وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة احمد بن كثير وقال إنه كان من الصالحين أنه رأى النبي (ص) وأبا بكر وعمر وهابيل وأنه استخلف هابيل ان هذا دمه فخلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابته الى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله (ص) وقال إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس * وهذا منام لو صح عن احمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعي والله أعلم * وقوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فاصبح من النادمين) ذكر بعضهم أنه لما قتله حملة على ظهره سنة وقال آخرون حملة مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين * قال السدي بأسناده عن الصحابة اخوين فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر فلما قتله عمد الى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه فلما رآه يصنع ذلك قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه *

وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا وأنه قال في ذلك شعرا وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد

تغيرت البلادُ ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيحُ
تغير كلُّ ذي لونٍ وطعم وقلَّ بشاشة الوجه المليح
(فأجيب آدم)

أبا هابيلُ قد قُتلا جميعاً وصارَ الحيّ كالميتِ الذبيح
وجاء بشرّةٍ قد كان منها على خوفٍ فجاءها يصيح

وهذا الشعر فيه نظر وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بلغته فالفه بعضهم إلى هذا وفيه أقوال والله أعلم * وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه فسلقت ساقه إلى فخذه وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت تنكيلا به وتعجيلا لذنبه وبغية وحسده لأخيه لأبويه * وقد جاء في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال (ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) *

والذي رأيته في الكتاب الذي بأيدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة أن الله عز وجل أجله وأنظره وأنه سكن في أرض نود في شرق عدن وهم يسمونه قنين وأنه ولد له خنوخ وخنوخ عندر ولعندر محوايل ولمحوايل متوشيل ولمتوشيل لامك وتزوج هذا امرأتين عدا وصلا فولدت عدا ولدا اسمه ابل وهو أول من سكن القباب واقتنى المال وولدت أيضا نوبل وهو أول من أخذ في ضرب النخج والصنج وولدت صلا ولدا اسمه توبلقين وهو أول من صنع النحاس والحديد وبنتا اسمها بعي وفيها أيضا أن آدم طاف على امرأته فولدت غلاما ودعت اسمه شيث وقالت من أجل أنه قد وهب لي خلفا من هابيل الذي قتله قابيل وولد لشيث أنوش قالوا وكان عمر آدم يوم ولد له شيث مائة وثلاثين سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وكان عمر شيث يوم ولد له أنوش مائة وخمسة وستين وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين . وولد له بنون وبنات غير أنوش فولد لأنوش قينان وله من العمر تسعون سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان عمر قينان سبعين سنة ولد له مهلاييل وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لمهلاييل من العمر خمس وستون سنة ولد له يرد وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثلاثين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان ليرد مائة سنة واثنان وستون سنة ولد له خنوخ وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له متوشلح وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لمتوشلح مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لامك وعاش بعد ذلك سبعين سنة واثنين وثمانين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان للامك من العمر مائة واثنان وثمانون سنة ولد له نوح وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسة وتسعين سنة . وولد له بنون وبنات فلما كان لنوح خمسمائة سنة ولد له بنون سام وحام ويافث هذا مضمون ما في كتابهم صريحا *

وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعين

عليهم في ذلك والظاهر انها مقحمة فيها . ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير . وفيها غلط كثير كما سند كره في مواضعه ان شاء الله تعالى * وقد ذكر الامام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم ان حواء ولدت لآدم أربعين ولدا في عشرين بطنا قاله ابن اسحق وسام الله تعالى أعلم . وقيل مائة وعشرين بطنا في كل واحد ذكر وأنثى . أولهم قاييل وأخته قليا . وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث * ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الارض ونموا كما قال الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربع مائة ألف نسمة والله أعلم * وقال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما نفشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين إليهما فلما آتاهما صالحا جعلاه شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) الآيات فهذا تنبيه أولا بذكر آدم ثم استطراد الى الجنس وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء بل لما جرى ذكر الشخص استطراد الى الجنس كما في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء وانما استطراد من شخصها الى جنسها * فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي (ص) قال (لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسميته عبد الحارث فماش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره *)

وهكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الآية وأخرجه الحاكم في مستدركه كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه * وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه فهذه علة قاذحة في الحديث انه روى موقوفا على الصحابي وهذا أشبه والظاهر أنه تلقاه من الاسرائيليات * وهكذا روى موقوفا على ابن عباس . والظاهر أن هذا متناقض عن كعب الاخبار ودوته والله أعلم * وقد فسر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا . فلو كان عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه الى غيره والله أعلم . وأيضا فلو كان تعالى انما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وليث منهما رجالا كثيرا ونساء فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن كان محفوظا . والمظنون بل المقطوع به ان رفعه الى النبي (ص) خطأ والصواب وقفه والله أعلم * وقد حررنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد .

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما في هذا . فان آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده
 ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته * وقد روى ابن حبان
 في صحيحه عن أبي ذر قال قالت يارسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا . قلت يارسول
 الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفيرة . قلت يارسول الله من كان أولهم . قال آدم . قلت
 يارسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا . وقال الطبراني حدثنا
 ابراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا نافع بن هرم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس
 قال قال رسول الله (ص) ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل وأفضل النبيين آدم وأفضل الايام يوم الجمعة
 وأفضل الشهور شهر رمضان وأفضل الليالي ليلة القدر وأفضل النساء مريم بنت عمران * وهذا إسناد
 ضعيف فان نافعا أبا هريرة كذبه ابن معين وضعفه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم والله أعلم *
 وقال كعب الاحبار ليس أحد في الجنة له حلية الا آدم . لحيته سوداء الى سترته . وليس أحد يكتفى
 في الجنة الا آدم كنيته في الدنيا أبو البشر وفي الجنة أبو محمد * وقد روى ابن عدى من طريق سبيع (١)
 ابن أبي خالد عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله مرفوعا أهل الجنة يدعون
 بأسمائهم الا آدم فانه يكتفى بأحمد * ورواه ابن عدى أيضا من حديث علي بن أبي طالب وهو ضعيف
 من كل وجه والله أعلم *

وفي حديث الاسراء الذي في الصحيحين أن رسول الله (ص) لما مر بآدم وهو في السماء الدنيا
 قال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال واذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . فاذا نظر عن
 يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى . فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا آدم وهؤلاء نسمة بني آدم فاذا نظر قبل
 أهل اليمين وهم أهل الجنة ضحك واذا نظر قبل أهل الشمال وهم أهل النار بكى هذا معنى الحديث * وقال
 أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثني حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان
 عقل آدم مثل عقل جميع ولده *

وقال بعض العلماء في قوله (ص) فررت بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن * قالوا معناه أنه
 كان على النصف من حسن آدم عليه السلام * وهذا مناسب . فان الله خلق آدم وصوره بيده الكريمة
 ونفخ فيه من روحه فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه * وقد روينا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو
 أيضا موقوفًا ومرفوعًا إن الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة ياربنا اجعل لنا هذه فانك خلقت لبني
 آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأجعل صالح ذرية من خلقت بيدي
 كن قلت له كن فـ كان . وقد ورد الحديث المروي في الصحيحين وغيرها من طرق أن رسول الله

(١) قوله سبيع بن أبي خالد كذا بالأصل ولا نعرف من الرجال من سمي بهذا الاسم «محمود الامام»

(س)، قال إن الله (خلق آدم على صورته) وقد تكلم العلماء على هذا الحديث فذكروا فيه مسالك كثيرة ليس هذا موضع بسطها والله أعلم *

وفاة آدم ووصيته لأبنيه

ومعنى شيث هبة الله وسمي به بذلك لأنها زرزقه بعد أن قتل هابيل * قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله (س)، إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف . على شيث خمسين صحيفة * قال محمد بن اسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك . قال ويقال إن انتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث . وسائر أولاد آدم غيره اقرضوا وبلادوا والله أعلم *

ولما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءت الملائكة بمنحوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة . وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام * قال ابن اسحاق وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بديالهن * وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا هبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن يحيى هو ابن ضمرة السعدي قال رأيت شيخا بالمدينة تكلم فسألت عنه فقالوا هذا أبي بن كعب . فقال إن آدم لما حضره الموت قال لابنيه أي بني إني أشتي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفوس والمساحي والمكانل فقالوا لهم يا بني آدم ماتريدون وما تطلبون أو ماتريدون وأين تطلبون قالوا أبونا مريض واشتيت من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرقهم فلاذت بآدم فقال إليك عني فأتى اثنا آتيت من قبلك فخلى بيني وبين ملائكة ربي عز وجل فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصالوا عليه . ثم ادخلوه قبره فوضعوه في قبره . ثم حثوا عليه . ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم * إسناد صحيح إليه * وروى ابن عساكر من طريق شيدان بن فروخ عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله (س)، قال كبرت الملائكة على آدم أربعا وكبر أبو بكر على فاطمة أربعا وكبر عمر على أبي بكر أربعا وكبر صهيب على عمر أربعا * قال ابن عساكر ورواه غيره عن ميمون فقال عن ابن عمر *

واختلفوا في موضع دفنه فلمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قبيس بمكة * ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدقهما بيت المقدس * حكى ذلك ابن جرير * وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس * وقد مات بعده حواء بسنة واحدة * واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا

في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً أن عمره اكتب في اللوح المحفوظ الف سنة . وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود إذا خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم * وأيضاً فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فإن ما في التوراة إن كان محفوظاً محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الإهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة *

وقال عطاء الخراساني لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام * رواه ابن عساکر فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام . وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة . فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده ولده قين . ثم من بعده ابنه مهلايل وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبني المدن والحصون الكبار . وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى . وأنه قهر ابليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها وأنه قتل خلقاً من مرده الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة . فلما مات قام بالأمر بعده ولده يرد فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده خنوخ وهو إدريس عليه السلام على المشهور *

إدريس عليه السلام

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس أنه كان صديقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً) فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية وهو خنوخ هذا وهو في عمود نسب رسول الله (ص) على ما ذكره غير واحد من علماء النسب . وكان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام * وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين . وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله (ص) عن الخط بالرمل فقال إنه كان نبي يخط به فن وافق خطه فذاك * ويزعم كثير من علماء التفسير والاحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء * وقوله تعالى (ورفعناه مكاناً علياً) هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الاسراء أن رسول الله (ص) مر به وهو في السماء الرابعة * وقد روى ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف

قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لإدريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب أما إدريس فإن الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم (لعله من أهل زمانه) فأحب أن يزداد عملا فاتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكأنم ملك الموت حتى أزداد عملا فخله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكأنم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس قال هو ذا علي ظهري فقال ملك الموت فاعجب بعثت وقيل لي أقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هالك فذلك قول الله عز وجل (ورفعناه مكانا عليا) ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها * وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري فساله وهو معه كم بقي من عمره فقال لا أدري حتى أنظر فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل مانق من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر * وهذا من الاسرائيليات وفي بعضه نكارة . وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر وإن أراد أنه رفع حيا إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأخبار والله أعلم * وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ورفعناه مكانا عليا) رفع إلى السماء السادسة فأت بها . وهكذا قال الضحاك . والحديث المتفق عليه . من أنه في السماء الرابعة أصبح وهو قول مجاهد وغير واحد * وقال الحسن البصري (ورفعناه مكانا عليا) قال إلى الجنة * وقال قائلون رفع في حياة أبيه يرد بن مهلايل والله أعلم * وقد زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني اسرائيل *

قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو إدريس واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الاسراء أنه لما صر به عليه السلام قال له مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال له * وهذا لا يدل ولا بد لانه قد لا يكون الراوي حفظه جيدا . أولعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين *

قصته نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش ابن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام * كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما

ذكره ابن جرير وغيره . وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام سمعت أبا سلام سمعت أبا أمامة أن رجلا قال يارسول الله أنبي كان آدم قال نعم مكلم . قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون . قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرج . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام * فان كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما ألف سنة لاحالة لكن لا ينبغي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالاسلام اذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الاسلام لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الاسلام * وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار والله أعلم * وان كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما في قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بد نوح) وقوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) وقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) وكقوله عليه السلام (خير القرون قرني) الحديث فقد كان الجيل قبل نوح يعمرن الدهر الطويلة * فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم *

وبالجملة فنوح عليه السلام انما بعثه الله تعالى لما عبدت الاصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث الى أهل الارض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة * وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جرير وغيره *

واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث فقيل كان ابن خمسين سنة . وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة وقيل ابن اربعمائة وثمانين سنة . حكاه ابن جرير وعزا الثالثة منها الى ابن عباس *

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز * ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصفات واقتربت وأنزل فيه سورة كاملة * فقال في سورة الأعراف (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملائكة من قومه انا لترك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحون . فكذبوه فاتجهنا والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمن) وقال في سورة يونس (وائل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر

عليكم مقامى وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة
ثم اقضوا الى ولا تنظرون . فلن توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن
أكون من المسلمين . فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المُنذرين) وقال تعالى فى سورة هود (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى
لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بآدى الراى وما نرى لك علينا
من فضل بل نظنك كاذبين * قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده
فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا
بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون * ويا قوم من ينصرنى من الله ان
طردهم أفلا تذكرون * ولا أقول لكم عندى خزان الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا
أقول للذين تزددى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين * قالوا يانوح
قد جادلنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما
أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه
ترجعون * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى إجرامى وأنا برئ مما تجرمون * وأوحى الى نوح
أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني فى الذين ظلموا إنهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال
إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم * حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل * وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لافور
رحيم * وهى تجري بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين * قال ساوى الى جبل يمصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال
بينهما الموج فكانا من المفرقين * وقيل يا أرض ابلي ماءك وباسماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر
واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وان
وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما
ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب انى اعوذ بك أن أسألك ما ليس لى
به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين * قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى
أمن من معك وأمن سنمتهم ثم يمسه منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها لك ما كنت

تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) * وقال تعالى في سورة الانبياء (ونوحا
اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا
بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون (ولقد أرسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا
الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى *
ان هو الا رجل به جنة فترصبوا به حتى حين * قال رب انصرني بما كذبون * فإوحينا اليه أن اصنع
الفلك باعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرِقون * فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين * ان
في ذلك لآيات وان كنا لمبتليين) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسلين * اذ قال
لهم أخوهم نوح ألا تتقون . أنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر ان
اجرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك واتبعك الأثريون . قال وما على
بما كانوا يعملون * ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين . إن أنا الا نذير مبين .
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين . قال رب إن قومى كذِبون . فافتح بيني وبينهم فتحا
ونجى ومن معى من المؤمنين . فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون . ثم أغرقنا بمد الباقين . إن في ذلك
لاية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة العنكبوت (ولقد
أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب
السفينة وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى في سورة الصافات (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه
وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على نوح في
العالمين . إنا كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) وقال تعالى في سورة
اقتربت (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقتلوا مجنونوازدجر . فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر .
ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر . ونجونا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات
الأواح ودرس . نجري باعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابى
ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا
نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب أليم . قال يا قوم إني لكم نذير مبين * أن اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو
كنتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدكم دعائى الا فرارا . وإنى كلما دعوتهم

لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم
جهاراً . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء
عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله
وقاراً * وقد خلقكم أطواراً * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجاً * والله ابتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجها * والله جعل لكم
الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً * قال نوح رب اهبهم عصوي واتبعوا من لم يزده ماله
وولده إلا خساراً ومكرراً مكراً كباراً * وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعاً ولا يغوث
ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً * مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً
فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً * وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً *
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً * رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً
وللؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً () وقد تكلمنا على كل موضع من هذه في التفسير
وسنذكر مضمون القصة مجموعاً من هذه الأمثلة المتفرقة ومما دلت عليه الأحاديث والآثار وقد
جرى ذكره أيضاً في مواضع متفرقة من القرآن فيها مدحه وذم من خالفه فقال تعالى في سورة النساء
(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناهم داود ذهباً * ورسلاً قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلاً لم قصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيم) وقال في سورة الانعام (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا
من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين * وذكرنا
ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل وإسحاق ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين *
ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) الآيات * وتقدمت قصته
في الأعراف * وقال في سورة براءة (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم
وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
وتقدمت قصته في يونس وهود) وقال في سورة إبراهيم (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا
كفرنا بما أرسلهم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) وقال في سورة سبأ (ذرية من حملنا مع
نوح إنه كان عبداً شكوراً) وقال فيها أيضاً (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب

عباده خيرا بصيرا) وتقدمت قصته في الانبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت . وقال في سورة الأحزاب (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وقال في سورة (ص) (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب) وقال في سورة غافر (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) وقال في سورة الشورى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوم إليه * الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) وقال تعالى في سورة (ق) (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وقال في الذاريات (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين) وقال في النجم (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى) وتقدمت قصته في سورة اقتربت الساعة * وقال تعالى في سورة الحديد (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقال تعالى في سورة التحريم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) *

وأما مضمون ماجرى له مع قومه مأخوذا من الكتاب والسنة والآثار فقد قدمنا عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام رواد البخارى * وذكرا أن المراد بالقرن الجبل أو المدة على ما سلف * ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت ان آل الحال بأهل ذلك الزمان الى عبادة الاصنام وكان سبب ذلك ما رواه البخارى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا . ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال (هذه) اسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون (فيها) أنصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت * قال ابن عباس وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد * وهكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن اسحاق *

وقال ابن جرير في تفسيره حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس قال قالوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون

دب انهم ابليس قال انما كانوا يعبدونهم وبهم يستقون المطر فعبدوهم * وروى ابن أبي حاتم عن عروة ابن الزبير أنه قال ود ويعوث ويعوق وسواع ونسر أولاد آدم وكان ود أكبرهم وأبرهم به *
وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال ذكروا عند أبي جعفر هـ الباقر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال فلما افتل من صلاته قال ذكرتم يزيد بن المهلب أما انه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله . قال ذكر ودأ رجلا صالحا وكان محببا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى ابليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديم فتذكرونه قالوا نعم . فصور لهم مثله . قال ووضعوه في ناديم وجعلوا يذكرونه . فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن اجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له في بيته فتذكرونه . قالوا نعم قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به . قال وأدرك أبنائهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أثر ذكرهم إياها حتى اتخذوه لها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد غير الله ودأ الصنم الذي سموه ودأ *

ومقتضى هذا السياق أن كل صنم من هذد عبده طائفة من الناس * وقد ذكر أنه لما تناولت اليهود والأزمان جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لهم ثم عبت بعد ذلك من دون الله عز وجل * ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جدا قد ذكرناها في مواضعها من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة *
وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رايتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها قال (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل) والمقصود أن الفساد لما انتشر في الأرض وعم البلاء بعباد الأصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة عن النبي (ص) في حديث الشفاعة قال فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وفتح عليك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربى قد غضب غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسألك الله عبدا شكورا ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل فيقول ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده

مثله نفسى نفسى . وذكر تمام الحديث بطوله كما أورده البخارى فى قصة نوح •

فلما بعث الله نوحا عليه السلام دعاهم الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن لا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا وأن يعترفوا بوحدايته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقال فيه وفى ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) أى كل نبى من بعد نوح فمن ذريته . وكذلك ابراهيم قال الله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى واسئلك من أرسلنا قبلك من رسلنا أنجعلنا من دون الرحمن آتية يعبدون (وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) ولهذا قال نوح لقومه (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقال (ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وقال (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) وقال (يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واقوه وأطيعوه . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدكم دعائى الا فرارا وانى كما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * . ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلتكم أطوار الايات الكرىمات . فذكر انه دعاهم الى الله بأنواع الدعوة فى الليل والنهار والسر والاجهار بالترغيب تارة والترهيب أخرى وكل هذا فلم ينجح فيهم بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الاصنام والأوثان ونصبوا له العداوة فى كل وقت وأوان وتنقصوه وتنقصوا من آمن به وتوعدوه بالرجم والاخراج ونالوا منهم وبالغوا فى أمرهم (قال الملائ من قومه) أى السادة الكبراء منهم (انا لترك فى ضلال مبين . قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين) أى لست كما تزعمون من أنى ضال بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين أى الذى يقول للشئ كن فيكون (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وهذا شأن الرسول أن يكون بليغا أى فصيحاً ناصحاً أعلم الناس بالله عز وجل . وقالوا له فيما قالوا (ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بآدى الرأى وماترى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) تعجبوا ان يكون بشرا رسولا وتنقصوا بمن اتبعه وراؤهم اراذلهم * وقد قيل انهم كانوا من أقياد الناس وهم ضعفاؤهم كما قال هرقل وهم أتباع الرسل وما ذاك الا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق وقولهم بآدى الرأى أى بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية وهذا

الذى رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضى الله عنهم فان الحق الظاهر لا يحتاج الى روية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والاقياد له متى ظهر . ولهذا قال رسول الله (ص) مادحاً للصديق مادعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبى بكر فانه لم يتلعم ولهذا كانت بيعته يوم التقيفة أيضا سريعة من غير نظر ولا روية لان افضليته على من عداه ظاهرة جليلة عند الصحابة رضى الله عنهم ولهذا قال رسول الله (ص) لما أراد أن يكتب الكتاب الذى أراد أن ينص فيه على خلافته فتركه وقال يابى الله والمؤمنون الا أبى بكر رضى الله عنه . وقول كفرة قوم نوح له ولمن آمن به . (وما نرى لكم علينا من فضل) اى لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالايمان ولا مزية علينا (بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انزل مكموها وأنتم لها كارهون)

وهذا تلاف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة الى الحق كما قال تعالى (تقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر او يخشى) وقال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وهذا منه يقول لهم (أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده) اى النبوة والرسالة (فعميت عليكم) اى فلم تفهموها ولم تهتدوا اليها (انزل مكموها) اى اتضبطكم بها ونجبركم عليها (وأنتم لها كارهون) اى ليس لى فيكم حيلة والحالة هذه (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) اى لست اريد منكم اجرة على ابلاغى اياكم ما ينفعكم فى دنياكم واخراكم ان أطلب ذلك الا من الله الذى ثوابه خير لى وابقى مما تعطوننى أنتم . وقوله (وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون) كأنهم طلبوا منه ان يبعد هؤلاء عنه ووعدوه ان يجتمعوا به اذا هو فعل ذلك فالى عليهم ذلك وقال (انهم ملاقوا ربهم) اى فإخاف ان طردتهم ان يشكونى الى الله عز وجل ولهذا قال (ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون) ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله (ص) ان يطرد عنه ضعفاء المؤمنين كهمار وصهيب وبلال وخباب واشباههم نهاه الله عن ذلك كما بيناه فى سورتي الأنعام والكهف (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) اى بل أنا عبد رسول لا أعلم من علم الله الا ما أعلمنى به ولا أقدر الا على ما أقدرنى عليه ولا أملك لننسى نفعا ولا يضرنا الا ما شاء الله (ولا أقول للذين تزدري أعينكم). يعنى من اتباعه (لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) اى لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة الله أعلم بهم وسيجازيهم على ما فى نفوسهم ان خيراً شير وان شراً فشر كما قالوا فى المواضع الأخر) أنؤمن لك واتبعت الارذلون. قال وما علمى بما كانوا يعملون. ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين) *

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى (قلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما

فآخذهم الطوفان وهم ظالمون) اى ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم وكلن كل ما تعرض
 جيل وصوا من بعدهم بعدم الايمان به ومحاربه ومخالفته * وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه
 وصاه فيما بينه وبينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائما ما بقى وكانت سجايهم تأبى الايمان واتباع
 الحق ولهذا قال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) ولهذا قالوا (قلوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا
 بما تعدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين) اى انما يقدر على
 ذلك الله عز وجل فانه الذى لا يعجزه شئ ولا يكثره أمر بل هو الذى يقول للشئ كن فيكون
 (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون)
 أى من يزد الله فتنه فلن يملك احد هدايته هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد
 وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية . وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة
 (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) تسليية له عما كان منهم اليه (فلا تبشر
 بما كانوا يفعلون) وهذه تمزية لنوح عليه السلام فى قومه أنه لن يؤمن منهم الا من قد آمن اى لا
 يسوا نك ماجرى فان النصر قريب والذبا عجيب (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين
 ظلموا انهم مغرقون) وذلك ان نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لاخير
 فيهم وتوصلوا الى أذيته ومخالفته وتكذبيه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب فلبى الله
 دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وقومه من الكرب
 العظيم) . وقال تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) . وقال
 تعالى (قال رب ان قومى كاذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين) وقال تعالى
 (فدع ربه أنى منسوب فاتصبر) وقال تعالى (قال رب انصرنى بما كذبون) وقال تعالى (بما خطيأتم
 أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . وقال نوح رب لا تذر على الأرض من
 الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) فاجتمع عليهم خطاياهم
 من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى ان يصنع الفلك وهى السفينة العظيمة
 التى لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها . وقدم الله تعالى اليه أنه اذا جاء أمره وحل بهم بأسه
 الذى لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فانه لعله قد تدركه رقة على قومه عند
 معاينة العذاب النازل بهم فانه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون
 ويصنع الفلك وكلا مر عليه ملامن قومه سخروا منه) اى يستهزئون به استعباد الوقوع ما توعدهم به
 قال ان تسخروا منا فانا تسخر منكم كما تسخرون) اى نحن الذين نسخر منكم وتتعجب منكم فى
 استمراركم على كفركم وعنادكم الذى يقتضى وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم (فسوف تعلمون من يأتيه

عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب مقيم) وقد كانت سجايام الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فانهم يمجّدون ايضاً أن يكون جاءهم رسول كما قال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) (يحيى نوح عليه السلام وأمه فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمه هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمه فتشهد أنه قد بلغ) وهو قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) . والوسط العدل . فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحاً بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه * وهكذا شأن جميع الرسل حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم كما قال البخاري حدثنا عبدان حدثنا عبد الله عن يونس عن الزهري قال سالم قال ابن عمر قام رسول الله (ص) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله . ثم ذكر الدجال فقال (إني لا نذركموه وما من نبي إلا وقد أئذركم قومه . لقد أئذره نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور) وهذا الحديث في الصحيحين ايضاً من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (الا أحدثكم عن الدجال حديثاً ما حدث به نبي قومه أنه أعور وأنه يحيى معه بمثل الجنة والنار والقي يقول عليها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) لفظ البخاري .

وقد قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له أمره أن يفرس شجراً ليعمل منه السفينة ففرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فالتفت إليه * قال محمد بن اسحق عن الثوري وكانت من خشب الساج * وقيل من الصنوبر . وهو نص التوراة . قال الثوري وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وإن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار وإن يجعل لها جؤجؤاً أزور يشق الماء * وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً وهذا الذي في التوراة على ما رأيته * وقال الحسن البصري ستمائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس الف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع * وقيل كان طولها ألف ذراع وعرضها مائة ذراع . قالوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً وكانت ثلاث طبقات . كل واحدة عشرة أذرع . فالسفل للذباب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها * قال الله تعالى (قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) أي بأمرنا لك وبمرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك

لترشدك الى الصواب في صنعتها (فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك
الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) فتقدم اليه بأمره العظيم العالى
انه اذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر مافيه
روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها وان يحمل معه أهله أى أهل بيته الا من سبق عليه القول
منهم اى الا من كان كافرا فانه قد فذت فيه الدعوة التى لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذى لا يرد
وأمر أنه لا يراجعه فيهم اذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذى قد حتمه عليهم الفعال لما يريد
كما قدمنا بيانه قبل .

والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الارض أى نبت الارض من سائر أرجائها حتى نبت التناير
التى هى محال النار . وعن ابن عباس التنور عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة *
وقال على بن أبى طالب المراد بالتنور نلق الصبح وتنوير الفجر أى إشراقه وضياؤه أى عند ذلك
فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب * وقوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا
اخرج فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل هذا
أمر بأن عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفى كتاب أهل الكتاب أنه أمر
أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج وما لا يؤكل زوجين ذكرنا وأثنى وهذا منابر لمفهوم قوله
تعالى فى كتابنا الحق (اثنين) إذ جعلنا ذلك منغولا به . وأما إذ جعلناه توكيدا لزوجين والمفعول به محذوف
فلاينا فى والله أعلم *

وذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات
الحمار * ودخل ابليس متعلقا بذنب الحمار . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنى الليث حدثنى هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن أبيه أن رسول الله (ص) قال لما حل نوح
فى السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نظمنا أو كيف نظمنا المواشى ومعنا الاسد فسلط
الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت فى الأرض * ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا
طعامنا ومتاعنا فأوحى الله الى الاسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفارة منها . هذا مرسل *
وقوله (واهلك الا من سبق عليه القول) أى من استجيت فيهم الدعوة النافذة من كفر فكان منهم ابنه
يام الذى غرق كما سنأتى بيانه (ومن آمن) أى واحمل فيها من آمن بك من أمتك قال الله تعالى (وما
آمن معه الا قليل) هذا مع طول المدة والمقام بين اظهرهم ودعوتهم الأكيدة ليلانهاراً بضروب
المقال وفتون التلطفات والتهديد والوعيد تارة والترغيب والوعيد أخرى .

وقد اختلف العلماء فى عدة من كان معه فى السفينة فمن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم نساؤهم .

وعن كعب الاحبار كانوا اثنى وسبعين نفسا . وقيل كانوا عشرة وقيل انما كانوا نوحا وبنيه الثلاثة وكنائته الاربع بامرأة يام الذى انخزل وانعزل وسلل عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل . وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في انه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال (ونجى ومن معي من المؤمنين) وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم حام وسام ويافث ويام وتسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذى قد غرق وعابر وقد ماتت قبل الطوفان . قيل إنها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها أنظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله (لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) قال الله تعالى (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك قل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين . وقل رب انزلى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) أمره أن يحمده ربّه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه واقربائه ممن خالفه وكذبه كما قال تعالى (الذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر تكون . لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) . وهكذا يؤمر بالدعاء فى ابتداء الأمور أن يكون على الخبر والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله (ص) حين هاجر (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) وقد امثل نوح عليه السلام هذه الوصية (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) أى على اسم الله ابتداء سيرها وانهاؤه (إن ربي لغفور رحيم) أى وذو عقاب اليم مع كونه غفورا رحما لا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما احل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره قال الله تعالى (وهى تجري بهم فى موج كالجبال) . وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرا لم تهده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر ارجائها كما قال تعالى (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر) . والدسر السائر (تجري بأعيننا) أى بحفظنا وكلائنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفر *

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان فى ثالث عشر شهر آب فى حساب القبط . وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) أى السفينة (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن وإبرة) قال جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعا وهو الذى عند أهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها . ولم يبق

على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف . ولا صغير ولا كبير * قال الامام مالك عن زيد ابن اسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل * وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (لم تكن بقعة في الأرض الا ولها مالك وحائز) رواها ابن أبي حاتم . (ونلد نوح ابنه وكان في ممرل بابن اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصفى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وهذا الابن هو يام أخو سام وحام وياث * وقيل اسمه كنعان . وكان كفرا عمل عملا غير صالح لخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من . هلك هذا . وقد نجما مع ابيه الأجانب في النسب لما كانوا موافقين في الدين والمذهب (وقيل يا أرض ابلى ماءك وباسماء أقلى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى لما فرغ من أهل الأرض ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل أمر الله الأرض ان تبلى ماءها وأمر السماء ان تلع أى تمسك عن المطر (وغيض الماء) أى قص عما كان (وقضى الأمر) أى وقع بهم الذى كان قد سبق في علمه وقدره من إحلاله بهم ما حل بهم . (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى نودى عليهم بلسان القدرة بعداً لهم من الرحمة والمغفرة كما قال تعالى (فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمن) وقال تعالى (فكذبوه فانجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) وقال تعالى (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وقال تعالى (فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين . ان فى ذلك لآية وما كن أ . كثرهم مؤمنين . وان ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى (فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى (ثم أغرقنا الآخرين) وقال (ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابى ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً . وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدو إلا فاجراً كفاراً) وقد استجاب الله تعالى وله الحمد والمنة دعوته فلم يبق منهم عين تطرف *

وقد روى الامامان أبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من طريق يعقوب ابن محمد الزهرى عن قائد مولى عبد الله بن أبي رافع أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة اخبره ان عائشة أم المؤمنين اخبرته ان رسول الله (ص) قال (فلو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم ام الصبي) قال رسول الله (ص) مكث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة (يعنى الا خمسين عاماً) وغرس مائة سنة الشجر فظلمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة فى البر كيف تجرى قال سوف تعلقون * فلما فرغ ونبع الماء وصار فى السكك خشيت أم الصبي

عليه وكانت تحبه حباً شديداً خرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثة فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل . فلما بلغ الماء رقبتها رفعت يديها ففرقا فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي * وهذا حديث غريب * وقد روى عن كعب الاحبار ومجاهد وغير واحد شبيه لهذه القصة * وأخرى بهذا الحديث أن يكون موقوفاً . تلقى عن مثل كعب الاحبار والله أعلم *

والمقصود أن الله لم يبق من الكافرين دياراً فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ويقال بن عناق كان موجوداً من قبل نوح الى زمان موسى ويقولون كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً ويقولون كان لغير رشدة بل ولده أمه عنق بنت آدم من زنا وإنه كان يأخذ من طوله السك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصعة التي لك ويستهزئ به * ويند كرون انه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلثاً الى غير ذلك من الهذيان التي لولا انها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطها وركاكتها * ثم إنها مخالفة للعقول والمنقول

[١] أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الايمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأظنى على ما ذكرنا . وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المرید على ما ذكرنا *

[٢] وأما المنقول فقد قال الله تعالى (ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تنذر على الأرض من الكافرين دياراً) . ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي (س) أنه قال (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن)

فهذا نص الصادق المصدوق المصوم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن أي لم يزل الناس في قصص في طولهم من آدم الى يوم اخ . هـ بذلك وهلم جر الى يوم القيامة *

وهذا يقتضى أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا يا أهل عنه ويصار الى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه وما اظن ان هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلاقاً من بعض زنادقهم وفجارهم الذين كانوا اعداء الأنبياء والله أعلم *

ثم ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلي معي وهو منهم وقد غرق فلجيب بانه ليس من أهلك أي الذين

وعدت بنجاتهم أى أما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بأن سيفرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار الى ان انحاز عن حوزة أهل الايمان ففرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان * ثم قال تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعى فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التى كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودى * وهو جبل بارض الجزيرة مشهور وقد قدمنا ذكره عند خلق الجبال (بسلام منا وبركات) أى اهبط سالما مباركا عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد أى من أولادك فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عتبا سوى نوح عليه السلام قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم ينسبون الى أولاد نوح الثلاثة وهم « سام وحام ويافث » *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبي (ص) قال (سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم) ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه وقال الشيخ أبو عمرو ابن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين عن الثبتي (ص) مثله . قال والمراد بالروم هنا الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومى بن لبطى بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام * ثم روى من حديث اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال (ولد نوح ثلاثة سام ويافث وحام) وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم . وولد يافث الترك والسقالية وأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر) قلت وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا ابراهيم بن هانى وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس قالا حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الرهاوى حدثنى أبى عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : (ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم . وولد ليافث مأجوج وأجوج والترك والسقالية ولا خير فيهم * وولد لحام القبط والبربر والسودان) ثم قال لا نعلم يروى مرفوعا إلا من هذا الوجه . تفرد به محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه . ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلًا ولم يسنده وإنما جعله من قول سعيد . قلت وهذا الذى ذكره أبو عمرو هو المحفوظ عن سعيد قوله * وهكذا روى عن وهب بن منبه مثله والله أعلم * ويزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ضعيف بكرة لا يعتمد عليه * وقد قيل إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة إلا بعد الطوفان وإنما ولد له قبل السفينة كنعان الذى غرق وعابر مات قبل

الطوفان * والصحيح ان الاولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم وسواؤهم وامهم وهو بص التوراة *
وقد ذكر أن حاماً واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه نطفته فولد له ولد أسود وهو
كنعان بن حام جد السودان * وقيل بل رأى أباه قائماً وقد بليت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهذا
دعا عليه أن تغير نطفته . إن يكون أولاده عبيداً لآخوته *

وذكر الامام أبو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جددان عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس أنه قال (قال الحواريون لعيسى بن مريم لو بشت لنا رجلاً شهد السفينة لحدثنا عنها . قال
فانطلق بهم حتى أتى الى كتيب من تراب فاخذ كفاً من ذلك التراب بكفه قال اتدرون ما هذا . قالوا
الله ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال وضرب الكتيب بعصاه وقال قم باذن الله فاذا
هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب * قال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكني
مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت . قال حدثنا عن سفينة نوح . قال كان طولها
الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة
فيها الانس وطبقة فيها الطير . فلما كثر أدواث الدواب أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن
اغمر ذنب الفيل فغمزه فوق منه خنزير وخنزيرة فاقبل على الروث ولما وقع الفار يخرز السفينة بقرضه
أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنود وسنودة
فاقبلا على الفار . فقال له عيسى كيف علم نوح عليه السلام أن البلاد قد غرقت قال بعث الغراب يأتيه
بالخبر فوجد جيفة فوق عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت . قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق
زيتون بمنقارها وطين برجلها فلم أن البلاد قد غرقت فتأقواها الخضر التي في عنقها ودعا لها أن تكون
في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت . قال فقالوا يا رسول الله ألا نتطابق به الى أهلينا فيجلس معنا
ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له . قال فقال له عد باذن الله فعاد تراباً) وهذا أثر غريب جداً

وروى غلباء بن أحمز عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم
أهلهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً وإن الله وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت أربعين
يوماً ثم وجهها الى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب
فوقع على الجيف فابطأ عليه فبعث الحمامة فأتمه بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح أن الماء
قد انضب فهبط الى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على
ثمانين لغة احداها العربي وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم .

وقال قتادة وغيره ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوماً
واستقرت بهم على الجودي شهراً . كان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم * وقد روى

ابن جرير خبراً مرفوعاً يوافق هذا وأنها صاموا يومهم ذلك * وقال الامام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال (مر النبي ص.، باناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجا الله موسى وبني اسرائيل من الفرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح بموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبي ص.، انا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم * وقال لا يحبه من كان منكم أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان منكم قد أصاب من غد أهله فليتم بقية يومه). وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضاً والله أعلم. وأما ما يذكره كثير من الجهلة أنهم أكلوا من فضول أزوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها واطحنوا الحبوب يومئذ واكتحلوا بالأمم لتقوية أبصارهم لما انهارت عن الضياء بعد ما كانوا في ظلمة السفينة فكل هذا لا يصح فيه شيء وإنما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني اسرائيل لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها والله أعلم *

وقال محمد بن اسحاق لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رثيت رؤس الجبال * فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع اليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم يجد لها موضعاً فبسط يده للحمامة فأدخلها ثم مضت سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ما فعل الماء فلم ترجع فرجعت حين أمست وفيها ورق زيتونة فلم يوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض * ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع اليه فلم يوح أن الأرض قد برزت فلما مكثت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك * وهذا الذي ذكره ابن اسحاق هو بعينه مضمون سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب * قال ابن اسحاق وفي شهر الثاني من سنة اثنين في ست وعشرين ليلة منه (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركت عليك وعلى امم ممن معك وأمم سمعتهم ثم يمسهم مناسيب ألم) وفيما ذكر أهل الكتاب أن الله كلم نوحاً قائلاً له اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيتك معك وجميع الدواب التي معك ولينموا وليكبروا في الأرض فخرجوا وابتنى نوح مذبحاً لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والطيور الحلال فذبحها قرباناً إلى الله عز وجل وعهد الله اليه أن لا يعيد الطوفان على أهل الأرض. وجعل نذكاراً لميثاقه اليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي قدمنا عن ابن عباس أنه إمان من

الفرق * قال بعضهم فيه اشارة الى أنه قوس بلا وتر اى أن هذا الغمام لا يوجد منه طوفان كأول مرة وقد أنكرت طائفة من جهة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا انما كان بارض بابل ولم يصل اليها. قالوا ولم نزل تتوارث الملك كبرا عن كبر من لدن كيومرث يعنون آدم الى زماننا هذا . وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران وأتباع الشيطان وهذه سفسطة منهم وكفر بظييع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسموات وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحدا من كفره القباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم

ذكر سني من اخبار نوح عليه السلام

قال الله تعالى إنه كان عبدا شكورا . قيل إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وقال الامام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي أسامة . والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية فإن الشكر يكون بهذا وبهذا كما قال الشاعر

افادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

صومه عليه السلام

وقال ابن ماجه (باب صيام نوح عليه السلام) حدثنا سهل بن أبي سهل حدثنا سعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله (ص) يقول (صام نوح الدهر الا يوم عيد الفطر ويوم الأضحى) هكذا رواه ابن ماجه من طريق عبد الله بن لهيعة باسناداه ولفظه * وقد قال الطبراني حدثنا أبو ائز نباع روح بن فرج حدثنا عمرو بن خالد الحراي حدثنا ابن لهيعة عن أبي قتادة عن يزيد بن رباح أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله (ص) يقول (صام نوح الدهر الا يوم الفطر والأضحى وصام داود نصف الدهر وصام ابراهيم ثلاثة أيام من كل شهر « صام الدهر وأفطر الدهر »

مَحْمَدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن زمرة هو ابن أبي صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال حج رسول الله (ص) فلما أتى وادي عسفان قال يا أبا بكر أي واد هذا قال هذا وادي عسفان قال لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف أزرهم العباء وأرديتهم الثمار يحبون البيت العتيق * فيه غرابة

وَصِيَّةٌ لَوْلَاهُ

قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير عن زيد بن اسلم قال حماد أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال (كنا عند رسول الله (ص) فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مزروعة بالديباج فقال ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس بن فارس أو قال يريد أن يضع كل فارس بن فارس ورفع كل راع بن راع قال فآخذ رسول الله (ص) بمجامع جيبته وقال لا أرى عليك لباس من لا يعقل * ثم قال إن نبي الله نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية آمرك بامنتين وأنهك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضع في كفة رجعت بهن لا إله إلا الله وطوان السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمه فضمتن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلات كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهك عن الشرك والكبر) قال قلت (أو) قيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر أن يكون لاحدنا نملان حسنان لها شرا كان حسنان قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا حلة يلبسها قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا دابة يركبها قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا أصحاب يجلسون اليه قال لا * قلت (أو) قيل يا رسول الله فما الكبر قال سفه الحق وغضب الناس . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه * ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد ابن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال (كان في وصية نوح لابنه أوصيك بخصلتين وأنهك عن خصلتين) فذكر نحوه * وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) بنحوه * والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني والله أعلم * ويزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستمائة سنة * وقدمنا عن ابن عباس مثله وزاد وعاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة . وفي هذا القول نظر * ثم إن لم يمكن الجمع

بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض فان القرآن يقتضى أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً فالخادم الطوفان وهم ظالمون . ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك فان كان ما ذكر محفوظاً عن ابن عباس من أنه بمث وله أربع مائة وثمانون سنة وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة .

وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرق عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسل أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام . وهذا أقوى وأثبت من الذى ذكره كثير من المتأخرين من أنه يبلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيما ذكر والله أعلم *

قصّة نوح عليه السلام

ومو هود بن شالخ بن ارغشذ بن سام بن نوح عليه السلام * ويقال إن هوداً هو عابر بن شالخ ابن ارغشذ بن سام بن نوح . ويقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام * ذكره ابن جرير وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح كانوا عرباً يسكنون الاحفاف وهى جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضر موت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر واسم واديههم مغيث * وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال تعالى (ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) أى عاد إرم وهم عاد الأولى * وأما عاد الثانية فتأخرة كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه * وأما عاد الأولى فهم عاد (إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى مثل القبيلة * وقيل مثل العمدة . والصحيح الأول كما يئناه فى التفسير *

ومن زعم أن ارم مدينة تدور فى الأرض فتارة فى الشام وتارة فى اليمن وتارة فى الحجاز وتارة فى غيرها فقد أبعد النجمة وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه ولا مستند يركن اليه * وفى صحيح بن حبان عن أبى ذر فى حديثه الطويل فى ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه منهم أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر * ويقال ان هوداً عليه السلام أول من تكلم بالعربية * وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها * وقال غيره أول من تكلم بها نوح * وقيل آدم وهو الأشبه . قبل غير ذلك والله أعلم *

ويقال للعرب الذين كانوا قبل اسماعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم عاد * وثمود * وجرم * وطسم * وجديس * وأميم * ومدين * وعملاق * وعييل * وجاسم * وقحطان * وبنو يقطن * وغيرهم

وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل * وكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة * وكان قد أخذ كلام العرب من جرم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ولكن انطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان . وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله (ص) *

والمقصود أن عاداً وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان . وكان أصنامهم ثلاثة صدا وصمودا وهرا . فبعث الله فيهم أخاه هوداً عليه السلام فدعاهم إلى الله كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح وما كان من أمرهم في سورة الاعراف . (وإلى عاد أخاهم هوداً . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إننا لَنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين . أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة . فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجبنا لنعبد الله وحده وننذر ما كان يعبد آباؤنا فأنتنا بما تمدنا إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجاد لونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . فانتظروا إني معكم من المنتظرين . فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح في سورة هود (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون . يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين . قالوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك . وما نحن لك بمؤمنين . إن قول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء . قال إني أشهد الله وأشهدوا أني برئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم . فان تولوا فقد أبلتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ . ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غلظ . وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد . وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود) . وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون بعد قصة قوم نوح (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولاً ما كان منهم أن يعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بآياتنا والآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً

مثلكم إنكم إذا خاسرون) أهدمكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين . قال رب انصرني بما كذبون . قال عما قليل ليصبحن نادمين . فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين) . وقال تعالى في سورة الشعراء بعد قصة قوم نوح أيضاً (كذبت عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . إن ليكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتنبئون بكل ريح آية تعثون . وتتخذون مصانع لعلكم اتخذون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أهدمكم بما تعلمون . أهدمكم بأنعام وبنيين وجنات وعيون . إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين . وما نحن بمعذنين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما عاد فاستكبروا في الأرض بنصر الحق وقالوا من أشد منا قوة . أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) وقال تعالى في سورة الاحقاف (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم ولكني أراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) وقال تعالى في الذاريات (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم) وقال تعالى في النجم (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبق . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفة أهوى . فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تمارى) وقال تعالى في سورة اقتربت (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابي ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . وقال في الحاقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل يرى لهم من باقية) وقال في سورة الفجر (ألم تركب فعل ربك بعاد إرم ذات الجوارح . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد . فصوب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد) . وقد تكلمنا على كل من هذه

القصص في أما كتبنا التفسير والله الحمد والمنة *

وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والعنكبوت وفي سورة (ص) وفي سورة (ق) ولندكر مضمون القصة مجموعاً من هذه السياقات مع ما يضاف الى ذلك من الأخبار * وقد قدمنا أنهم أول الأمم عبدوا الأصنام بعد الطوفان . وذلك بين في قوله لهم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أى جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلق والشدة والبطش . وقال في المؤمنون (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) وهم قوم هود على الصحيح * وزعم آخرون أنهم ثمود لقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء) قالوا وقوم صالح هم الذين أهلكوا بالصيحة (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية) وهذا الذى قالوه لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم كما سيأتى في قصة أهل مدين أصحاب الأيكة فانه اجتمع عليهم أنواع من العقوبات * ثم لا خلاف أن عاداً قبل ثمود * والمقصود أن عاداً كانوا عرباً جفاة كافرين عتاة متمردين في عبادة الاصنام فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم الى الله وإلى إفراده بالعبادة والاخلاص له فكذبوه وخالفوه وتنقصوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فلما أمرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة (قال الملائكة الذين كفروا من قومهم إنا نراك فى سفاهة) أى هذا الأمر الذى تدعونا إليه سفه بالنسبة الى ما نحن عليه من عبادة هذه الاصنام التى يربحى منها النصر والرزق ومع هذا فظن أنك تكذب فى دعواك أن الله أرسلك (قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين) أى ليس الأمر كما تظنون ولا ما تعتقدون (أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين) والبلاغ يستلزم عدم الكذب فى أصل المبلغ وعدم الزيادة فيه والنقص منه ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة لاليس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة فى غاية النصح لقومه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يبتغى منهم أجراً ولا يطلب منهم جملاً بل هو مخلص لله عز وجل فى الدعوة اليه والنصح بخلقه لا يطلب أجره الا من الذى أرسله فان خير الدنيا والآخرة كله فى يديه وأمره اليه ولهذا (قال يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرني أفلا تعقلون) أى - ألكم عقل تميزون به وتفهمون أنى أدعوكم الى الحق المبين الذى تشهد به فطركم التى خلقتهم عليها وهو دين الحق الذى بمث الله به نوحاً وأهلك من خالفه من الخلق وما أنا أدعوكم اليه ولا أسألكم أجراً عليه بل أبتغى ذلك عند الله مآل الضر والنفع ولهذا قال مؤمن يس (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون . ومالى لأعبد الذى فطرني وإليه ترجعون) وقال قوم هود له فيما قالوا (يا هود ما جئنا بينة وما نحن بباركئ آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يقولون ما جئنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به وما نحن بالذين

نترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أفتنه ولا برهان نصبته وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه
وعندنا إنما أصابك هذا أن بعض آلهتنا غضب عليك فاصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك
وهو قولهم (إن قول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا أني برى مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا تحد منه لهم وتبر من آلهتهم وتنقص منه لها وبيان
أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر وإنها جماد حكما حكمها ففعلها فعله . فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع
وتضر فما أنا برى منها لا عن لها (فكيدوني ثم لا تنظرون) أنتم جميعاً بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه
وتقدروا عليه ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا طرفة عين فاني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أنظر
إليكم (إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتهما إن ربي على صراط مستقيم) أي
أنا متوكل على الله ومتأيّد به وواثق بجنابه الذي لا يضيع من لاذبه واستند إليه فلست أبالي مخلوقا سواه
ولست أنوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه * وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبد الله ورسوله وأنهم
على جهل وضلال في عبادتهم غير الله لأنهم لم يصلوا إليه بسوء ولا نالوا منه مكروها فدل على صدقه فيما
جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد مذهبوا إليه * وهذا الدليل بعينه قد استدلل به نوح عليه السلام قبله
في قوله (يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم
ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) . وهكذا قال الخليل عليه السلام (ولا أخاف
ما أشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأتى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون .
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * وقال الملائكة من قوميه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة وأترفاهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون
ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون . أي عدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون)
استبعدوا أن يبعث الله رسولا بشرياً وهذه الشبهة أدلى بها كثير من جهلة الكفرة قديماً وحديثاً كما
قال تعالى (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) وقال تعالى (وما منع الناس أن
يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا) ولهذا قال لهم هود عليه السلام (أو عجبتم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي ليس هذا بعجيب فإن الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله
(أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هي إلا حياتنا
الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين * قال

ربى انصرفنى) استبعدوا المعاد وانكروا قيام الاجساد بعد صيرورتها تراباً وعظاماً وقالوا هيئات هيئات
 أى بعيد بعيد هذا الوعد إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين أى يموت قوم ويحيى
 آخرون * وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة ارحام تدفع وأرض تبلع *
 وأما الدورية فهم الذين يعتقدون أنهم يعودون الى هذه الدار بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة
 وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال باطلة وخيال فاسد بلا برهان ولا دليل يستميل عقل
 الفجرة الكفرة من بنى آدم الذين لا يفلحون ولا يهتدون كما قال تعالى (ولتصغى اليه أفئدة الذين
 لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) وقال لهم فيما وعظهم به (أتنبئون بكل ربيع آية
 تهبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) يقول لهم أتنبئون بكل مكان مرتفع بناء عظيم هائلاً كالقصور
 ونحوها تهبثون بينها لانه لا حاجة لكم فيه وما ذاك إلا لانهم كانوا يسكنون الخيام كما قال تعالى
 (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد) فعاد إرم هم عاد الأولى الذين
 كانوا يسكنون الاعمدة التى تحمل الخيام *

ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهى تنتقل فى البلاد فقد غلط وأخطأ وقل مالا دليل
 عليه * وقوله (وتتخذون مصانع) قيل هى القصور * وقيل بروج الحمام * وقيل مأخذ الماء (لعلكم
 تخلدون) أى رجاء منكم أن تعمروا فى هذه الدار أعماراً طويلة (واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا
 الله وأطيعون . واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إنى أخاف عليكم
 عذاب يوم عظيم) وقالوا له ما قالوا (أجبنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا
 بما تعبدنا ان كنت من الصادقين) أى أجبنا لعبد الله وحده ونخالف آباءنا وأسلافنا وما كانوا عليه *
 فان كنت صادقاً فيما جئت به فأتنا بما تعبدنا من العذاب والنكال فاتنا لا تؤمن بك ولا تتبعك ولا
 نصدقك كما قالوا (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا الاخلق الاولين . وما نحن
 بمعزيين) أما على قراءة فتح الخاء فالمراد به اختلاق الأولين أى ان هذا الذى جئت به الا اختلاق
 منك وأخذته من كتب الأولين * هكذا فسره غير واحد من الصحابة والتابعين * وأما على قراءة ضم
 الخاء واللام فالمراد به الدين أى ان هذا الدين الذى نحن عليه الا دين الآباء والاجداد من أسلافنا ولن
 تتحول عنه ولا تتغير ولا تزال متمسكين به . ويناسب كلا القراءتين الاولى والثانية قولهم (وما نحن
 بمعزيين) قال (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني فى أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما
 نزل الله بها من سلطان فاتظروا انى معكم من المنتظرين) أى قد استحققت بهذه المقالة الرجس والغضب
 من الله أتعارضون عبادة الله وحده لا شريك له بعبادة أصنام أنتم نحتوها وسميتوها آلهة من تلقاء
 انفسكم اصطالحتم عليها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أى لم ينزل على ما ذهبتم اليه دليلاً ولا

برهاناً وإذا أيتم قبول الحق وتماديتم في الباطل وسواء عليكم أنهيتم عما أنتم فيه أم لا فانتظروا
الآن عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد وقال تعالى (قال رب انصرني بما
كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فآخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين) وقال
تعالى (قالوا أجمعنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما العلم عند الله وأبلغكم
ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكينهم
كذلك نجزي القوم الجرمين) وقد ذكر الله تعالى خبر اهلاكم في غير ما آية كما تقدم مجعلاً ومنفصلاً
كقوله (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وكقوله (ولما
جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ . وتلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ألا ان عادا كفروا
ربهم الا بعداً لعاد قوم هود) وكقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين وقال
تعالى (فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم)
وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل
هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محملين مستئين فطلبوا
السقيا فرأوا عارضاً في السماء وظنوه سقياً رحمة فاذا هو سقياً عذاب . ولهذا قال تعالى (بل هو ما استعجلتم
به) أي من وقوع العذاب وهو قولهم (فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) ومثلها في الأعراف .
وقد ذكر المفسرون وغيرهم ههنا الخبر الذي ذكره الامام محمد بن اسحق بن بشار قال فلما أبوا إلا الكفر
بالله عز وجل أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدم ذلك قال وكان الناس اذا جهدم أمر في ذلك
الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إنما يطلبونه بحرمه ومكان بيته وكان معروفاً عند أهل ذلك الزمان
وبه العالقي مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذاك رجلاً يقال له
معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جلهدة ابنة الخيبرى . قال فبعث عاد وفدأ قرياً من سبعين
رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم فرأوا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فزولوا عليه فاقاموا عنده شهراً يشربون
الخمر فيفنيهم الجراد ثلث قينتان لمعاوية وكاتوا قد وصلوا اليه في شهر . فلما طال مقامهم عنده وأخذته
شفقة على قومهم واستحى منهم أن يأمرهم بالانصراف عل شراً فيعرض لهم بالانصراف وأمر القديين
أن تغنيهم به فقال

ألا يا قيل ويحك قم فهيم لعل الله يمنحنا عماما
فيسقي أرض عاد ان عاداً قد امسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير قد أمست نساؤهم أياما
وإن الوحش بأنهم جهارا ولا يخشى لعاديي سهامها
وأنتم ههنا فيما اشتبهتم نهائكم وليكم تماما
فقبّح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التiche والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له فتهضوا الى الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم وهو قيل
ابن عنز فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك ولقومك
من هذا السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناده اخترت رمادا رمدا
لا تبقى من عاد أحدا . لا والدأ يترك ولا ولدأ . لإجعلته هدا لإلأبني اللودية الهدا . قال وهو بطن من
عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال ومن بقي من أنسابهم وأعقابهم هم عاد الآخرة
قال وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النعمة الى عاد حتى تخرج عليهم من
واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فيقول تعالى (بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أي كل شيء أمرت به فكان أول من ابصر ما فيها
وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها فهد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت . فلما
افاقت قالوا مارأيت يا فهد قالت رأيت ريحا فيها كشهد النار أمامها رجال يقودونها فسحرها الله
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك قال واعتزل هود
عليه السلام فيما ذكر لي في حظيرة هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم الا ما يلين عليهم الجلود ويلتذ
الانفس وإنها لتمر على عاد بالطن فيما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة * وذكروا تمام القصة

وقد روى الامام أحمد حديثا في مسنده يشبه هذه القصة فقال حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو
المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث وهو ابن حسان
ويقال ابن يزيد البكري قال خرجت اشكو انعلا بن الحضرمي الى رسول الله (ص) فمررت بالربذة
فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله ان لي الى رسول الله (ص) حاجة فهل أنت مبلني
اليه قال فحملتها فأتيت المدينة فاذا المسجد غاص بأهله واذا راية سوداء تخفق واذا بلال متقلد السيف
بين يدي رسول الله (ص) فقلت ماشأن الناس قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست قال
فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فاذن لي فدخلت فسلمت فقال هل كان بينكم وبين بني تميم شيء
فقلت نعم وكانت لنا الديرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألني أن أحملها اليك وهامي
بالباب فاذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزا فاجعل الدهنا

فإنها كانت لنا قال فحيت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك قال قلت ان مثلي ما قال الاول (معزى حملت حتفها) حملت هذه الأمة ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال هيه وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت ان عاداً قحطوا فبعثوا وفداً لهم يقال له قيل فمر بماوية بن بكر فاقام عنده شهراً يسقيه الخمر ويغنيه جاريثان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال تهامة فقال اللهم انك تعلم أني لم اجئ الى مريض فادويه ولا الى اسير فاديه . اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فمرت به سحبات سود فنودي منها اختر فأومى الى سحابة منها سوداء فنودي منها خذا رماداً رمداً لا تبقى من عاد أحداً قال فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح الا كقدر ما يجرى في خاتمي هذا من الريح حتى هلكوا . قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل اذا بشوا وفداً لهم قالوا لا تسكن كوافد عاد وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة ومن طريقه رواه ابن ماجه . وهكذا أورد هذا الحديث وهذه القصة عند تفسير هذه القصة غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره * وقد يكون هذا السياق لاهلاك عاد الآخرة فان فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ذكر لمسكة ولم تبين الا بعد ابراهيم الخليل حين اسكن فيها هاجر وابنه اسماعيل فنزلت جرمهم عندهم كما سيأتي وعاد الأولى قبل الخليل وفيه ذكر معاوية بن بكر وشعره وهو من الشعر المتأخر عن زمان عاد الأولى لا يشبه كلام المتقدمين . وفيه أن في تلك السحابة شرر نار وعاد الأولى إنما أهلكوا بريح صرصر . وقد قال ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من أئمة التابعين هي الباردة والعاتية الشديدة الهبوب (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) أي كوامل متتابعات * قيل كان أولها الجمعة وقيل الاربعاء (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) شبههم بأعجاز النخل التي لا رؤس لها وذلك لأن الريح كانت تجيء الى أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس كما قال (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر) أي في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) ومن قال ان اليوم النحس المستمر هو يوم الاربعاء وتشام به لهذا الفهم فقد أخطأ وخالف القرآن فانه قال في الآية الأخرى (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات) ومعلوم أنها ثمانية أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤمة وهذا لا يقوله أحد وانما المراد في أيام نحسات أي عليهم وقال تعالى (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي التي لا تنتج خيراً فان الريح المفردة لا تنثر سحاباً ولا تلقح شجراً بل هي عقيم لا تنتج خيراً لها ولهذا قال (ما نذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم) أي كالشيء البالي الفاني الذي لا ينتفع به بالسكينة * وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله (ص) أنه

قال نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدينور * وأما قوله تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاخفاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فالظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فإن سياقها شبيه بسياق قوم هود وهم الأولى . ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية . ويدل عليه ما ذكرنا وما سيأتي من الحديث عن عائشة رضي الله عنها * وأما قوله (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) فإن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر فإذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فإذا هو قهمة رجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به) أي من العذاب ثم فسر به بقوله (ريح فيها عذاب اليم) يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليال بآيامها الثمانية فلم يبق منهم أحداً بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيران فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة فكما منوا بقوتهم وشدتهم وقالوا من أشد منا قوة سلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم وهو الريح العقيم * ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة ظن من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم وغياث لمن بقي منهم فأرسلها الله عليهم شرراً وناراً كما ذكره غير واحد ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو أشد ما يكون من العذاب بالاشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد أفاجح المؤمنون والله أعلم *

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس حدثنا ابن فضل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها (قالوا هذا عارض ممطرنا) فالقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة . وقد رواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن اسماعيل بن زكريا الكوفي عن أبي مالك عن مسلم الملائى عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم . ثم أرسلت عليهم البدو إلى الحضرة فلما رآها أهل الحضرة قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فالقت أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الابواب . قلت وقال غيره خرجت بغير حساب *

والمقصود أن هذا الحديث في رفعه نظر . ثم اختلف فيه على مسلم الملائى وفيه نوع اضطراب والله أعلم * وظاهر الآية أنهم رأوا عارضا والمفهوم منه لمعة السحاب كما دل عليه حديث الحارث بن حسان البكري أن جعلناه مفسراً لهذه القصة . وأصرح منه في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال

حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب سمعت بن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله (ص)، إذا عصفت الريح قال (اللهم اني اسألك خيرا وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) قالت وإذا عابت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يلعاثشة كما قال قوم عاد (فلما رأود عارضا مستقبل أوديتهم قلوا هذا عارض ممطرنا) رواد الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج *

طريق أخرى * قال الامام أحمد حدثنا هرون بن معروف أنبأنا عبد الله بن وهب أنبأنا عمرو وهو ابن الحارث أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت لما رأيت رسول الله (ص)، مستجمعا ضاحكا قط حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم . وقالت كان إذا رأى غيا أو ديجا عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله (للناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية قتال يلعاثشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب . قد عذب قوم نوح بالريح . وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا * فهذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين كما أشرنا اليه أولا . فلي هذا تكون القصة المذكورة في سورة الاحقاف خبرا عن قوم عاد الثانية . وتكون بقية اسياقات في القرآن خبرا عن عاد الأولى والله أعلم بالصواب * وهكذا رواه مسلم عن هارون ابن معروف وأخرجه البخارى وأبو داود من حديث ابن وهب * وقدمنا حج هود عليه السلام عند ذكر حج نوح عليه السلام . وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن . وذكر آخرون أنه بدمشق وبجانبها مكان في حائطه القبلى يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام والله أعلم *

قصة صالح بن عمو عليه السلام

وهم قبيلة مشهورة يقال ثمود باسم جدم ثمود أخى جديس وها ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذى بين الحجاز وتبوك . وقد مر به رسول الله (ص)، وهو ذاهب الى تبوك بمن معه من المسلمين كاسيأتى بيانه وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبيد بن ماسح (١) بن عبيد بن حاجر

(١) وفي نسخة عبيد بن ماشخ والذى فى العرائس هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد

ابن حاذر بن ثمود بن عابر بن ارم الخ نقل عن (محمود الامام)

ابن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الاصنام والانداد ولا يشركوا به شيئاً فامنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونلوا منه بالمال والفعال وهموا بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى في سورة الأعراف (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعيدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم . هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون . فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وقال تعالى في سورة هود (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربه قريب مجيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نترك ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب . قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربه وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله أن عصيته فما تزيدوننى غير تحسير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . إن ربك هو القوى العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين . كأن لم يكن فيهم شئ إلا إن ثمود كفروا ربهم ألا بدأ الثمود) وقال تعالى في سورة الحجر (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين . فأخذتهم الصيحة مصبحين . فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) وقال سبحانه وتعالى في سورة سبحان (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أنتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعميون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما أنت من المسحرين . ما أنت إلا بشر مثلنا فات بآية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا

تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم . فمقروها فاصبحوا نادمين . فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم (وقال تعالى في سورة النمل (ولقد أرسلنا نوحاً أخاه صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون . وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظفروا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكنوا يتقون) وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما نوح فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكنوا يتقون) وقال تعالى في سورة اقتربت (كذبت نوحاً بالنذر . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه) أنا إذا لنفي ضلال وسعر . أتلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر . سيعلمون غداً من الكذاب الأشر . أنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارقبهم واصطبر . ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محضر . فنادوا صاحبهم فعاطى فقفر فكيف كان عذابي ونذر . أنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (كذبت نوحاً بطغواها إذ أنبت أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فمقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) . وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان وسورة (ص) وسورة (ق) والنجم والفجر * ويقال إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب وليس لهما ذكر في كتابهم التوراة ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنهما كما قال تعالى في سورة إبراهيم (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لنفي حميد . ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات) الآية . الظاهر أن هذا من تمام كلام موسى مع قومه ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيداً ولا اعتنوا بحفظه وإن كان خبرهما كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام * وقد تكلمنا على هذا كله في التفسير متقصياً والله الحمد والمنة *

والمقصود الآن . كرقصتهم وما كان من أمرهم وكيف نجي الله نبيه صالحاً عليه السلام . ومن آمن به وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام * قد قدمنا أنهم كانوا عرباً وكانوا بعد عاد ولم يعتبروا بما كان من أمرهم * ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام (أعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض
تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تغشوا في الأرض مفسدين
أي إنما جعلكم خلفاء من بعدكم لتعتبروا بما كنتم أمرهم وتعملوا بخلاف علمهم وأباح لكم هذه الأرض
تبنون في سهولها القصور وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين أي حاذقين في صنعتها واتقانها وإحكامها
فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك له وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته
فإن عاقبة ذلك وخيمة ولهذا وعظهم بقوله (اتركوا فيها هيبنا آمين . في جنات وعيون وزروع ونخل
طلحها هضيم) أي متراكم كثير حسن بهي ناضج (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله وأطيعون
ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وقال لهم أيضاً (يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أي هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض
وجعلكم عمارها أي أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار فهو الخالق الرزاق فهو الذي يستحق العبادة
وحده لا سواه (فاستغفروه ثم توبوا إليه) أي أقبلوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فإنه يقبل منكم
ويتجاوز عنكم (إن ربي قريب مجيب) قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي قد كنا نرجو
أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة وهي دعاؤك إيانا إلى إفراذ العبادة وترك ما كنا نعبد من
الانداد والعدول عن دين الآباء والاجداد ولهذا قالوا (انهمنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما
تدعونا إليه مريب - قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله
إن عصيته فما تريدونني غير تخسير) وهذا تلطف منه لهم في العبادة ولين الجانب وحسن تأت في
الدعوة لهم إلى الخير أي فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ماذا عندكم عند الله وماذا
يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم إلى طاعته وأنا لا يمكنني هذا لانه واجب على
ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرني منه ولا ينصرني فأن لا أزال أدعوكم إلى الله وحده
لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم وقالوا له أيضاً (انما أنت من المسحورين) أي من المسحورين
يعنون مسحوراً لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى إفراذ العبادة لله وحده وخلع ماسواه من الأنداد
وهذا القول عليه الجمهور إن المراد بالمسحورين المسحورين * وقيل من المسحورين أي ممن له سحر وهي
الرثة كأنهم يقولون انما أنت بشر له سحر والأول أظهر لقولهم بعد هذا ما أنت إلا بشر مثلنا * وقولهم
(فأت بآية إن كنت من الصادقين) سألوا منه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم (قال هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم) وقال (قد جاءكم بينة من
ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) وقال تعالى
(وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) *

وقد ذكر المفسرون ان ثمود اجتمعوا يوما في نعليهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله وذكروهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة وأشاروا الى صخرة هناك ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا اوصافا سموها ونعتوها وتعتوا فيها وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا قال لهم النبي صالح عليه السلام أرايتم ان أجبتكم الى ما سألتهم على الوجه الذى طلبتم أتؤمنون بما جئكم به وتصدقوني فيما أرسلت به . قالوا نعم فاخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن ينجيهم الى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذى طلبوا أو على الصفة التى نمتوا فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً فأمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم ولهذا قال (فظهوا بها) أى جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها أى أكثرهم . وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو بن محلاه بن لبيد بن جواس . وكان من رؤسائهم وهم بقية الأشراف بالاسلام قصدهم ذؤاب بن عمر بن لبيد والخباب صاحباً أو ثائبهم ورباب بن صمعر بن جلس ودعا جندع بن عمه شهاب بن خليفة وكان من اشرافهم فهم بالاسلام قهلاء أولئك قال اليهم قتال فى ذلك رجل من المسلمين يقال له مهرش بن غنمة بن الذميل رحمه الله

وكانت عصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهاباً
عزيراً ثمود كلهم جميعاً فهم بأن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن القواة من آل حجر تولوا بعد رُشدهم ذاباً (١)

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام (هذه ناقة الله لكم آية) أضافها لله سبحانه وتعالى اضافة تشريف وتعظيم كقوله يت الله وعبد الله لكم آية أى دليلاً على صدق ما جئكم به فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب قريب) فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شئت من أرضهم وترد الماء يوماً بعد يوم وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك فكانوا يرفضون حاجتهم من الماء فى يومهم لنعدم ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا « قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » ولهذا قال تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم) أى اختباراً لهم أيؤمنون بها أم يكفرون والله أعلم بما يفعلون (فارتقبهم) أى انتظر ما يكون من أمرهم (واضطرب) على أذاهم فسيأتيك الخبر على جلية (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) فلما طال عليهم الحال هذا اجتمع ملؤهم واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم مأؤهم وزين لهم الشيطان

(١) كذا بالاصل وفى الراس ذباباً وفى نسخة فولوا بدل تولوا .

أعمالهم (قال الله تعالى) فقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اتنا بما تمدنا إن كنت من المرسلين). وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر ازرق أصهب وكان يقال انه ولد زانية ولد على فراش سالف وهو ابن رجل يقال له صبيان. وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم فلماذا نسب الفعل الى جميعهم كلهم *

وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين أن امرأتين من ثمود اسم احدهما صدوق ابنة الحيا ابن زهير بن المختار وكانت ذات حسب ومال وكانت تحت رجل من أسلم ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له مصرع بن مخرج بن الحيا وعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة واسم الاخرى عتزة بنت غنيم بن مجلز وتكنى أم عثمان وكانت عجوزا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو احد الرؤساء فرضت بناتها الاربع على قدار بن سالف ان هو عقر الناقة فله أى بناتها شاء فأتى بهن هذان الشبان لقرها وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وسعوا في بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فاجابوهم الى ذلك وطاعوهم في ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من وردها كمن لها مصرع فرماها بسهم فاتظم عظم ساقها وجاء النساء يزمرن القبيلة في قتلها وحسرن عن وجوهن ترغيبا لهم فابتدروهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة الى الارض ورغت رعاة واحدة عظيمة تحذر ولدها ثم طعن في لبثها فنحرها وانطلق سقبها وهو فضيلها فصعد جبلا منيعا ودعا ثلاثا *

وروى عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن أنه قال يارب أين أمي ثم دخل في صخرة فغاب فيها ويقال بل اتبعوه فقروه أيضا قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فقر فكيف كان عذابي ونذر). وقال تعالى (اذ انبث أشقاها فقال لهم رسول الله فاقة الله وسقياها) أى احذروها فكذبوه فقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن نعيم حدثنا هاشم هو أبو عزة عن أبيه عبد الله بن زمة قال خطب رسول الله (ص) فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال (اذ انبثت أشقاها) انبث لها رجل من غارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمة. أخرجه من حديث هشام بن عمار أى شهيم عزيز أى رئيس منيع أى مطاع في قومه * وقال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب عن محمد بن خيثم عن يزيد عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله (ص) لعلى ألا أحدنك بأشقى الناس قال لى قال رجلان أحدهما احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك بأعلى على هذا معنى قرنه حتى تبطل منه هذه معنى لحيته. رواه ابن أبي حاتم. وقال تعالى (فقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا

بإصلاح اثنتا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) فجمعوا في كلامهم هذابين كفر بليغ من وجوه . منها أنهم
 خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية . ومنها أنهم
 استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين * أحدهما التشرط عليهم في قوله (ولا تمسوها بسوء
 فيأخذكم عذاب قريب) وفي آية عظيم وفي الاخرى اليم والكل حق * والثاني استعجالهم على ذلك *
 ومنها أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه وهم يعلمون ذلك علما جازما
 ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم * قال الله تعالى (فقروها
 فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وذكروا أنهم لما عقروا الناقة كان أول من
 سطا عليها قدار بن سالف لعنه الله فعرقها فسقطت الى الارض ثم ابتدروها باسيافهم يقطعونها فلما عاين
 ذلك سقيا وهو ولدها شرد عنهم فعلا على الجبل هناك ورغا ثلاث مرات فلما قال لهم صالح (تمتعوا
 في داركم ثلاثة أيام) أي غير يومهم ذلك فلم يصدقوه أيضا في هذا الوعد الأكيد بل لما أمسوا هموا
 بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) أي لنكيسنه في داره مع أهله
 فلنقتلنه ثم نجحدن قتله وننكرن ذلك أن طالبنا أو لياؤه بدمه . ولهذا قالوا . (ثم لنقولن لولييه ماشهدنا
 مهلك أهله وإنا لصادقون) قال الله تعالى (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان
 عاقبة مكرهم أنا مدرناهم وقومهم أجمعين . فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون
 وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح
 حجارة رضحتهم سلفا وقعبلا قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة
 ووجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما أمسوا نادوا باجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل .
 ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل . وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة فلما أمسوا نادوا ألا قد
 مضى يومان من الأجل . ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة
 فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى الأجل فلما كان صبيحة يوم الأحد تخطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون
 ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنتمة لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب
 فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح
 وزهنت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فاصبحوا في دارهم جائمين
 جثا لا أرواح فيها ولا حراك بها . قالوا ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبه ابنت
 السلق . ويقال لها الذريعة وكانت شديدة الكفر والعداوة لدالح عليه السلام فلما رأت العذاب أطلقت
 رجلاها فقامت تسعى كالسرع شئ فأتت حياً من العرب فخبرتهم بما رأت وما حل بقومها واستسقيتهم
 ماء فلما شربت ماتت . قال الله تعالى (كأن لم يفتنوا فيها) أي لم يقيموا فيها في سعة ورزق وغناء (ألا إن

ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود). أى نادى عليهم لسان القدر بهذا*

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله (ص) بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح فكانت يعنى الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج (فتوا عن أمر ربهم فقروها). وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً فقروها فأخذتهم صيحة أهد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان فى حرم الله. فقالوا من هو يا رسول الله قال هو أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه. وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو فى شئ من الكتب الستة والله أعلم*

وقد قال عبد الرزاق أيضاً قال معمر أخبرني اسماعيل بن أمية أن النبي (ص) مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم. قال هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان فى حرم الله فنهى حرم الله عذاب الله. فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فترل القوم فابتدروه بأسيا فمهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن* قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف* هذا مرسل من هذا الوجه* وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن اسحق فى السيرة عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (ص) يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال إن هذا قبر أبي رغال. وهو أبو ثقيف. وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابه النقرة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب - إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه. فابتدروه الناس فاستخرجوا منه الغصن* وهكذا رواه أبو داود من طريق محمد بن اسحق به* قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله هذا حديث حسن عزيز. قلت تفرد به بجير بن أبي بجير هذا ولا يعرف إلا بهذا الحديث ولم يرو عنه سوى اسماعيل ابن أمية* قال شيخنا فيحتمل أنه وهم فى رفعه وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته والله أعلم قلت لكن فى المرسل الذى قبله وفى حديث جابر أيضاً شاهد له* والله أعلم. وقوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) إخبار عن صالح عليه السلام أنه خاطب قومه بعد هلاكهم وقد أخذ فى الذهاب عن محلهم الى غيرها قائلاً لهم (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم) أى جهدت فى هدايتكم بكل ما أمكنتى وحرصت على ذلك بقولى وفعلى ونبتى (ولكن لا تحبون الناصحين) أى لم تكن سجاياكم تقبل الحق ولا تريده فلماذا صرتم الى ما أنتم فيه من العذاب الأليم المستمر بكم المتصل الى الأبد وليس لى فيكم حيلة ولا لى بالدفع عنكم يدان والذى وجب على من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلته لكم ولكن الله يفعل ما يريد وهكذا خاطب النبي (ص) أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال وقف عليهم وقد ركب راحلته وأمر بالرحيل

من آخر الليل فقال يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا وقال لهم فيما قال بشئ عشيرة النبي كنتم لتبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فبشئ عشيرة النبي كنتم لتبتموني فقال له عمر يا رسول الله تخاطب أقواما قد جيفوا فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون) . وسيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله * ويقال إن صالحا عليه السلام انتقل الى حرم الله فاقام به حتى مات *

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما مر النبي (ص) بوادي عسفان حين حج قال يا أبا بكر أي واد هذا . قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف ازرم العباء وأردتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق * اسناد حسن * وقد تقدم في قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود وابراهيم

مرور النبي ﷺ على الحجر عند تبوك

قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية عن ثافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله (ص) بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فمجنوا منها ونصبوا القدور فامرهم رسول الله ﷺ فأقوا القدور وعلفوا العجيين الا بل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم * وقال احمد أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص) وهو بالحجر لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم * أخرجه في الصحيحين من غير وجه * وفي بعض الروايات انه عليه السلام لما مر بمنازلهم قنع رأسه وأسرع راحلته ونهى عن دخول منازلهم الا أن تكونوا باكين وفي رواية فان لم تبكوا فبكا كوا خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم * صلوات الله وسلامه عليه *

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن اسمعيل بن اوسط عن محمد بن ابي كبشة الانباري عن أبيه واسمه عمرو بن سعد ويقال عامر بن سعد رضي الله عنه قال لما كان في غزوة تبوك فسارغ الناس الى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله (ص) فتأدى في الناس الصلاة جامعة قال فاتيت النبي (ص) وهو ممسك بعيره وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل فعجب منهم يا رسول الله قال أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان

قبلكم وما هو كان بدمكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بذايكم شيئاً وسيأتى قوم لا يدفون عن أنفسهم شيئاً * إسناده حسن ولم يخرجوه . وقد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة فكاتوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم فيبنوناً في الجبال . وذكروا أن صالحاً عليه السلام لما سأله آية فأخرج الله لهم الناقة من الصخرة أمرهم بها وبولد الذي كان في جوفها وحذرهم بأس الله إن هم نالوها بسوء وأخبرهم أنهم سيعقرونها ويكون سبب هلاكهم ذلك وذكروا لهم صفة عاقرها وأنه أحرأزرق أصهب فبعثوا القوايل في البلد متى وجدوا مولوداً بهذه الصفة يقتلونه فكاتوا على ذلك دهرًا طويلاً واقرض جيل وآتى جيل آخر . فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنه بنت آخر مثله في الرياسة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف فلم تتمكن القوايل من قتله لشرف أبيه وجديه فيهم فقتلوا نشأة سريعة فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر حتى كان من أمره أن خرج مطاعاً فيهم رئيساً بينهم فسولت له نفسه عقر الناقة واتبعت على ذلك ثمانية من أشrafهم وهم التسعة الذين أرادوا قتل صالح عليه السلام . فلما وقع من أمرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحاً عليه السلام جاءهم باكياً عليها فلقوه يعتذرون اليه ويقولون إن هذا لم يقع عن ملائمتنا وإنما فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا . فيقال إنه أمرهم باستدراك سبقها حتى يحسنوا اليه عوضاً عنها فذهبوا وراءه فصعد جبلاً هناك فلما تصاعدوا فيه وراءه تعالى الجبل حتى ارتفع فلا يناله الطير ويكي الفصيل حتى سالت دموعه . ثم استقبل صالحاً عليه السلام ودعا ثلاثاً فعندها قال صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وذلك وعد غير مكذوب وأخبرهم أنهم يصبحون من غدهم صفراً ثم تحمر وجوههم في الثاني وفي اليوم الثالث تسود وجوههم * فلما كان في اليوم الرابع أتتهم صيحة فيها صوت كل صاعقة فأخذتهم فأصبحوا في دارهم جاثمين * وفي بعض هذا السياق نظر ومخالفة لظاهر ما يفهم من القرآن في شأنهم وقصتهم كما قدمنا والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

قصة الولد غير الخليل الرحمن

هو إبراهيم بن تسارخ « ٢٥٠ » بن فاحور « ١٤٨ » بن ساروغ « ٢٣٠ » بن راعو « ٢٣٩ » ابن فالغ « ٤٣٩ » بن عابر « ٤٦٤ » بن شالح « ٤٣٣ » بن أرغشند « ٤٣٨ » بن سام « ٦٠٠ » ابن نوح عليه السلام * هذا نص أهل الكتاب في كتابهم وقد أعلمت على أعمارهم تحت أسمائهم بالهندى كما ذكره من المدد (١) وقدمنا الكلام على عمرو نوح عليه السلام فأغنى عن إعادته * وحكى الحافظ

(١) سببه هذه الأرقام موافقة لما في التوراة وأما الأسماء فكثرت مخالفة لما في التوراة * مثلاً أن

ابن عساكر في ترجمة ابراهيم الخليل من تاريخه عن اسحق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب المبتدأ أن اسم أم ابراهيم أميلة * تم اورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة وقال الكاهلي اسمها بونا بنت كرينا بن كرتي من بني أرغشذ بن سام بن نوح *

وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كان ابراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا ولما كان عمر تلخ خمساً وسبعين سنة ولد له ابراهيم عليه السلام ونحور وهاران وولد لهاران لوط * وعندهم أن ابراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يمنون أرض بابل * وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار وصح ذلك الحافظ ابن عساكر بعد ما روى من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد ابن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس قال ولد ابراهيم بنوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون * ثم قال والصحيح أنه ولد ببابل . وإنما نسب اليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معيناً للوط عليه السلام . قالوا فتزوج ابراهيم سارة ونحور ملكا ابنة هاران يمنون بانية أخيه قالوا وكانت سارة عاقراً لاتلد قالوا وانطلق تلخ بانية ابراهيم وامراته سارة وابن أخيه لوط بن هاران فخرج بهم من أرض الكلدانيين الى أرض الكنعانيين فنزلوا حران فمات فيها تلخ وله مائتان وخمسون سنة وهذا يدل على أنه لم يولد بحران وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها * ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين * وهي بلاد بيت المقدس فقاموا بحران وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً وكانوا يعبدون الكواكب السبعة . والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعالي والمقال * ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعياداً وقرايين * وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً سوى ابراهيم الخليل وامراته وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال فان الله سبحانه وتعالى أنه رشده في صغره وابتعثه رسولا واتخذ خليلاً في كبره قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) أي كان أهلاً لذلك وقال تعالى (وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . وان تكذبوا فقد كذب أمم من ما فيها تلخ بدل تسارخ وسروج بدل ساروغ . وفالج بدل فالغ . وارفكشاد بدل أرغشذ ورعو بدل راعو ووضعنا أرقام الاعمار بعد كل اسم *

قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين. أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير. قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة. ان الله على كل شئ قدير. يمدب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تqlبون. وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم. فما كان جواب قومه الا أن قولوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. وقال انما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين. فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم. ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب. وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) ثم ذكر تعالى مناظرته لآييه وقومه كما سذكروه ان شاء الله تعالى. وكان أول دعوته لآييه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس باخلاص النصيحة له كما قال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقاً نبياً. اذ قال لآييه. ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً. ياأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً. ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيواً واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي شقياً). فذكر تعالى ما كان بينه وبين آييه من المحاوره والمجادلة وكيف دعا أباه الى الحق بالطف عبارة. وأحسن اشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر * ثم قال منبها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سناً من آييه (ياأبت إنه قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) أي مستقيماً وانحأ سهلاً خفيفاً يفضي بك الى الخير في دنياك وآخرتك فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة اليه لم يقبلها منه ولا أخذها عنه بل تهدده وتوعده قال (أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك) قيل بالمقال وقيل بالفعل (واهجرني ملياً) أي واقطعني وأطل هجراني فعندها قال له ابراهيم (سلام عليك) أي لا يصلاك مني مكروه ولا ينالك مني اذى بل أنت سالم من ناحيتي وزاده خيراً فقال (سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيواً) * قال ابن عباس وغيره أي لطيفاً يعني في أن هدايتي لعبادته والاخلاص له ولهذا قال (واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً). وقد استغفر له ابراهيم عليه السلام كما وعده في أذيعته. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لآييه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له

أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم)

وقال البخارى حدثنا اسمعيل بن عبد الله حدثني اخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سميد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قشرة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني أن لا تنزني يوم يبعثون وأنى خزي أخزى من أبى الأبعد فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال يا إبراهيم ما نحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلخخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار هكذا رواه في قصة إبراهيم منفردا *

وقال في التفسير وقال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سميد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة * وهكذا رواه النسائي عن احمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان به . وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وفي سياقه غرابة . ورواه أيضا من حديث قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سميد عن النبي (ص) بنحوه وقال تعالى (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ أصناما آلهة اتى أراك وقومك في ضلال مبين) هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تلح وأهل الكتاب يقولون تلح بالنساء الممجة قبيل إنه لقب بصم كان يعبد اسمه آزر *

وقال ابن جرير والصواب أن اسمه آزر ولعل له اسمان علمان أو أحدهما لقب والآخر علم . وهذا الذى قاله محتمل والله أعلم * ثم قال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برى مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هذان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأتى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) . وهذا المقام مقام مناظرة لقومه ويبان لهم أن هذه الاجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للالوهية ولا أن تعبد مع الله عز وجل لانها مخلوقة مبروبة مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتأفل أخرى فتغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا ينيب عنه شئ ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله الا هو ولا رب سواه فبين لهم أولا عدم

صلاحية الكواكب . قيل هو الزهرة لذلك ثم ترقى منها الى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسنها . ثم ترقى الى الشمس التي هي أشد الاجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء فبين انهما مسخرة مسيرة مقطرة مربوبة كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياد تعبدون) ولهذا قال (فلما رأى الشمس بازغة) أى طالعة (قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بربى مما تشركون . إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحتاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا) . أى لست أبالى فى هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله فاتها لا تنفع شيئا ولا تسمع ولا تعقل بل هى مربوبة مسخرة كالكواكب ونحوها أو مصنوعة منحوتة منجورة *
والظاهر ان موعظه هذه فى الكواكب لأهل حران فاتهم كانوا يعبدونها وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيرا كما ذكره ابن اسحق وغيره وهو مستند الى أخبار اسرائيلية لا يوفق بها ولا سيما اذا خالفت الحق * وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الاصنام وهم الذين ناظرهم فى عبادتها وكسرها عليهم وأهانها وبين بطلانها كما قال تعالى (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا . ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال فى سورة الانبياء (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجبنا بلحق أم أنت من اللاحين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجون . قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فنى يذكركم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاستلومهم إن كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤسهم . لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخيرين) وقال فى سورة الشعراء (وائل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الا قدمون . فاتهم عدولى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطمئنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطعم أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين

رب هب لي حكما والحقني بالصالحين). وقال تعالى في سورة الصافات (وان من شيعته لأبراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . ائفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال إني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون . قال أتعبدون ما ننحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فآلقوه في الجحيم . فارادوا به كيذا فجعلناهم الأسفلين) يخبر الله تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام أنه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحرقها عندهم وصغرها وتنقصها فقال (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي متكفون عندها وخاضعون لها قالوا (وجدنا آبائنا لها عابدين) ما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والاجداد وما كانوا عليه من عبادة الانداد (قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين) كما قال تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . ائفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة فما ظنكم به أنه فاعل بكم اذ لقيتموه وقد عبدتم غيره وقال لهم (هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) سلوا له أنها لا تسمع داعيا ولا تنفع ولا تضر شيئا وانما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهال ولهذا قال لهم (أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأبائكم الأقدمون فأنهم عدوا لي الأرب العالمين) وهذا برهان قاطع على بطلان آلهية ما ادعوه من الأصنام لأنه تبرأ منها وتنقص بها فلو كانت تضر لضرته أو تؤثر لأثرت فيه (قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقولون هذا الكلام الذي تقولونه لنا وتنقص به آلهتنا وتطعن بسببه في آبائنا تقولونه محقا جادا فيه أم لا عبا (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعني بل أقول لكم ذلك جادا محقا وإنما إلهكم الله الذي لا إله الا هو ربكم ورب كل شيء فاطر السموات والارض الخالق لهما على غير مثال سبق فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنا على ذلكم من الشاهدين . وقوله (وتالله لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) أقسم ليكيدين هذه الأصنام التي يعبدونها بعد أن تولوا مدبرين إلى عيدهم . قيل إنه قال هذا خفية في نفسه وقال ابن مسعود سمعه بعضهم وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة إلى ظاهر البلد فدعاه أبوه ليحضره فقال إني سقيم كما قال تعالى (فنظر نظرة في النجوم . فقال إني سقيم) . عرض لهم في الكلام - حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق في بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة فلما خرجوا إلى عيدهم واستقر هو في بلدكم (راغ إلى آلهتهم) أي ذهب إليها مسرعا مستخفيا فوجد هاهنا بهو عظيم وقد وضعوا بين أيديها أنواعا من الاطعمة قربانا إليها (فقال) لها على سبيل التهمك والازدراء (ألا تأكلون . مالكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين) لأنها أقوى وأبطش وأسرع وأقهر فكسرها بقدمه في يده كما قال

تعالى (فجلهم جزاذا) أى حطاماً كسرهما كلها (إلا كبيراً لهم لهم اليه يرجعون) قيل إنه وضع القندوم في يد الكبير إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار . فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم (قالوا من فعل هذا بالهتتا إنه لمن الظالمين)

وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يقتلون وهو ما حل بالهتهم التي كانوا يعبدونها فلو كانت آلهة لدفت عن أنفسهم من أضرارها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخباياهم من فعل هذا بالهتتا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) أى يذكرها بالغييب والتنقص لها والازدراء بها فهو المقيم عليها والكاسر لها . وعلى قول ابن مسعود أى يذكرهم بقوله وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين (قالوا فأتوا به على أعين الناس لهم يشهدون) أى في الملاء إلا كبير على رؤس الأشهاد لهم يشهدون مقاتله ويسمعون كلامه ويعاينون ما يحل به من الاقتصاص منه وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه كما قال موسى عليه السلام لفرعون (موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) فلما اجتمعوا وجأؤا به كما ذكرنا (قالوا أنت فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا) قيل معناه هو الحامل لى على تكسيرها وإنما عرض لهم في القول (فاسئلوهم إن كانوا ينطقون) وإنما أراد بقوله هذا أن يادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق فيعترفوا بأنها جناد كسائر الجادات فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى فادعوا على أنفسكم باللامعة فقالوا إنكم أنتم الظالمون أى في تركها لاحفاظ لها ولا حارس عندها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال السدى أى ثم رجعوا إلى الفتنه فعلى هذا يكون قوله إنكم أنتم الظالمون أى في عبادتها * وقال قتادة أدركت القوم حيرة سوء أى فاطرقوا ثم قالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها فنند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرهم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) كما قال (فأقبلوا إليه يرفون) قال مجاهد يسرعون * قال (أفتعبدون ما تنتحون) أى كيف تعبدون أصناماً أنتم تنتحونها من الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون (والله خلقكم وما تعملون) وسواء كانت ما مصدرية أو بمعنى الذى فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون وهذه الأصنام مخلوقة فكيف يعبد مخلوق لمخلوق مثله فانه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم وهذا باطل فلا خير باطل للتحكم إذ ليست العباداة تصلح ولا تجب إلا للمخلوق وحده لا شريك له (قالوا ابنوا له بنياناً فأتقوه في الجحيم . فأرادوا به كيداً فجلناهم الأسفلين) . عدلوا عن الجدال والمناظرة لما اطمعوا وغلبوا ولم يبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفهم وطيناتهم فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودنه ورهانه كما قال

فقال (قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا ياتلو كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرين) . وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فكثروا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لثمن عوفيت لتحملن حطباً للحريق إبراهيم * ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلاها شرر لم ير مثله قط * ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له هزن وكان أول من صنع المجانيق فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم أقوه منه إلى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أتى في النار وقالها محمد حين قيل له (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية *

وقال أبو يعلى حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال (ص) لما أتى إبراهيم في النار قال اللهم إنيك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك *

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا * ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنه قال جل ملك المطر يقول متى أومر فارسل المطر فكان أمر الله أسرع (قلنا ياتلو كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) قال علي بن أبي طالب أي لاتضره وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله قال وسلاماً على إبراهيم لأذى إبراهيم بردها * وقال كعب الأحمري لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار ولم يحرق منه سوى وثقه * وقال الضحاك يروى أن جبريل عليه السلام كان معه بمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره * وقال السدي كان معه أيضاً ملك الظل . وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدر على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم فمن أبي هريرة أنه قال أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال نعم الرب ربك يا إبراهيم * وروى ابن عساکر عن عكرمة أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته يابني إني أريد أن أجى إليك فادع الله أن ينجي من حر النار حولك . فقال نعم فأقبلت إليه لا يمساها شيء من حر النار . فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت * وعن المنهال بن عمرو أنه قال أخبرني أن إبراهيم مكث هناك إما أربعين وإما خمسين يوماً وأنه قال ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها صلوات الله وسلامه عليه

فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا . قال الله تعالى
(ر .وا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) وفي الآية الأخرى (الأسفلين) ففازوا بالخسارة والسفال
هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإن نلهم لا تكون عليهم بردا ولا سلاما ولا يلقون فيها نجاة ولا سلاما
بل هي كما قال تعالى (إنها ساءت مستقرا ومقاما) .

قال البخارى حدثنا عبد الله بن موسى أو ابن سلام عنه أنبأنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير
عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله (ص) أمر بقتل الوزغ وقال وكان ينفخ على
ابراهيم * ورواه مسلم من حديث ابن جريج * وأخرجاه والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة
كلاهما عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه به * وقال احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج أخبرني عبد
الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية أن نافعا مولى ابن عمر أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله (ص)
قال اقلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على ابراهيم . قال فكانت عائشة تقتلن * وقال احمد حدثنا اسماعيل
حدثنا أيوب عن نافع أن امرأة دخلت على عائشة فاذا رمح منصوب فقالت ما هذا الرمح فقالت قتل
به الأوزاغ . ثم حدثت عن رسول الله (ص) أن ابراهيم لما ألقى في النار جمات الدواب كلها تطفئ
عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه * تفرد به أحمد من هذين الوجهين *

وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير حدثنا نافع حدثني سماعة مولاة الفاكه بن المغيرة قالت دخلت
على عائشة فرأيت في يدها رمحا موضوعا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح
قالت هذا لهذه الأوزاغ تقتلن به فان رسول الله (ص) حدثنا أن ابراهيم
حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ عنه النار غير الوزغ
كان ينفخ عليه فأمرنا رسول الله (ص) بقتله * ورواه ابن ماجه عن أبي
بكر بن أبي شيبه عن يونس بن محمد عن جرير بن حازم به .

وذكر من نظرة ابن القيم الحفيد مع من روى

الربوبية وهو أحمد العبد الضعفاء

قال الله تعالى (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في دبه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى
يحى ويميت قال أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذى كفر . والله لا يهدي القوم الظالمين) . يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد

الذى ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليله وبين كثرة جهله وقلة عقله وألججه الحجة وأوضح له طريق المحجة *

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود ابن كئسان بن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد . وقال غيره نمرود بن فالخ بن عابر بن صالح بن أرغشذ ابن سام بن نوح قال مجاهد وغيره وكان أحد ملوك الدنيا فانه قد ملك الدنيا فياذكروا أربعة مؤمنان وكافران . فالؤمنان ذو القرنين وسليمان . والكافران النمرود ويختصر وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعةائة سنة وكان قد طفا وبنا وتجير وعتا وآثر الحياة الدنيا * ولما دعاه ابراهيم الخليل الى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع فخاج ابراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية . فلما قال الخليل ربى الذى يحى ويميت قال أنا احيى وأميت *

قال قتادة والسدى ومحمد بن اسحق يعنى أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلها فإذا أمر بقتل أحدها وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيى هذا وأمات الآخر . وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجى عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشبيب محض وهو اقطاع في الحقيقة فان الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيونات وموتها على وجود فاعل ذلك الذى لا بد من استنادها الى وجوده ضرورة عدم قيامها بنفسها ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيونات التى توجد مشاهدة ثم إمامتها ولهذا (قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت) يقول هذا الملك الجاهل أنا احيى وأميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وإن عنى ما ذكره قتادة والسدى ومحمد بن اسحق فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل *

ولما كان اقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود واقطاعه جبهة (قال فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أى هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها . وهو الله الذى لا إله إلا هو خالق كل شئ * فان كنت كما زعمت من أنك الذى تحى وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب فان الذى يحى ويميت هو الذى يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغال بل قد قهر كل شئ ودان له كل شئ فان كنت كما تزعم فافعل هذا فان لم تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شئ من هذا بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بموضة أو تنصر منها فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ماسلكه وتبجح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل

به بل انسح وسكت ولهذا قال (فبنت، الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) *

وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين ابراهيم وبين النمرود يوم خرج من النار ولم يكن
اجتمع به يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة * وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم
أن النمرود كان عنده طعام وكان الناس ينفدون اليه للميرة فوفد ابراهيم في جملة من وفد للميرة فكان
بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابراهيم من الطعام كما أعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام *
فلما قرب من أهله عمد الى كتيب من التراب فقرأ منه عدليه وقال أشغل أهلي إذا قدمت عليهم فلما
قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملائنين طعاماً طيباً فعملت
منه طعاماً * فلما استيقظ ابراهيم وجد الذي قد أصلحوه فقال أنى لكم هذا قالت من الذي جئت به
فعرّف أنه رزق رزقه هو الله عز وجل * قال زيد بن أسلم وبث الله الى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره
بالإيمان بالله فأبى عليه . ثم دعا الثانية فأبى عليه . ثم الثالثة فأبى عليه . وقال اجمع جموعك

وأجمع جموعى فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليه ذباباً من

البعوض فجمعهم لم يروا عيين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودمائهم

وتركتهم عظاماً بادية ودخلت واحدة منها في منخر الملك فكشفت في

منخرها أربع مائة سنة عذبه الله تعالى بها فكان يضرب رأسه

بالمزارب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله عز وجل بها

هجرة النخيل الى بلاد السهم ثم الريان المصرية واستقراره في الأرض المقدسة

قال الله (فأمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي إنه هو العزيز الحكيم . ووهبنا له اسحق ويعقوب
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب . وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وقال تعالى
(ونجيناه لوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا
صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا
عابدين) لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد
أحد بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذريته
النبوة والكتاب فكل نبي بث بعده فهو من ذريته وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من
بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر الى بلدي يمكن

فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق اليه والارض التي قصدها بالمجرة أرض الشام. وهي التي قال الله عز وجل (إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين) قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم * وروى العوفي عن ابن عباس قوله (إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين) مكة ألم تسمع إلى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين) .

وزعم كعب الاحبار أنها حران * وقد قدمنا عن قتل أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة ابراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا فتزولوا حران فأتى أبو ابراهيم بها وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طغت على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغيرها رواه ابن جرير وهو غريب * والمشهور أنها ابنت عمه هاران الغني تنسب اليه حران ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش قد أبد النجدة وقال بلا علم وادعى ان تزويج بنت الأخ كان اذ ذاك مشروعاً فليس له على ذلك دليل . ولو فرض ان هذا كان مشروعاً في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الانبياء لا تتعاطاه والله أعلم * ثم المشهور ان ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجراً من بلاده كما تقدم والله أعلم . وذکر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام أوحى الله اليه إني جاعل هذه الأرض خلفك من بعدك فابتغى ابراهيم مذبحة لله شكراً على هذه النعمة وضرب قبته شرقي بيت المقدس ثم انطلق مرتحلاً إلى التيمن وأنه كان جوعاً أي قحطاً وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر وذكرنا قصة سارة مع ملكها وان ابراهيم قال لها قولي أنا أخته وذكرنا خدام الملك إياها هاجر . ثم أخرجهم منها فرجعوا إلى بلاد التيمن يعني أرض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال *

وقد قال البخاري حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فصله كبيرم هذا) وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة قليل له ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل اليه وسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فاخبرته أنك أختي فلا تكذبي فأرسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعا بعض حجبه فقال إنك لم تأتني بانسان وانما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهم فقالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر * قال أبو هريرة فذلك أمكم يا بني ماء السماء . ففرد به من هذا الوجه موقوفاً * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد

ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال إن إبراهيم لم يكذب قط الا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله قوله (أني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة اذ نزل منزلا فأتى الجبار فقيل له إنه قد نزل ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس . فأرسل اليه فسأله عنها فقال إنها أختي فلما رجع اليها قال ان هذا سألني عنك فقلت إنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وإنك أختي فلا تكذبيني عنده فأطلق بها فلما ذهب يتناولها أخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها . فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت فارسل ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال إنك لم تأتني بإنسان ولكن أتيتني بشيطان أخرجه وأعطها هاجر فجاءت وإبراهيم قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الظالم وأخذني هاجر وأخرجاه من حديث هشام * ثم قال البزار لا نعلم أسنده عن محمد عن أبي هريرة الا هشام ورواه غيره موقوفا * وقال الامام احمد حدثنا علي بن حفص عن ورقاء هو ابن عمر الشكري عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات قوله حين دعى الى آلهتهم فقال (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وقوله لسارة (إنها أختي) قال ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس قال فأرسل اليه الملك أو الجبار من هذه معك قال أختي قال فأسل بها قال فأرسل بها اليه وقال لا تكذبي قولي فإني قد أخبرته أنك أختي إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك فلما دخلت عليه قام اليها فقبلت توشأ وتصلي وتقول اللهم ان كنت تعلم اني آمننت بك وبرسولك وأحصنت فرجى الا على زوجى فلا تسلط على الكافر قال فغبط حتى ركض برجله * قال أبو الزناد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة إنها قالت اللهم ان يمت يقال هي قتلتك قال فأرسل قال ثم قام اليها قال فقامت توشأ وتصلي وتقول (اللهم ان كنت تعلم اني آمننت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على الكافر) قال فغبط حتى ركض برجله قال أبو الزناد وقال أبو سلمة عن أبي هريرة إنها قالت اللهم ان يمت يقل هي قتلتك قال فأرسل قال فقال في الثالثة أو الرابعة ما أرسلتم الى الأشرطان ارجعوهما الى إبراهيم وأعطوها هاجر قال فرجعت فقالت لإبراهيم أشعرت ان الله رد كيد الكافرين وأخدم وليدة * تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط لصحيح * وقد رواه البخاري عن أبي اليان عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص)، به مختصرا * وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سفيان عن علي بن زيد ابن جهمان عن أبي فضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص)، في كبات إبراهيم الثلاث التي قال ما منها كلمة الا ما حل بها عن دين الله فقال إني سقيم وقال بل فعله كبيرم هذا وقال للملك حين اراد امرأته هي أختي فقوله في الحديث هي أختي أي في دين الله وقوله لها إنه ليس على وجه الأرض مؤمن

غيرى وغيرك يعنى روجين مؤمنين غيرى وغيرك ويتمين حمله على هذا لان لوطا كان معهم وهو نبى عليه السلام وقوله لهما رجعت اليه مبهمة معناه ما الخبر فقالت ان الله رد كيد الكافرين. وفي رواية الفاجر وهو الملك وأخدم جارية وكان ابراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها الى الملك قام يصلى لله عز وجل ويسأله أن يدفع عن أهله وأن يرد بأس هذا الذى اراد اهله بسوء وهكذا فعلت هى ايضا فلما اراد عدو الله ان ينال منها أمراً قامت الى وضوئها وصلاتها ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم ولهذا قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) فقصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحييه وخليه ابراهيم عليه السلام

وقد ذهب بعض العلماء الى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام * والذى عليه الجمهور أنهم صديقات رضى الله عنهن وارضاهن * ورأيت فى بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين ابراهيم عليه السلام وبينها فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده الى أن رجعت اليه وكان مشاهدا لها وهى عند الملك وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطماً عينته فانه كان يحبها حباً شديداً لديها وقرابتها منه وحسنها الباهر فانه قد قيل إنه لم تكن امرأة بعد حواء الى زمانها أحسن منها رضى الله عنها * والله الحمد والمنة *

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخا للضحاك الملك المشهور بالظلم وكان عاملاً لآخيه على مصر * ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام ابن نوح . وذكر ابن هشام فى التيجان أن الذى أرادها عمرو بن امرئ القيس بن مايلون (١) بن سبأ وكان على مصر قلعه السهيلي فله أعلم *

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر الى أرض التيمن وهى الأرض المقدسة التى كان فيها ومعه أفعام وعبيد ومال جزيل ومحبتهم هاجر القبطية المصرية ثم إن لوطا عليه السلام تزح بماله من الاموال الجزيلة بأمر الخليل له فى ذلك الى أرض النور المعروف بنور زغر فتزل بمدينة سدوم وهى أم تلك البلاد فى ذلك الزمان وكان أهلها أشراً كفاراً فجاء وأوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل فأمره أن يمد بصره وينظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وبشره بان هذه الأرض كلها سأجعلها لك وخلفك الى آخر الدهر وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض * وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كملت ولا كانت أعظم منها فى هذه الأمة المحمدية * يؤيد ذلك قول رسول الله (ص)، ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها . قالوا ثم أن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام فأسروه وأخذوا أمواله واستاقوا أفعامه فلما بلغ

(١) قوله مايلون كذا فى النسختين المصريتين والذى فى النسخة الحلبية مايلون

أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقا كثيرا وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل الى شرقى دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة وأظن مقام ابراهيم انما سمي لأنه كان موقف جيش الخليل والله أعلم .
ثم رجع مؤيدا منصورا الى بلاده وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر بيلاده صلوات الله وسلامه عليه *

ذكر مولد اسماعيل عليه السلام من هاجر

قال أهل الكتاب إن ابراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لابراهيم بيلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لابراهيم عليه السلام إن الرب قد أحرمنى الولد فادخل على أمتى هذه لعل الله يرزقنى منها ولذا فلما وهبها له دخل بها ابراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه قالوا فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاطت على سيدتها فغارت منها سارة فشكت ذلك الى ابراهيم فقال لها افعلى بها ماشئت فخافت هاجر فهربت فترلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافى فان الله جاعل من هذا الغلام الذى حملت خيرا وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنا وتسويه اسماعيل ويكون وحش الناس يده على الكل ويد الكل به ويملك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عز وجل على ذلك . وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه الذى سادت به العرب وملك جميع البلاد غربا وشرقا وأتاه الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم توت أمة من الأمم قبلهم وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل وبركة رسالته وبمن بشارته وكاله فيما جاء به وعموم بعثه لجميع أهل الأرض . ولما رجعت هاجر وضعت اسماعيل عليه السلام قالوا وولدت لابراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة* ولما ولد اسماعيل أوحى الله الى ابراهيم يبشره باسحق من سارة فخر الله ساجداً وقال له قد استجبت لك فى اسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جداً كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيماً* وأجمعه رئيساً لشعب عظيم وهذه ايضا بشارة بهذه الأمة العظيمة وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً الخلفاء الراشدون الاثنا عشر المبشر بهم فى حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي (ص) قال (يكون اثنا عشر أميراً) ثم قال كلمة لم افهمها فسألت أبى ما قال قال (كلهم من قريش) أخرجاه فى الصحيحين . وفى رواية لا يزال هذا الأمر قائماً وفى رواية عزيزاً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . ومنهم عمر بن عبد العزيز ايضا . ومنهم بعض بنى العباس وليس المراد أنهم يكونون اثني عشر نسقاً بل لابد من وجودهم وليس المراد الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الرافضة الذين أولهم على بن أبى طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرا وهو محمد ابن الحسن العسكري فيما يزعمون فان أولئك لم يكن فيهم أنفع من

على وإبنة الحسن بن علي حين ترك القتال وسلم الأمر لمعاوية وأخذ نزل الفتنة وسكن رحى الخروب بين المسلمين والباقيون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الأمة في أمر من الأمور * وأما ما امتقدونه بسر داب سامرا فذاك هوس في الرؤس وهذيان في النفوس لاحقيقة له ولا عين ولا أثر *

والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها اسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من انبيس أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فصار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعا فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت اليه هاجر وتعلقت بتيانه وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفيننا فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت فإذا لا يضيعنا * وقد ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب النوادر أن سارة تغضبت على هاجر خلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها وأن تخفضها فتبر قسمها * قال السهيلي فكانت أول من اختتن من النساء وأول من تثبت أختها منهن وأول من طولت ذيلها *

فكر مهاجرة إلى بلد هيم بانه السماعيل وأخته هاجر إلى جبل فالداهي الرعي مكة وبناء البيت العتيق

قال البخاري قال عبد الله بن محمد هو أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب السخيتاني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعني أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فبعثته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به انس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند

يتك المحرم . ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أئمة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)
وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا فسد ما في السقاء عطشت وعطش
ابنها وجعلت تنظر اليه يلتوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل
في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا
حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ثم سمعت سعي الانسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادي ثم
أنت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات * قال ابن عباس
قال النبي (ص)، فلذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها .
ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث
بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تفرغ من الماء في سقاها
وهي تفور بعد ما تعرف * قال ابن عباس قال النبي (ص)، (يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم)
أوقال (لو لم تفرغ من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً) فشربت وأرضت ولدها فقال لها الملك لا تخاف
الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض
كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رقعة من جرم أو
أهل بيت من جرم مقبلين من طريق كذا فزولوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عاثفاً فقالوا إن هذا الطائر
ليدور على الماء لهدانا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فآخبروهم بالماء
فأقبلوا قال وأم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا إن نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء
قالوا نعم * قال عبد الله بن عباس قال النبي (ص)، فالتقى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فزولوا وأرسلوا
إلى أهلهم فزولوا معهم حتى إذا كان بها أهل أليات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم
وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج اسمعيل
يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا . ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم فقالت
نحن بشر في ضيق وشدة وشكت اليه * قال فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام وقلولي له يغير عتبة
بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد فقالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا
عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشئ قالت نعم أمرني
أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذاك أبي وأمرني أن أفارقك فالحق بأهلك فطلقتها
وتزوج منهم أخرى ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله * ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألتها عنه
فقال خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألتها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأنت على
الله قال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء . قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال النبي (ص)، ولم يكن لهم يومئذ حب . ولو كان لهم حب لسا لهم فيه فما لا يخلو عليها أحد (١) بين مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومره يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أنا كم من أحد قالت نعم أنا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشي قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي وأمرني أن أمسكك * ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى ببلاله تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد * ثم قال يا اسمعيل إن الله أسرفي بأمر قال فاصنع ما أمرك به ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أسرفني ان أبني ههنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا قبل منا انك أنت السميع العليم) قال وجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان (ربنا قبل منا انك أنت السميع العليم) ثم قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك ابن عمرو حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما كان من إبراهيم وأهله ما كان خرج باسمعيل وأم اسمعيل ومعه شاة فيها ماء * وذكر تمامه بنحو ما تقدم وهذا الحديث من كلام ابن عباس وموشح برفع بعضه وفي بعضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الاسرائيليات * وفيه أن اسمعيل كان رضيما اذ ذاك * وعند أهل التوراه أن إبراهيم أمره الله بأن يحتن ولده اسمعيل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فحتنهم وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره فيكون عمر اسمعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة وهذا امثال لامر الله عز وجل في أهله فيدل على أنه فعله على وجه الوجوب ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء انه واجب على الرجال كما هو مقرر في موضعه

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال النبي (ص)، اختن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم * تابعه عبد الرحمن بن اسحق عن أبي الزناد * تابعه مجلان عن أبي هريرة ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة * وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به * وفي بعض الالفاظ اختن إبراهيم بعد ما أتت عليه ثمانون سنة واختن بالقدوم والقدوم هو الآلة وقيل موضع وهذا

(١) قوله فيها لا يخلو عليهما أحد الى قوله الا لم يوافقاه كذا بالأصول الشامية والمصرية وهو سقيم وفي مثل هذا الموضع من العرائس للثعلبي فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيра وتمرا انتهى عن (محمود الامام)

اللفظ لا ينافي الزيادة على الثمانين . والله أعلم لما سيأتى من الحديث عند ذكر وفاته عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال اختن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة رواه ابن حبان فى صحيحه . وليس فى هذا السياق ذكر قصة الذبيح وأنه اسمعيل ولم يذكر فى قدمات إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث مرات أولاهن بعد أن تزوج اسمعيل بعد موت هاجر وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر الى حين تزويجه لا ينظر فى حالهم . وقد ذكر أن الارض كانت تطوى له وقيل إنه كان يركب البراق اذا سار اليهم فكيف يتخلف عن مطالعة حالهم وهم فى غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة * وكان بعض هذا السياق متلقى من الاسرائيليات ومطرز بشئ من المرفوعات ولم يذكر فيه قصة الذبيح وقد دللنا على أن الذبيح هو اسمعيل على الصحيح فى سورة الصافات

قصة النزوح

قال الله تعالى (وقال إني ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بسلام حلیم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتلا للجبين . ونادىناه ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجى نبى المحسنين . ان هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الاخرين . سلام على إبراهيم . كذلك نجى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) . يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه ان يهب له ولدا صالحا فبشره الله تعالى بسلام حلیم وهو اسماعيل عليه السلام لانه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل . وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره وقوله (فلما بلغ معه السعى) أى شب وصار يسمى فى مصالحه كأبيه قال مجاهد (فلما بلغ معه السعى) أى شب وارتمل وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل . فلما كان هذا رأى إبراهيم عليه السلام فى المنام أنه يؤمر بذبح ولده * هذا . وفى الحديث عن ابن عباس مرفوعا رؤيا الانبياء وحى * قاله عبيد ابن عمير أيضا وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله فى أن يذبح هذا الولد العزيز الذى جاءه على كبر وقد طعن فى السن بعد ما أمر بان يسكنه هو وأمه فى بلاد قعر وواد ليس به حسيس ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع فامثل أمر الله فى ذلك وتركها هناك تة بالله وتوكل عليه فجعل الله لها فرجا ومخرجا ورزقها من حيث لا يحتسبان . ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذى قد أفرد عن امر ربه وهو بكره ووحيد الذى ليس له غيره أجاب ربه وامثل أمره وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسرا ويذبحه قهرا (قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر

ماذا ترى) فبادر الغلام الحليم سر والده الخليل إبراهيم فقال يا أبت أفضل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) قيل أسلما أى استسلما لأمر الله وعزما على ذلك . وقيل هذا من المقدم والمؤخر والمعنى تله للجبين أى ألقاه على وجهه . قيل أراد أن يذبحه من قناه لئلا يشاهده في حال ذبحه قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك . وقيل بل أضجعه كما تضجع الذبائح وبقى طرف جبينه لاصقا بالأرض واسلما أى سعى إبراهيم وكبر وتشهد الولد للموت * قال السدى وغيره أمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئا ويقال جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس والله أعلم . فعند ذلك نودى من الله عز وجل (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أى قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك الى أمر ربك وبذلك ولدك القربان كما سمحت بيدك للثيران وكما مالك مبذول للضيغان ولهذا قال تعالى (إن هذا هو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر البين وقوله (وفديناه بذبح عظيم) أى وجعلنا فداء ذبح ولده مايسره الله تعالى له من العوض عنه والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أقرن رآه مربوطا بسرة في ثبير . قال الثوري عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا (١) وقال سعيد بن جبير كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر . وعن ابن عباس هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثناء فذبحه وهو الكبش الذى قر به ابن آدم فتقبل منه . رواه ابن أبى حاتم *

قال مجاهد فذبحه بنى وقال عبيد بن عمير ذبحه بالقام . فأما ما روى عن ابن عباس أنه كان وعلا وعن الحسن أنه كان تيسا من الأروتى . واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما * ثم غالب ما هبنا من الآثار مأخوذ من الاسرائيليات * وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر وأنه فدى بذبح عظيم وقد ورد في الحديث أنه كان كبشا * قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله نافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا قالت أرسل رسول الله (ص) الى عثمان بن طلحة وقال مرة إنها سألت عثمان لم دعاك رسول الله (ص) قال إني كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرها فخرها فانه لا ينفو أن يكون في البيت شئ يشغل المصلى قال سفيان لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا . وهذا روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد ييس . وهذا وحده دليل على أن الذبيح اسمعيل لأنه كان هو المقيم بمكة . واسحق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره والله أعلم . وهذا هو الظاهر من القرآن بل كأنه نص على أن الذبيح هو اسمعيل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال

بعده (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) ومن جعله حالا فقد تسكف ومستنده أنه اسحق إنما هو اسرائيليات وكتابتهم فيه تحريف ولا سيما ههنا قطعا لا محيد عنه فان عندهم أن الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحده وفي نسخة من المعربة بكرة اسحق فلفظة اسحق ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة لانه ليس هو الوحيد ولا البكر . ذاك اسمعيل . وانما حملهم على هذا حسد العرب فان اسمعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله (ص) واسحق والد يعقوب وهو اسرائيل الذين يتنسبون اليه فارادوا أن يهجروا هذا الشرف اليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقرأوا بان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء . وقد قال بانه اسحق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم . وانما أخذوه والله أعلم من كذب الاحبار أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه اسمعيل . وما أحسن ما استدلل محمد بن كعب القرظي على أنه اسمعيل وليس باسحق من قوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب قال فكيف تقع البشارة باسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل أن يولد له هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم *

وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال بما حاصله أن قوله (فبشرناها باسحاق) جملة تامة وقوله (ومن وراء اسحاق يعقوب) جملة أخرى ليست في حيز البشارة . قال لانه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضا إلا أن يعاد معه حرف الجر فلا يجوز أن يقال مررت بزيد ومن بعده عمرو حتى يقال ومن بعده عمر . وقال قوله (ومن وراء اسحق يعقوب) منصوب بفعل مضمر تقديره (ووهبنا لاسحق يعقوب) وفي هذا الذي قاله فطر . ورجح أنه اسحاق واحتج بقوله (فلما بلغ معه السعي) قال واسماعيل لم يكن عنده انما كان في حال صفرة هو وأمه بجبال مكة فكيف يبلغ معه السعي * وهذا أيضا فيه نظر لانه قد روى أن الخليل كان يذهب في كثير من الأوقات راكبا البراق الى مكة يطلع على ولده وابنه ثم يرجع والله أعلم * فمن حكى القول عنه بأنه اسحق كذب الاحبار * وروى عن عمر والعباس وعلى وابن مسعود ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشبي ومقاتل وعبيد بن عمر وأبي ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم وابن أبي بردة ومكحول وعثمان بن حاضر والسدي والحسن وقادة وأبي الهذيل وابن سابط وهو اختيار ابن جرير وهذا عجب منه وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه اسماعيل عليه السلام . قال مجاهد وسعيد والشبي ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس هو اسماعيل عليه السلام وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى اسماعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود * وقال عبد الله بن الأمام احمد

عن أبيه هو اسماعيل * وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن الذبيح فقال الصحيح أنه اسماعيل عليه السلام * قال ابن أبي حاتم وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح أنهم قالوا الذبيح هو اسماعيل عليه السلام * وحكاه البغوي أيضاً عن الربيع بن أنس والكلبي وأبي عمرو بن العلاء * قلت وروى عن معاوية وجاء عنه أن رجلاً قال لرسول (ص) يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله (ص) واليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن اسحاق بن يسار وكان الحسن البصري يقول لاشك في هذا وقال محمد بن اسحاق عن بريدة عن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام يعني استدلاله بقوله بعد العصمة فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فقال له عمر إن هذا الشيء ما كنت افطر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم قال فسأله عمر بن عبد العزيز أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال اسماعيل والله يأمر المؤمنين وإن اليهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن اسحق أبوم * وقد ذكرنا هذه المسئلة مستقصاة بأدلتها وآثارها في في كتابنا التفسير والله الحمد والمنة

سورة اسحاق

قال الله تعالى (وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد كانت البشارة به من الملائكة لابراهيم وسارة لما مروا بهم مجتازين ذاهبين الى مدائن قوم لوط ليدمروا عليهم لكفرهم وفجورهم كما سيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى قال الله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بمجل حنيد . فلما رأى أيديهم لا تصل اليهم نكرمهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحك فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلتى أأنا وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هنا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وقال تعالى (وبشرهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون . قالوا لا توجل إنا نبشرك بضلام عليم . قال أبشروني على أن مسني الكبير فم تبشرون . قالوا بشرك بالحق فلا

تكن من القانطين . قال ومن يقنط من رحمة ربه (إلا الضالون) وقال تعالى (هل أتاك حديث ضيف
 ابراهيم المكرم . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله ثاء بمجل
 سمين . فقر به اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت
 امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) يذكر
 تعالى أن الملائكة قالوا وكانوا ثلاثة حيريل وميكائيل واسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم أضيافا
 فملهم معاملته الضيوف شوى لهم عجلا سميت من خيار بقره فلما قر به اليهم وعرض عليهم لم ير لهم همة
 الى الأكل بل كاية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة الى الطعام (فذكرهم) ابراهيم) وأوجس
 منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط). أى لتدمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا لله
 عليهم وكانت قائمة على رؤس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما ضحكت استبشرا
 بذلك قال الله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) أى بشرتها الملائكة بذلك (فأقبلت
 امرأته في صرة) أى فى صرخة (فصكت وجهها) أى كما يفعل النساء عند التعجب) وقالت يا بولتي أألد
 وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا) أى كيف يلد مثلى وأنا كبيرة وعقيم ايضا وهذا بعلى أى زوجى شيخا
 تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قالت (إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله
 وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وكذلك تعجب ابراهيم عليه السلام استبشرا بهذه البشارة
 وتثيتا لها وفرحا بها (قال أبشروا على أن مسنى الكبر فيم تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن
 من القانطين) أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروها (بغلام عليم) . وهو اسحق وأخوه
 اسماعيل غلام حليم مناسب لمقامه وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر . وقال فى الآية
 الأخرى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وهذا مما استدلل به محمد بن كعب القرظى وغيره
 على أن الذبيح هو اسماعيل وأن اسحق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود
 ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده *

وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الحنيد وهو المشوى رغيفا من مكة فيه ثلاثة أكيا
 وسمن وابن . وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض * وقيل كانوا يودون أنهم يأكلون والطعام
 يتلاشى فى الهواء . وعندهم أن الله تعالى قال لابراهيم أما سارا امرأتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن
 اسمها سارة وأبارك عليها وأعطيك منها ابنا وأباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه فخر ابراهيم
 على وجهه يعنى ساجدا وضحك قائلا فى نفسه أبعد مائة سنة يولد لى غلام أو سارة تلد وقد أتت عليها
 تسعون سنة . وقال ابراهيم لله تعالى ليت اسماعيل يعيش قدامك فقال الله لابراهيم بحق إن امرأتك سارة

فلذلك غلاما وتدعو اسمه اسحق الى مثل هذا الحين من قابل واوثقه ميثاقى الى الدهر وخلفه من بعده وقد استجبت لك فى اسماعيل وباركت عليه وكبرته ونميته جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما وأجمله رئيسا لشعب عظيم * وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم. فقوله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراءه اسحق يعقوب) دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها اسحق ثم من بعده يولد ولده يعقوب أى يولد فى حياتهما لتقر أعينهما به كما قرت بولده . ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيب عليه من دون سائر نسل اسحق فائدة ولما عين بالذكر دل على أنها يتمتعان به ويسران بولده كما سرا بمولده أبيه من قبله وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) وقال تعالى (فلما اعتزلهم وما يبدون من دون الله ووهبنا له اسحق ويعقوب) وهذا ان شاء الله ظاهر قوى ويؤيده ما ثبت فى الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمى عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما قال أربعون سنة قلت ثم أى قال ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد . وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذى أسس المسجد الأقصى وهو مسجد ايليا بيت المقدس شرفه الله . وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث فعلى هذا يكون بناء يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام بعد بناء الخليل وابنه اسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء وقد كان بناؤها ذلك بعد وجود اسحق لأن ابراهيم عليه السلام لما دعا قال فى دعائه كما قال تعالى (واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وجنبى وبى أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانه غفور رحيم . ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) . وما جاء فى الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلا لا ثلاثا كما ذكرناه عند قوله (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) وكما سنورده فى قصته فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جد وبناء كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ولم يقل أحد إن بين سليمان و ابراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان فى تقاسيمه وأنواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق اليه

بناء البيت العتيق

قال الله تعالى (واذ بوئنا لآبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا . والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وقال تعالى (واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن . قال إني جاعلك للناس إماما . قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام الخفاء ووالد الأنبياء عليه أفضل صلاة وتسليم أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه وبوأه الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه * وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد إليه بوحي من الله عز وجل . وقد قدمنا في صفة خلق السموات أن الكعبة بحيال البيت المعمور بحيث أنه لو سقط لسقط عليها وكذلك معابد السنوات السبع كما قال بعض السلف إن في كل سماء بيتا يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبنى له بيتا يكون لأهل الأرض كذلك المعابد للملائكة السموات وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام * ومن تمسك في هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم * وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قالوا له قد طفنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل * وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها فأما إن ردها الحق فهي مردودة . وقد قال الله (إن أول بيت وضع

للناس للذي بكة مباركا وهدى للعالمين) أى أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى البيت الذى بكة * قيل مكة وقيل محل الكعبة (فيه آيات بينات) أى على أنه بناء الخليل والدالانياء من بعده وإمام الخفاء من ولده الذين يقتدون به ويتمسكون بسبته ولهذا قال (مقام إبراهيم) أى الحجر الذى كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء كما تقدم فى حديث ابن عباس الطويل. وقد كان هذا الحجر ملصقا بجائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين بالبيت واتبع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا فانه قد واقفه ربه فى اشيء منها فى قوله لرسوله (س) لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله (وأتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقد كانت آثار قديمي الخليل باقية فى الصخرة الى أول الأسلام وقد قال أبو طالب فى قصيدته اللامية المشهورة.

وثورٍ ومن أرسى ثبيرا مكانه وراقٍ لبرٍّ فى حراء ونزل (١)
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بقاتل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه إذا كتفوه بالصحي والأصائل
وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

يعنى أن رجله الكريمة غاصت فى الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لامتعلقة ولهذا قال تعالى (واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) أى فى حال قولهما (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) فهما فى غاية الاخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعى المشكور (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

(١) قال فى المعجم بعد بيان معنى ثور أنه الجبل الذى فيه النار. وقال أبو طالب عم النبي عليه السلام. أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بشر * أو ملح بياطل * ومن كاشح يسعى لنا بمعية * ومن مفتر فى الدين ما لم يحاول * وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وغير وراق (١) فى حراء ونزل. وقال الجوهري ثور جبل بمكة وفيه النار المذكور فى القرآن الى أن قال صاحب المعجم ايضا وقد قيل إن بمكة ايضا جبل اسمه غير ويشهد بذلك بيت أبى طالب المذكور فانه ذكر جبال مكة وذكر فيها غيرا فيكون المعنى أن حرم المدينة مقدار ما بين غير الى ثور الذين بمكة أو حرم المدينة تحريما مثل تحريم ما بين غير وثور بمكة بحذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ووصف المصدر المحذوف الخ (١) قوله وغير وراق هكذا فى المعجم. وماتى القصيدة المطبوعة بالاستانة والاصول التى يأيدنا وراق لبر. والبر العبادة

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في واد غير ذى زرع ودعاهم بالبركة وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار وأن يجعله حرماً محرماً وآمناً محتماً فاستجاب الله له الحمد له مسألته ولبى دعوته وأنه طلبته فقال تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجيب إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا) وسأل الله أن يبعث فيهم رسولا منهم أى من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لئتم عليهم النعمتان الدنيوية والدينية سعادة الأولى والأخرى. وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا وأى رسول ختم به أنبياء ورسله واكمل له من الدين ما لم يؤت احداً قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الاقطار والأمصا والأعصار الى يوم القيامة. كان هذا من خصائصه من بين سائر الانبياء لشرفه في نفسه وكمال ما أرسل به وشرف ببعثه وفصاحة لغته وكمال شفقتة على أمته ولطفه ورحمته وكريم محتده وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام اذ كان باني الكعبة لأهل الأرض أن يكون منصبه ومحلّه وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذى هو كعبة أهل السماء السابعة المبارك المبرور الذى يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعدون فيه. ثم لا يعودون اليه الى يوم البعث والنشور وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بناية البيت وما ورد في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية فمن أراد فليراجعه ثم والله الحمد * فمن ذلك ما قال السدى لما أمر الله إبراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت ثم لم يدريا اين مكانه حتى بعث الله ريحا يقال له الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لهما ماحول الكعبة عن اساس البيت الأول واتبعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس وذلك حين يقول تعالى (واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) فلما بلغا القواعد بنيا الركن قال إبراهيم لاسماعيل يا بني اطلب لى الحجر الأسود من الهند وكان ابيض ياقوتة يضاء مثل النعامة وكان آدم هبط به من الجنة فأسود من خطايا الناس فجاء اسماعيل بحجر فوجده عند الركن. فقال يا أبتى من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنيا وهما يدعوان الله (ربنا تقبل منّا) إنك أنت السميع العليم) وذكر ابن أبي حاتم أنه بناء من خمسة اجبل وأن ذا القرنين وكان ملك الأرض إذ ذاك مر بهما وهما يبنيانه فقال من أمركما بهذا فقال إبراهيم الله أمرنا به فقال وما يدرينى بما تقول فشهدت خمسة اكبش انه أمره بذلك فأمن وصدق *

وذكر الازرقى أنه طاف مع الخليل بالبيت وقد كانت على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد إبراهيم من جهة الشمال مما على الشام على ما هي عليه اليوم * وفي الصحيحين من حديث مالك عن ابن شهاب عن سالم أن عبد الله بن محمد بن أبى بكر اخبر بن عمر عن عائشة أن رسول الله (ص) قال ألم ترى الى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم فقلت يا رسول

الله الا تردّها على قواعد ابراهيم فقال لولا حدثان قومك وفي رواية لولا أن قومك حديث عهد بمجاهلية
أو قال بكفر لا ممت كثر الكعبة في سبيل الله ولجئت بها بالارض ولا دخلت فيها الحجر * وقد بناها
ابن الزبير رحمه الله في أيامه على ما أشار اليه رسول الله (ص) حسبما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين
عنه فلما قتله الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب الى عبد الملك بن مروان الخليفة اذ ذاك فاعتقدوا ان
ابن الزبير انما صنع ذلك من تلقاء نفسه فامر بردّها الى ما كانت عليه فنقضوا الحائط الشامي
وأخرجوا منها الحجر ثم سدوا الحائط وردموا الاحجار في جوف الكعبة فارتفع بها
الشرقي وسدوا الغربي بالكلية كما هو مشاهد الى اليوم ثم لما بلغهم أن ابن الزبير
انما فعل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين ندموا على ما فعلوا وتأسفوا أن
لو كانوا تركوه وما تولى من ذلك * ثم لما كان في زمن المهدي بن
المنصور استشار الامام مالك بن أنس في ردّها على الصفة التي
بناها ابن الزبير فقال له إني أخشى أن يتخذها الملوك
لعبة يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي
يريد فاستقر الامر على ما هي عليه اليوم

وَلَمَّا نَسُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَكَرِيمَ عَلِيٍّ جِئَهُم وَخَلِدُكَ عَلَيْهِمُ

قال الله (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما. قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين) . لما وفي ما أمره ربه به من التكليف العظيمة جعله للناس اماما يقتدون به ويأتمون
بهديه وسأل الله أن تكون هذه الامامة متصلة بسببه وواقية في نسبة وخالدة في عقبه فأجيب الى ما سأل
ورام. وسلمت اليه الامامة بزماء واستثنى من فيها الظالمون واختص بها من ذريته العلماء الماملون كما قال
تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب. وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب. وآتيناه أجره في الدنيا وإياه في الآخرة
لمن الصالحين) * وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين. واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آباءهم ودرجاتهم واخوانهم
واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم). فالضمير في قوله ومن ذريته عائدة على ابراهيم على المشهور .
ولوط وان كان ابن أخيه الا أنه دخل في الذرية تغليا. وهذا هو الحامل للقاتل الآخر ان الضمير على نوح
كما قدمنا في قصته والله أعلم . وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب

الآية . فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الانبياء بعد ابراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته . وهذه خلعة سنية لا تضاهى ومرتبة عليه لا تنبأ . وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان اسمعيل من هاجر ثم اء حق من سارة وولد لهذا يعقوب وهو اسرائيل الذى ينتسب اليه سائر أسباطهم فكانت فيهم النبوة ونزوا جداً بحيث لا يعلم عددهم الا الذى بشهم واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بعيسى ابن مريم من بنى اسرائيل وأما اسمعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها كما سنبينه فيما بعد ان شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالة من الانبياء سوى خاتمهم على الاطلاق وسيدهم وغر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى المكي ثم المدنى صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والفصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة وواسطة المقد الفاخرة وهو السيد الذى يفتخر به أهل الجمع وبغبطه الألوان والآخرون يوم القيامة . وقد ثبت عنه فى صحيح مسلم كما سنورده أنه قال (سأقوم مقاماً يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم) فدح ابراهيم أباه مدحة عظيمة فى هذا السياق ودل كلامه على أنه أفضل الخلاق بعد عند الخلاق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يكشف عن ساق*

وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن المتهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين ويقول أن أبا كما كان يعوذ بهما اسمعيل وإسحق . أعوذ بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة . ورواه أهل السنن من حديث منصور به وقال تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل مهن جزاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا . وأعلم أن الله عزيز حكيم) ذكر المفسرون لهذا السؤال اسباباً بسطانها فى التفسير . وقررها بآثم تقرير* والحاصل أن الله عز وجل أجابه الى ما سأل فأمره أن يعمد الى أربعة من الطيور واختلفوا فى تعيينها على اقوال والمقصود حاصل على كل تقدير فأمره أن يمزق لحومهن ويريشهن ويمشط ذلك بعضه فى بعض ثم يقسمه قسماً ويجعل على كل جبل منهن جزاً ففعل ما أمر به ثم أمر أن يدعوهن باذن ربهن فلما دعاهن جعل كل عضو يطير الى صاحبه وكل ريشة تأتى الى أختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر الى قدرة الذى يقول للشيء كن فيكون فأتين اليه سعيًا ليكون آيين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيراناً* ويقال إنه أمر أن يأخذ رؤسهن فى يده فجعل كل طائر يأتى فيلقى رأسه فيتركب على جسده كما كان فلا إله الا الله وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على احياء الموتى علماً يقينياً لا يحتمل النقيض ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين فاجابه الله الى سؤاله وأعطاه غاية مأموله* وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة

والانجيل الا من بعده افلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم . فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقتهم فبراه الله منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقلهم فى قوله (وما أنزل التوراة والانجيل الا من بعده) أى فكيف يكون على دينكم وأنتم انما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة ولهذا قل (افلا تعقلون) الى أن قال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) . فبين أنه كان على دين الله الحنيف وهو القصد الى الاخلاص والانحراف وعمدا عن الباطل الى الحق الذى هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية كما قال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتبعدون من بعدى . قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون . وقالوا كرونو هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فاتموا فى شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم يقولون إن ابراهيم واسماعيل ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون) . فتره الله عز وجل خليفه عليه السلام عن أن يكون يهوديا أو نصرانيا وبين أنه انما كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين ولهذا قال تعالى (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا على ملته من اتباعه فى زمانه ومن تمسك بدينه من بعدهم (وهذا النبي) يعنى محمدا (ص) فان الله شرع له الدين الحنيف الذى شرعه للخليل وكلمه الله تعالى له وأعطاه مالم يعط نبيا ولا رسولا قبله كما قال تعالى (قل إني هدى ربي الى صراط مستقيم ديننا قبا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقال تعالى إن ابراهيم كان أمة قاتل الله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكر الأتمة اجتهاده وهدايه الى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه

في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)
وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
أن النبي (ص) لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت ورأى ابراهيم واسماعيل بأيديهما
الأزلام فقال قائلهم الله والله إن يستقسما بالأزلام قط (١) لم يخرجهم مسلم * وفي بعض الفاظ البخارى
قائلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط . فقوله (أمة) أى قدوة إماما مهتديا داعيا الى الخير
يقتدى به فيه (قامتا لله) أى خاشعا له في جميع حالاته وحركاته وسكناته (حنيفا) أى مخلصا على
بصيرة (ولم يك من المشركين . شاكرًا لأنفسه) أى قائما بشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه
وأعماله (اجتباها) أى اختاره الله لنفسه واصطفاه لرسالته واتخذه خليلا وجمع له بين خيري الدنيا
والآخرة وقال تعالى (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ
الله ابراهيم خليلًا) يرغب تعالى في اتباع ابراهيم عليه السلام لأنه كان على الدين القويم والصراف
المستقيم وقد قام بجميع ما أمره به ربه ومدحه تعالى بذلك فقال (وابراهيم الذى وفى) ولهذا اتخذ الله
خليلا والخللة هى غاية المحبة كما قال بعضهم

قد تخلت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

وهكذا انال هذه المنزلة خاتم الانبياء وسيد الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه كما ثبت في
الصحيحين وغيرهما من حديث جنذب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول الله (ص)،
أنه قال أيها الناس إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا . وقال أيضا في آخر خطبة خطبها أيها الناس
لو كنت متخذًا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله . أخرجه من
حديث أبي سعيد وثبت أيضا من حديث عبد الله بن الزبير وابن عباس وابن مسعود . وروى البخارى
في صحيحه حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن
ميمون قال إن معاذًا لما قدم اليمن صلى بهم الصبح ققرأ واتخذ الله ابراهيم خليلا . فقال رجل من القوم
لقد قرت عين أم ابراهيم * وقال ابن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسمعيل بن أحمد
ابن اسيد حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفى حدثنا زعمة بن صالح عن سلمة
ابن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله (ص)، ينتظرونه فخرج حتى
إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول عجب أن الله اتخذ من خلقه خليلا
فلبراهيم خليله * وقال آخر ماذا بالمحب من أن الله كلم موسى تكليمًا . وقال آخر فبيسى روح الله وكنيته .
وقال آخر آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن ابراهيم خليل الله وهو

(١) قوله ان استقسما إن نافية . أى والله ما استقسما بالأزلام قط محمود الامام

كذلك وموسى كليمه وهو كذلك وعيسى روحه وكلته وهو كذلك وآدم اصطفاؤه الله وهو كذلك . ألا وإنى حبيب الله ولا فخر ألا وإنى أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتحه الله فيدخلنيها ومعى قراء المؤمنين وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر * هذا حديث غريب من هذا الوجه وله شواهد من وجوه أخر والله أعلم * وروى الحاكم في مستدركه من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتذكرون أن تكون الخلعة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد المسمى حدثنا الوليد عن اسحاق بن بشار قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً اتى في قلبه الوجع حتى أن كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقال عبيد بن عمير كان ابراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها رجلاً قائماً فقال يا عبد الله ما أدخلك دارى بغير إذنى قال دخلتها بأذن ربها * قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلنى ربى الى عبد من عباده أبشره بن الله قد اتخذته خليلاً قال من هو فوالله إن أخبرتنى به ثم كان باقياً فى البلاد لا يتنه ثم لا ابرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فبم اتخذنى ربى خليلاً قال بأنك تعطى الناس ولا تسألهم . رواه ابن أبي حاتم * وقد ذكره الله تعالى فى القرآن كثيراً فى غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له فقيل إنه مذكور فى خمسة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر فى البقرة وحدها وهو أحد أولى العزم الخمسة المنصوص على اسمائهم تخصيصاً من بين سائر الانبياء فى آيتى الاحزاب والشورى وهما قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) الآية . ثم هو أشرف أولى العزم بعد محمد (س.) وهو الذى وجده عليه السلام فى السماء السابعة مسنداً ظهره بالبيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم . وما وقع فى حديث شريك ابن أبى نعيم عن انس فى حديث الاسراء من أن ابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة فما اتفقد على شريك فى هذا الحديث والصحيح الأول *

وقال احمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (س.) إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن . تفرد به احمد .

ثم مما يدل على أن ابراهيم أفضل من موسى الحديث الذى قال فيه (وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى انطلق كلهم حتى ابراهيم) رواه مسلم من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه . وهذا هو المقام المحمود

الذى أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) ثم ذكر إستشفاع الناس بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يحيد عنها حتى يأتوا محمداً (ص) فيقول (أنا لها أنا لها) الحديث . وهكذا رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم والنسائى من طريق عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله وهو ابن عمر العمرى به *

قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله حدثنى سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أقيم. قالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله بن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألونى خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا صهوا * ثم قال البخارى قال أبو أسامة ومعتز عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي (ص) قلت وقد أسنده فى موضع آخر من حديثهما وحديث عبدة ابن سليمان والنسائى من حديث محمد بن بشر اربعتهم عن عبيد الله بن عمر عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقال أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم خليل الله . تفرد به احمد * وقال البخارى حدثنا عبدة حدثنا عبد الصمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن عمر عن النبي (ص) قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم . تفرد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر به * فلما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى مغيرة بن النعمان عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن النبي (ص) « يحشر الناس حفاة عراة غرلا فأول من يكسى ابراهيم عليه السلام » ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نفيه) فاخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى وشعبة بن الحجاج كلاهما عن مغيرة بن النعمان النخعي الكوفى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وهذه الفضيلة المعينة لا تقتضى الأفضلية بالنسبة الى ما قبلها مما ثبت لصاحب المقام المحمود الذى يغبط به الأولون والآخرين * وأما الحديث الاخر الذى قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو نعيم حدثنا سفيان هو الثورى عن مختار بن فلفل عن انس بن مالك قال قال رجل للنبي (ص) ياخير البرية فقال ذاك ابراهيم فقد رواه مسلم من حديث الثورى وعبد الله بن إدريس وعلى بن مسهر ومحمد بن فضيل اربعتهم عن المختار بن فلفل * وقال الترمذى حسن صحيح * وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام كما قال لا تفضلونى على الانبياء وقال لا تفضلونى على موسى فان الناس يصمقون يوم القيامة فاكون أول من يفتق فاجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري افاق قبلى أم جوزى بصمقة الطور * وهذا كله لا ينافى فى ما ثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من أنه سيد ولد آدم يوم القيامة وكذلك

حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم . ولما كان إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولى العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمر المصلي أن يقول في تشهده ما ثبت في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره قال قلنا . يارسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك » قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » وقال تعالى (وإبراهيم الذي وفى) قالوا وفى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ولا ينسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد . في الرأس قص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان وتنف الأبط وغسل أثر الغائط والبرل بلما . رواه ابن أبي حاتم * وقال وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك قلت وفى الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (س) قال الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار وتنف الأبط * وفى صحيح مسلم وأهل السنن من حديث وكيع عن ذكرى بن أبي زائدة عن مصعب بن شيبة العبدري المكي الحنبل عن طلق بن حبيب العتري عن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله (س) عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك وإستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الأبط وحلق العانة وإتقاص الماء . يعنى الاستنجاء وسياقى في ذكر مقدار عمره الكلام على الختان * والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يشغله القيام بالاخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الإصلاح والتحسين وإزالة ما يشين من زيادة شعر أو ظفر أو وجود قلع أو وسخ فهذا من جملة قوله تعالى في حق من المدح العظيم وإبراهيم الذى وفى *

قصته في الجنة

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن سنان القطان الواسطي ومحمد بن موسى القطان قال حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) إن في الجنة قصرا أحسبه قال من لؤلؤة ليس فيه فصم ولا وهى أعده الله لخليله إبراهيم عليه السلام نزلا . قال البزار وحدثناه أحمد بن جميل المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن

عكرمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ثم قال وهذا الحديث لا نعلم رواه عن حماد بن سدة
فالسند الا يزيد بن هارون والنضر بن شميل وغيرهما يرويه موقوفا قلت لولا هذه العلة لكان على
شرط الصحيح ولم يخرجوه *

صفة ابراهيم عليه السلام

قال الامام احمد حدثنا يونس وحجين قالا حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله
(ص) أنه قال عرض على الانبياء فاذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
ابن مريم فاذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود ورأيت ابراهيم فاذا أقرب من رأيت به شبها
دحية . تفرد به الامام احمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ * وقال أحمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا
اسرائيل عن عثمان يعني ابن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) رأيت عيسى
ابن مريم وموسى و ابراهيم فأما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر - وأما موسى فآدم جسيم . قالوا له فابراهيم
قال انظروا الى صاحبكم يعني نفسه * وقال البخاري حدثنا بنان بن عمرو حدثنا النضر أنبأنا ابن عون
عن مجاهد أنه سمع ابن عباس وذكروا له الدجال بين عينيه كافرا و (ك ف ر) فقال لم اسمعه ولكنه
قال (ص) أما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم وأما موسى فجمد آدم على جبل احمر مخطوم بخبله كأنى أنظر
اليه انحدرقى الوادى . ورواه البخاري ايضا ومسلم عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي
عن عبد الله بن عون به * وهكذا رواه البخاري ايضا فى كتاب الحج وفى اللباس
ومسلم جميعا عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي عن عبد الله بن عون به

وفاة ابراهيم وما قيل فى عمره

ذكر ابن جرير فى تاريخه أن مولده كان فى زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قيل الضحاك الملك
المشهور الذى يقال إنه ملك الف سنة وكان فى غاية الغشم والظلم * وذكر بعضهم أنه من بنى راسب
الذين بعث اليهم نوح عليه السلام وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا . وذكروا أنه طلع نجم اخفى ضوء
الشمس والقمر فهاى ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود . فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك
فقالوا يولد مولود فى رعيثك يكون زوال ملكك على يديه . فامر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن
يقتل المولودون من ذلك الحين فكان مولد ابراهيم الخليل فى ذلك الحين فحمى الله عز وجل وصاته
من كيد الفجار وشب شابا باهرا وابنته الله نبأنا حسنا حتى كان من أمره ماتقدم وكان مولده بالسوس
وقيل بابل وقيل بالسواد من ناحية كوثى (١) وتقدم عن ابن عباس أنه ولد ببرزة شرقى دمشق فلما
(١) قال فى معجم البلدان (كوثى) بالضم ثم السكون والثاء مثله والف مقصورة تكتب بالياء لأنها

أهلك الله نمرود على يديه وهاجر الى حران ثم الى أرض الشام وأقام ييلاد ايليا كما ذكرنا وولد له اسماعيل واسحق وماتت سارة قبله بقرية حبرون التي في أرض كنعان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها ابراهيم عليه السلام وورثها رحمة الله واشترى من رجل من بني حيث يقال له عفرون بن صخر مغارة باربع مائة مثقال ودفن فيها سارة هناك قالوا ثم خطب ابراهيم على ابنه اسحق فزوجه رقبانت بتوئيل بن ناحور بن تارح وبعث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجوارها على الابل قالوا ثم تزوج ابراهيم عليه السلام قنطورا فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح. وذكروا ما ولد كل واحد من هؤلاء أولاد قنطورا. وقد روى ابن عساکر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيئ ملك الموت الى ابراهيم عليه السلام أخباراً كثيرة الله أعلم بصحتها* وقد قيل إنه مات فجأة وكذا داود وسليمان والذي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك. قالوا ثم مرض ابراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين* وقيل وتسعين سنة ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحثي عند إمرأته سارة التي في مزرعة عفرون الحثي وتولى دفنه اسمعيل واسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين* وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن الككبي وقال أبو حاتم بن حبان في صحيحه أنبأنا الفضل بن محمد الجندی بمكة حدثنا علي بن زياد اللخمي حدثنا أبو قرعة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال اختن ابراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقد رواه الحافظ بن عساکر من طريق عكرمة بن ابراهيم وجعفر بن عون العمري عن يحيى ابن سعيد عن سعيد عن أبي هريرة موقوفا*

ثم قال ابن حبان ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن رفع هذا الخبر وهم أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيدي نيس (١) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال اختن ابراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة واختن بالقدوم. وقد رواه الحافظ ابن عساکر من طريق يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقد أدات رابعة الاسم الى قوله (كوثي) في ثلاث مواضع بسواد العراق وفي أرض بابل وبمكة. الى قوله وكوثر العراق كوثران أحدهما كوثر الطريق. والآخر كوثر ربي وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام. وبها مولده وهما من أرض بابل وبها طرح ابراهيم في النار وهما ناحيتان الخ الخ راجع المعجم.

(١) قوله محمد بن عبد الله بن الجنيدي نيست كذا في نسخة وفي أخرى ابن الحسدسب (بندر كما ترى والمعروف من أسماء الرجال في ترجمة قتيبة بن سعيد ان ممن روى عنه محمد بن عبد الله بن نمير وليس ممن روى عنه من سمي محمد بن عبد الله غيره ((محمود الامام

عليه ثمانون سنة . ثم روى ابن حبان عن عبد الرزاق أنه قال القدوم اسم القرية . قلت الذي في الصحيح أنه اختن وقد أنت عليه ثمانون سنة * وفي رواية وهو ابن ثمانين سنة وليس فيهما تعرض لما عاش بعد ذلك والله أعلم * وقال محمد بن اسماعيل الحسائي الواسطي زادني تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزيادات حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال كان إبراهيم أول من تسرول وأول من فرق وأول من استحد وأول من اختن بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأول من قرى الضيف وأول من شاب هكذا رواه موقوفاً وهو أشبه بالرفوع خلافاً لابن حبان والله أعلم *

وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال يارب ما هذا فقال الله « وقار » فقال يارب زدني وقاراً وزاد غيرها وأول من قص شاربه وأول من استحد وأول من لبس السراويل * فقبره وقبر ولده اسحق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا تلقى بالتواتر أمة بعد أمة وجيل بعد جيل من زمن بنى إسرائيل وإلى زماننا هذا أن قبره بالمربعة تحقيقاً . فلما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم احترام مثلها وأن تبجل وأن تجل أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم السلام تحتها * وروى ابن عساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خالفة *

ألهى جهولاً أمله يموت من جا أجله
ومن دنا من حنقه لم تنف عنه حيله
وكيف يبقى آخر من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله

قوله ولدت له سارة بنت عم الخليل

أول من ولد له اسماعيل من هاجر القبطية المصرية ثم ولد له اسحق من سارة بنت عم الخليل ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يقطن الكنعانية فولدت له ستة مدين وزمران وسرج ويقشان ونشق ولم يسم السادس ثم تزوج بعدها حجون بنت امين فولدت له خمسة كيسان وسورج واميم ولوطان ونافس * هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام .

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمد المظيئة قصة قوم لوط عليه السلام وما حل بهم من النعمة

الغيبة وذلك أن لوطاً بن هاران بن تارح وهو آذر كما تقدم ولوط ابن أخى إبراهيم الخليل إبراهيم
 وهاران وناحور أخوة كما قدمنا ويقال إن هاران هذا هو الذى بنى حران * وهذا ضعيف لمخالفته ما أبدي
 أهل الكتاب والله أعلم * وكان لوط قد نزع عن محلة عمه الخليل عليهم السلام بصره له وأذنه فنزل
 بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكان أم تلك المحلة ولها أرض ومتملات وقرى مضافه إليها ولها
 أهل من أجز الناس واكفرهم واسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل ويأتون في ناديتهم
 المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى
 آدم وهى إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين فدعاهم لوط الى عبادة
 الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستقبحات
 قتادوا على ضلالهم وطمعائهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فأحل الله بهم من البأس الذى لا يرد مالم
 يكن فى خدم وحسانهم وجعلهم مثلة فى العالمين وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين ولهذا ذكر الله تعالى
 قصتهم فى غير ما موضع من كتابه المبين فقال تعالى فى سورة الأعراف (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون
 الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين . أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون .
 وما كان جواب قومهم الا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون . فأتيجيناه وأهله إلا امرأته
 كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) وقال تعالى فى سورة هود
 (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم
 لا تصل اليهم نكرمهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضكحت
 فبشرناها بأسحق ومن وراء اسحاق يعقوب . قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا
 لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . فلما ذهب
 عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى تجادلنا فى قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب . يا إبراهيم أعرض
 عن هذا إنه قد جاء أمر ربك . وإنهم آتاهم عذاب غير مردود . ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق
 بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون اليه . ومن قبل كانوا يعملون السيئات . قال
 يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تنزوني فى ضيقى اليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد
 علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد . قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد . قالوا
 يا لوط إنا نرسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك إنه
 مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح قريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا
 عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين بيعيد) وقال تعالى فى سورة الحجر
 (ونبئهم عن ضيف إبراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون قال لا توجل إنا نبشرك

بسلام عليهم . قال أبشروني على أن مسنى الكبر فم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القافطين
قال ومن يقط من رحمة ربه الا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين .
الا آل لوط إنا لمنجهم أجمعين . إلا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين . فلما جاء آل لوط المرسلون قال
إنكم قوم منكرون . قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بالحق وإنا لصادقون . فلمر بأهلك
بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر
أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال إن هؤلاء ضيبي فلا تفضحون .
واتقوا الله ولا تخزون . قالوا أولم نهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين . لعمرك إنهم
لنفسكرتهم يعمهون . فاخذتهم الصبيحة مشرقي . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .
إن في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم . إن في ذلك لآية للؤمنين وقال تعالى في سورة
الشعراء (كذبت قوم لوط المرسلين * اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين * أتأتون الذكر ان من العالمين .
وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون * قالوا لئن لم تنته بالوط لتكونن من
المخرجين * قال إني لعلمكم من القالين * رب نجني وأهلي مما يملكون * فنجيناه وأهله أجمعين *
إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين * إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة النمل (ولوطاً إذ قال
لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أننكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون *
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله
إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين .) وقال تعالى في سورة
العنكبوت (ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أننكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في نديكم المنكر * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اتنا بهذاب
الله إن كنت من الصادقين . قال رب انصرني على القوم المفسدين * ولما جاءت رسلنا لإبراهيم بالبشرى
قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية * إن أهلها كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها
لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * ولما أن جاءت رسلنا لوطاً ساء بهم وضاق بهم ذرعاً
وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل
هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية ينة لقوم يعقلون) وقال تعالى في
سورة الصافات (وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين * ثم دمرنا
الآخرين * وإنكم لترون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون) وقال تعالى في الذاريات بعد قصة

ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بسلام عليم (قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين *
 لترسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين * فآخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا
 فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وقال في سورة الانشقاق
 (كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمة من عندنا كذلك نجزي
 من شكر * ولقد انذرهم بطشتنا فمادوا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذاب
 ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر *)
 وقد تكلمنا على هذه القصص فى أما كنهما من هذه السورة فى التفسير * وقد ذكر الله لوطاً وقومه
 فى مواضع آخر من القرآن تقدم ذكرها مع قوم نوح وعاد وثمود * والمقصود الآن إيراد ما كان من
 أمرهم وما أحل الله بهم مجموعاً من الآيات والآثار والله المستعان * وذلك أن لوطاً عليه السلام لما
 دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطى ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا
 له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما عنه نهوا بل استمروا على حالهم ولم يردعوا
 عن غيهم وضلالهم ومموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم اذ كانوا
 لا يعقلون إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون فجلوا غاية المدح ذما يقتضى
 الإخراج وما حملهم على مقاتلتهم هذه إلا العناد واللجاج فطهره الله وأهله إلا امرأته وأخرجهم منها
 أحسن إخراج وتركهم فى محلهم خالدين لكن بعد ما صيرها عليهم بحرة منتنة ذات أمواج لكنها عليهم
 فى الحقيقة نار تأجج وحر يتوهج وماؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن الطاعة
 العظمى والفاحشة الكبرى التى لم يسبقهم إليها احد من اهل الدنيا * ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن
 عليها وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون فى ناديم وهو مجتمهم ومحل حديثهم
 وسمرهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم
 ولا يستحيون من مجالسهم وربما وقع منهم الفعلة العظيمة فى المحافل ولا يستنكفون ولا يبرعون لوعظ
 واعظ ولا نصيحة من عاقل وكانوا فى ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً ولم يقلعوا عما كانوا عليه فى
 الحاضر ولا ندموا على ما سلف من الماضى ولا راموا فى المستقبل تحويلاً فلخزم الله أخذاً ويلاً وقالوا
 له فيما قالوا (اتنا بهذا الله إن كنت من الصادقين) فطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب
 الاليم وحلول البأس العظيم فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن
 ينصره على القوم المفسدين فبار الله لغيرة وغضب لفضيسته واستجاب لدعوته واجابه إلى طلبته وبث
 رسله الكرام وملائكته العظام فروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالسلام العليم وأخبروه بما جاؤا له من
 الأمر الجسيم والخطب العميم (قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لترسل

عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين) وقال (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين . قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) وقال الله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط) . وذلك انه كان يرجو أن ينبؤوا ويسلوا ويقلموا ويرجعوا . ولهذا قال تعالى (ان ابراهيم لحليم أواه منيب . يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وإلهم آتيهم عذاب غير مردود) أى أعرض عن هذا وتكلم في غيره فانه قد حتم أمرهم ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم انه قد جاء أمر ربك أى قد أمر به من لا يرد أمره ولا يرد بأسه ولا معقب لحكمه وإلهم آتيهم عذاب غير مردود .

وذكر سعيد بن جبيرة والسدي وقادة ومحمد بن اسحق أن ابراهيم عليه السلام جعل يقول * (أنهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا قال فاثنا مؤمن قالوا لا قال فاربعم مؤمن قالوا لا قال فاربعة عشر مؤمن قالوا لا) قال ابن اسحق الى أن قال (أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا) قالوا ان فيها لوطاً قالوا نحن اعلم بمن فيها) الآية وعده اهل الكتاب أنه قال يارب أنهلكم وفيهم خمسون رجلاً صالحاً فقال الله لا أهلكهم وفيهم خمسون صالحاً ثم تنازل الى عشرة فقال الله (لا أهلكهم وفيهم عشرة صالحون) قال الله تعالى (وقال ولما جاءت رسلنا لوطاً سبي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) قال المفسرون لما فصلت الملائكة من عند ابراهيم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شبان حسان اختبأ من الله تعالى لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطاً عليه السلام وذلك عند غروب الشمس فخشى أن لم يضيفهم يضيفهم غيره وحسبهم بشراً من الناس وسبي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب *

قال ابن عباس ومجاهد وقادة ومحمد بن اسحق شديد بلاؤه وذلك لما يعلم من مدافعة الليلة عنهم كما كان يصنع بهم في غيرهم وكانوا قد اشترطوا عليه أن لا يضيف احداً ولكن رأى من لا يمكن المحيد عنه * وذكر قناعة أنهم وردوا عليه وهو في أرض له يعمل فيها فضيفوا فاستحى منهم وانطلق امامهم وجعل يعرض لهم في الكلام لهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلوا في غيرها فقال لهم فيما قال ياهولاء ما أعلم على وجه الأرض اهل بلد اخبث من هؤلاء ثم مشى قليلاً ثم اعاد ذلك عليهم حتى كرهه اربع مرات قال وكانوا قد امروا ان لا يهلكهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك *

وقال السدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قوم لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريثا والصغرى ذعرتا فقالوا لها يا جليلة هل من منزل فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها فأتت اباهما

قالت يا أبله ارادك فتان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحهم وقد كان قومه سهوه أن يضيف رجلا فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل البيت فخرجت امرأته فاختبرت قومها فقالت إن في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون إليه . وقوله (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) . أى هذا مع ما ساف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة (قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) يرشدهم إلى غشيان نسائهم وهن بناته شرعا لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد كما ورد في الحديث وكما قال تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفي قول بعض الصحابة والسلف وهو أب لهم . وهذا كقوله (أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وهذا هو الذي نص عليه مجاهد وسعيد بن جبير والريبع بن انس وقتادة والسدى ومحمد ابن اسحق وهو الصواب . والقول الآخر خطأ مأخوذ من أهل الكتاب وقد تصحف عليهم كما أخطأوا في قولهم إن الملائكة كانوا إثنين وانهم تعشوا عنده وقد خبط أهل الكتاب في هذه القصة تحجيظا عظيما وقوله (فاتقوا الله ولا تحزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) نهى لهم عن تعاطي مالا يليق من الفاحشة وشهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل له مسكة ولا فيه خير بل الجميع سفهاء . فجرة أقوياء . كفره أغبياء . وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسمعو منه من قبل أن يسألوه عنه . فقال قومه عليهم لعنة الله الحميد المجيد . مجيئين لنبيهم فيما أمرهم به من الأمر السديد (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد) يقولون عليهم لعائن الله لقد علمت يالوط إنه لا أرب لنا في نسائنا وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا . واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم ولم يخافوا سطوة العظيم . ذى العذاب الأليم . ولهذا قال عليه السلام (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) ود أن لو كان له بهم قوة أو له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب * وقد قال الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا (نحن أحق بالشك من إبراهيم ورحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) ورواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة * وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال رحمة الله على لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد . يعنى الله عز وجل فما بث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه . وقال تعالى (وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تحزون . قالوا أو لم تنهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعليهن) فامرهم بقربان نسائهم وحذرهم الاستمرار على طريقتهن وسياتهن هذا وهم في ذلك لا يتهنون ولا يرعون بل كلما لهم يبايعون في تحصيل هؤلاء الضيفان ويحرضون . ولم يعلموا ما هم

به القدر مما هم اليه صائرون. وصيحة ليثهم اليه منقلدون (١) ولهذا قال تعالى: قمسا بجماعة فيه محمد صلوات الله وسلامه عليه (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) وقال تعالى (ولقد أنذرهم بطشتنا فمأروا بالنذر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطا عليه السلام جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق وهم يرومون فتحه وولوجه وهو يعظمهم وينهاهم من وراء الباب وكل ما لهم في الجاهج والعاج فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال * لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد لأحلت بكم النكال * قالت الملائكة (يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) وذكروا أن جبريل عليه السلام حرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم حتى قيل لئنها غارت بالكفاية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر فرجعوا يتجسسون مع الشيطان . ويتوعدون رسول الرحمن . ويقولون إذا كان القدر كان لنا وله شان قال الله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليهم السلام آمريين له بأن يسرى هو وأهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم أحد يعني عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه وأمره أن يكون سيره في آخرهم كالساقة لهم * وقوله (إلا امرأتك) على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله فأسر باهلك كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسربها . ويحتمل أن يكون من قوله ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك أي فأنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم . ويقوى هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الأول أظهر في المعنى والله أعلم *

قال السهيلي واسم امرأة لوط والهة واسم امرأة نوح والفة . وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين النظراء والاشباه الذين جعلهم الله سلفاً لكل خائن مريب (إن موعدهم الصبح أليس الصبح قريب) فلما خرج لوط عليه السلام بأهله وهم ابتناه ولم يتبعه منهم رجل واحد ويقال إن امرأته خرجت معه فأنه أعلم . فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من أمر الله ما لا يرد . ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصعد * وعند أهل الكتاب أن الملائكة أمروه أن يصعد إلى رأس الجبل الذي هناك فاستبعده وسأل منهم أن يذهب إلى قرية قريبة منهم قالوا اذهب فانا ننتظرك حتى تصير إليها وتستقر فيها ثم نحمل بهم العذاب فذكروا أنه ذهب إلى قرية صغر التي يقول الناس غور زغر فلما اشرفت الشمس نزل بهم العذاب قال الله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبعيد) قالوا اقتلهم جبريل بطرف

جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الامم قالوا انهم كانوا أربع مائة نسمة . وقيل أربعة آلاف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الأراضي والا ما كن والمعتلات فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهن ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها قال مجاهد فكان أول ما سقط منها شرفاتها (وأما طرنا عليهم حجارة من سجيل) والسجيل فارسي معرب وهو الشديد الصلب القوى (منضود) أى يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء (مسومة) أى معاملة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يهبط عليه فيدفعه كما قال (مسومة عند ربك للسرفين) وكما قال تعالى (وأمطرنا عليهم مطرا فساء المنذرين) وقال تعالى (والمؤنكة أهوى . فغشاها ما غشى) يعنى قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذى سقط عليه من الحاضرين منهم فى بلبهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها * ويقال إن امرأة لوط مكثت مع قومها ويقال إنها خرجت مع زوجها وبنتها ولكنها لما سمعت الصيحة وسقوط البلدة وانفتحت الى قومها وخالفت أمر ربها قديما وحديثا وقالت واقوماه فسقط عليها حجر فدهنها وألقها بقومها اذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان كما قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أى خانتاهما فى الدين فلم يتبعاهما فيه . وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة حاشا وكلاهما . فان الله لا يقدر على نبى أن تبغى امرأته كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف ما بنت امرأة نبى قط * ومن قال خلاف هذا فقد اخطأ خطأ كبيرا . قال الله تعالى فى قصة الإفك لما أنزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لما أهل الافك ما دلوا فماتب الله المؤمنين وانب وزجر ووعظ وحذر وقال فيما قال (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلم ما يكون لنا أن تسلكم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم) أى سبحانه أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة * وقوله ههنا (وماهى من الظالمين يبعد) أى وما هذه العقوبة بعيدة بمن أشبههم فى فعلهم . ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللائط يرجم سواء كان محصنا أولا نص عليه الشافعى وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الأئمة واحتجوا أيضا بما رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وذهب أبو حنيفة الى أن اللائط يلقي من شاقق جبل ويتبع بالحجارة كما فعل قوم لوط لقوله تعالى (وماهى من الظالمين يبعد) . وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينفع بمائها

ولا بما حولها من الاراضى المتاخمة لفنائها لردائها وذنابها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته فى اتقائه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه . ودليلا على رحمته بعباده المؤمنين فى أنجاهه إياهم من المهلكات . واخراجه إياهم من النور الى الظلمات كما قال تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى (فاخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . إن فى ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم . ان فى ذلك لآية للمؤمنين) أى من فطر بعين الفراسة والتوسم فيهم كيف غير الله تلك البلاد وأهلها وكيف جعلها بعد ما كانت آهلة عامرة . هالكة غامرة . كما روى الترمذى وغيره مرفوعا (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) ثم قرأ (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله (وانها لبسبيل مقيم) أى لبطريق مهيع مسلوكة الى الآن كما قال (وإنكم لتترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) وقال تعالى (ولقد تركناها آية بينة لقوم يعقلون) وقال تعالى (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشى الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانزجر عن محارم الله وترك معاصيه وخاف أن يشابه قوم لوط (ومن تشبه بقوم فهو منهم) وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم فان لم تكونوا قوم لوط بعينهم فما قوم لوط منكم يبعد فالعاقلة اللبيب الخائف من ربه الفاهم يمثّل ما أمره الله به عز وجل ويقبل ما ارشده اليه رسول الله من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال . والجوارى من السرارى ذوات الجمال . وإياه أن يتبع كل شيطان مرید . فيحق عليه الوعيد . ويدخل فى قوله تعالى (وماهى من الظالمين يبعد)

قصّة مدين قوم شعيب عليه السلام

قال الله تعالى فى سورة الاعراف بعد قصة قوم لوط (والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره قد جائتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين . ولا تقعدوا بكل صراط توعدون . وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتكم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين . وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين . قد أفترينا على الله كذبا ان عدنا

في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً .
 على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . وقال الملأ الذين كفروا من قومه
 لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون . فآخضتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جائئين . الذين كذبوا شعيباً
 كأن لم يفنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
 ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) . وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً .
 (والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني
 أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس
 أشياءهم ولا تشوا في الأرض مفسدين . بهيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ .
 قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء . إنك لانت الحليم
 الرشيد . قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وزرقتي منه رزقا حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى
 ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أئيب .
 ويا قوم لا يجر منكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
 منكم بعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نقه كثيراً مما تقول وإنا
 لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله
 واتخذتموه ورائكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط . ويا قوم اعملوا على مكائلكم إني عامل سوف تعلمون
 من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا إني معكم رقيب . ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين
 آمنوا معه برحمة منا وأخلى الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائئين . كأن لم يفنوا فيها ألا بعداً
 لمدين كما بدت ثمود) . وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً . (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين
 فاتقننا منهم وانهما بالامام مبين) وقال تعالى في الشعراء بعد قصتهم (كذب أصحاب الأيكة المرسلين
 اذ قال لهم شعيب ألا تثقون إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن
 أجرى إلا على رب العالمين . أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالتسطاس المستقيم . ولا تبخسوا
 الناس أشياءهم ولا تشوا في الأرض مفسدين . واتقوا الله الذي خلقكم والجنة الأولى . قالوا إنما أنت
 من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن قلنك لمن الكاذبين . فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت
 من الصادقين . قال ربي أعلم بما تعملون . فكذبوه فأخذهم عذاب يوم نظلة إنه كان عذاب يوم عظيم
 إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم)

كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام
 بما على ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط . وكانوا بدم بمدة قرية . ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة

وهم من بنى مدين بن مديان بن ابراهيم الخليل وشعيب نبيهم هو ابن ميكل (١) بن يشجن (٢) ذكره ابن اسحاق قال ويقال له بالسريانية بنزون (٣) وفي هذا نظر ويقال شعيب بن يشخر بن لاوى بن يعقوب ويقال شعيب بن نوب بن عيفا (٤) بن مدين بن ابراهيم ويقال شعيب بن ضيفور بن عيفا (٥) بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل غير ذلك في نسبه .

قال ابن عساكر ويقال جدته ويقال أمه بنت لوط وكان ممن آمن بابراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب ابن منبه أنه قال شعيب وملمع ممن آمن بابراهيم (٦) يوم أحرق بالنار وهاجرا معه الى الشام فزوجهما بنتى لوط عليه السلام . ذكره ابن قتيبة * وفي هذا كله نظر أيضا والله أعلم .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سلمة بن سعد العنزي قدم على رسول الله (ص) فأسلم وانتسب الى عنزة فقال نعم الحى عنزة مبعى عليهم منصورون قوم شعيب وأختان (٧) موسى فلو صح هذا لدل على أن شعيبا من موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم عنزة لا أنهم من عنزة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فان هؤلاء بعده بدهر طويل والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال (أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر) وكان بعض السلف يسمى شعيبا خطيب الأنبياء يعنى لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه الى الايمان برسالته * وقد روى ابن اسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا ذكر شعيبا قال (ذاك خطيب الأنبياء) وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة وهى شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها وكانوا من أسوء الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيها يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطى هذه الأفاعيل القبيحة من بخر الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد . وهو الولي الحميد . كما قال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) أى دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وانه أرسلنى وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التى لم تنقل اليها تفصيلا وان كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالا

(١) وفي الطبرى ميكائيل (٢) فى نسخة يشخر (٣) فى نسخة يثرون كما فى الطبرى (٤) فى الطبرى عنقا (٥) فى نسخة صيفور وفى الطبرى صيفون (٦) عبارة الطبرى وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام (٧) قوله واختان موسى كذا بالأصول والذي فى الاستيعاب وأخبار موسى

(فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك فقال (ذلکم خير لکم إن كنتم مؤمنين ولا تفعلوا بكل صراط) (أى طريق) (توعدون) أى تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل * قال السدى فى تفسيره عن الصحابة (ولا تفعلوا بكل صراط توعدون) أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة * وقال اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال كانوا قوما طغاة بناة يجلسون على الطريق (يبخسون الناس) يعنى يعشرونهم وكانوا أول من سن ذلك (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا) قهّاهم عن قطع الطريق الحسية الدنيوية والمعنوية الدينية (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) ذكّرهم بنعمة الله تعالى عليهم فى تكثيرهم بعد القلة وحذرهم سلب نعمة الله عليهم فى دنياهم وعذابه الآليم فى أخراهم وعنفهم أشدّ تعنيف . ثم قال لهم أمراً بعد ما كان عن ضده زاجراً (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين بقيت الله خير لکم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) قال ابن عباس والحسن البصرى (بقيت الله خير لکم) أى رزق الله خير لکم من أخذ أموال الناس * وقال ابن جرير ما فضل لکم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لکم من أخذ أموال الناس بالتطفيف . قال وقد روى هذا عن ابن عباس وهذا الذى قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) يعنى ان القليل من الحلال خير لکم من الكثير من الحرام فان الحلال مبارك وان قل والحرام محقوق وان كثر كما قال تعالى يحق الله الربا ويربى الصدقات وقال رسول الله (س) . (ان الربا وان كثر فان مصيره الى قتل) رواه أحمد أى الى قلة وقال رسول الله (س) . (اليعمان بلخيار ما لم يفرقا فان صدقا وبيننا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما * والمقصود أن الربح الحلال مبارك فيه وان قل والحرام لا يجدى وان كثر ولهذا قال نبى الله شبيب (بقيت الله خير لکم ان كنتم مؤمنين) وقوله (وما أنا عليكم بحفيظ) أى افعلوا ما أمرکم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراکم انا وغيرى (قالوا يا شبيب أصلوتك تأمرک أن تترك ما يعبد آبؤنا أو أن نفضل فى أموالنا ما نشاء انک لا أنت الجليلم الرشيد) يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتقصص والتهمك أصلوتك هذه التى تصلیها هى الامر لك بأن تحجر علينا فلا نعيد الا إلهک

ونترك ما يعبد آباؤنا الأقدمون وأسلافنا الأولون أو أن لا تتعامل الا على الوجه الذي ترتضيه أنت
ونترك المعاملات التي تأبها وان كنا نحن نرضاها (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس وميمون
ابن مهران وابن جريج وزيد بن اسلم وابن جرير يقولون ذلك اعداء الله على سبيل الاستهزاء (قال
يا قوم ارايتم ان كنت على ينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انها كم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه ائيب) هذا تطف معهم في
العبارة ودعوة لهم الى الحق باين اشارة يقول لهم ارايتم ايها المكذبون (ان كنت على ينة من ربي)
اى على امرين من الله تعالى انه ارسلنى اليكم (ورزقي منه رزقا حسنا) يعنى النبوة والرسالة يعنى
وعى عليكم معرفتها فإى حيلة لى بكم . وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام انه قال لقومه سواء وقوله (وما
اريد ان اخالفكم الى ما انها كم عنه) اى لست آمركم بالأمر الا وأنا أول فاعل له واذا نهيتكم عن الشئ
فانا أول من يتركه وهذه هى الصفة المحمودة العظيمة وضدها هى المردودة الذميمة كما تلبس بها علماء بنى
اسرائيل فى آخر زمانهم وخطباؤهم الجاهلون * قال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وذكر عندها فى الصحيح عن رسول الله (ص) انه قال يؤتى
بالرجل فيلقى فى النار فتندلق اقباب بطنه اى تخرج أمعاؤه من بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه
فيجتمع أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر
بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية * وهذه صفة مخالفي الانبياء من الفجار والاشقياء فلما السادة
من النجباء والالباء من العلماء الذين يخشون ربهم بالغ فخالهم كما قال نبي الله شعيب (وما اريد ان
اخالفكم الى ما انها كم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اى ما اريد فى جميع أمري الا الاصلاح
فى الفعال والمقال بجهدى وطاقتي (وما توفيقى) اى فى جميع أحوالى (إلا بالله عليه توكلت واليه
ائيب) اى عليه أتوكل فى سائر الأمور واليه مرجى ومصيرى فى كل أمرى وهذا مقام ترغيب .
ثم انتقل الى نوع من الترهيب فقال (ويا قوم لا يجزى منكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح
أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم بعيد) اى لا تحمانكم مخالفتى وبفضكم ما جتكم به على
الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما احله بنظرائكم
وأشباهم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين الخالفين . وقوله (وما قوم لوط منكم
بعيد) قيل معناه فى الزمان اى ما بالهد من قدم مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتوم * وقيل
معناه وما هم منكم بعيد فى المحلة والمكان . وقيل فى الصفات والأفعال المستقبحات من قطع الطريق
وأخذ أموال الناس جبرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات والجمع بين هذه الأقوال ممكن فأنهم لم يكونوا
بعيدين منهم لا زمانا ولا مكانا ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا

اليه إن ربي، رحيم ودود) أى أقلعوا عما أنتم فيه وتوبوا إلى ربكم الرحيم الودود فإنه من تلب إليه تلب عليه فإنه رحيم بعباده أرحم بهم من الوالدة بولدها ودود وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو من الموبقات العظام (قلوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا) روى عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثوري أنهم قالوا كان ضرير البصر * وقد روى في حديث مرفوع أنه بكى من حب الله حتى عمى فرد الله عليه بصره . وقال يا شعيب أتبكي خوفا من النار أو من شوقك إلى الجنة فقال بل من محبتك فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي فأوحى الله إليه هنيئا لك يا شعيب لقائى فلذلك أندمتكم موسى ابن عمران كليى * رواه الواحدى عن أبي الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار عن أبي عبد الله محمد بن اسحق الترملى (١) عن هشام بن عمار عن اسمعيل بن عباس عن يحيى بن سعيد عن شداد بن أمين عن النبي (ص) بنحوه وهو غريب جداً وقد ضعفه الخطيب البغدادي * وقولهم (ولولا رهطك لرجناك وما أنت علينا بعزير) وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع حيث قالوا (ما نفقه كثيرا مما تقول) أى ما فهمه ولا تمقله لأننا لنحبه ولا نزيده وليس لنا همة إليه ولا إقبال عليه وهو كما قال كفار قريش لرسول الله (ص) (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) وقولهم (وانا لنراك فينا ضعيفا) أى مضطهداً مهجوراً (ولولا رهطك) أى قبيلتك وعشيرتك فينا (لرجناك وما أنت علينا بعزير) قال يا قوم ارهطى أعز عليكم من الله أى تخافون قبيلتى وعشيرتى وترعونى بسبهم ولا تخافون جنبه الله ولا تراعونى لانى رسول الله فصار رهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراكم ظهرا أى جانب الله وراء ظهوركم) (إن ربي بما تعملون محيط) أى هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه محيط بذلك كله وسيجزىكم عليه يوم ترجعون إليه (ويا قوم اعملوا على مكاتكم إلى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا انى معكم رقيب) وهذا أمر تهديد شديد ووعيدا كيد بلن يستمروا على طريقهم ومنهجهم وشاكلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار . ومن يحل عليه الهلاك والبوار (من يأتيه عذاب يخزيه) أى فى هذه الحياة الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أى فى الأخرى (ومن هو كاذب) أى منى ومنكم فيما أخبر وبشر وحذر (وارقبوا انى معكم رقيب) وهذا كقوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا مملك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين . قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتتح

يبتنا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم الى ملتهم فاتصّب شعيب للمحاجة عن قومه فقال (أو لو كنا كارهين) أى هؤلاء لا يهودون اليكم اختياراً وإنما يهودون اليه إن عادوا اضطاراً مكرهين وذلك لان الايمان إذا خالطته بشاشة القلوب لا يسخطه أحد ولا يرتد أحد عنه ولا محيد لأحدمنه . ولهذا قال (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علماً على الله توكلنا) أى فهو كافينا وهو العاصم لنا واليه ملجأؤنا فى جميع أمرنا ثم استفتح على قومه واستنصر ربه عليه فى تعجيل ما يستحقونه اليهم فقال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين أى الحاكمين) فدعا عليهم والله لا يرد دعاء رسله اذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه ورسوله خلفوه . ومع هذا صموا على ما هم عليه مشتملون . وبه متلبسون (وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون قال الله تعالى . فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جائمين) ذكر فى سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجفة أى رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزالاً شديداً أزهقت أرواحهم من أجسادها وصيرت حيوانات أرضهم كجمادها واصبحت جثثهم جائية لا أرواح فيها ولا حركات بها ولا حواس لها * وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات وصنفاً من المثلثات وأشكالا من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخذت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات . ولكنه تعالى أخبر عنهم فى كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها فى سباق قصة الاعراف ارجفوا نبى الله وأصحابه وتوعدهم بالخراج من قريتهم أو ليعودن فى ملتهم راجعين فقال تعالى (فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جائمين) فقابل الارجفاف بالرجفة والاخافة بالخيفة وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السباق * وأما فى سورة هود فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جائمين وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهمك والاستهزاء والتقصص (أصلوتك تأمرك أن تترك ما يعبد أبائنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد) فناسب أن يذكر الصيحة التى هى كالزجر عن تعاطى هذا الكلام القبيح الذى واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكنتهم . وأما فى سورة الشعراء فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة . وكان ذلك إجابة لما طلبوا . وتقرّبوا الى ما اليه رغبوا . فليهم قالوا (إنما أنت من المسحرين وما انت إلا بشر مثنا وإن نفلتكم لمن الكاذبين فاسقط علينا كفاً من السماء إن كنت من الصادقين . قال رب أعلم بما تعملون) قال الله تعالى (وهو السميع العليم فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ومن زعم من المفسرين كفتادة وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقوله ضعيف وإنما

عندهم شيان أحدهما أنه قال (كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم كما قال والى مدين أخاهم شعيبا . والثاني أنه ذكر عذابهم يوم الظلة وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة والجواب عن الأول أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) لانه وصفهم بعبادة الأيكة فلا يناسب ذكر الأخوة ههنا ولما نسبهم الى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم * وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العريزة الشريفة * وأما احتجاجهم بيوم الظلة فان كان دليلا بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى فليكن تعداد الامتداد بالرجفة والصيحة دليلا على انهما امتان أخريان وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئا من هذا الشأن * فلما الحديث الذي أورده الحافظ ابن عساكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن شفيق بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (إن مدين وأصحاب الأيكة امتان بعث الله اليهما شعيبا النبي عليه السلام) فانه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه * والاشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بنى اسرائيل والله أعلم * ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان فدل على أنهم أمة واحدة اهلكوا بأنواع من العذاب * وذكر في كل موضع ما يناسب من الخطاب . وقوله (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ذكروا أنهم أصابهم عذاب شديد وأسكن الله هبوب الهوا عنهم سبعة أيام فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الاسراب فهربوا من محلتهم الى البرية فاظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلمها فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فازهقت الارواح وخربت الاشباح فاصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يفنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين . ونجى الله شعيبا ومن معه من المؤمنين) كما قال تعالى وهو أصدق القائلين (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين . كأن لم يفنوا فيها ألا بئساً لمدن كما بدت ثمود) . وقال تعالى (وقال الملائكة من قومه لئن اتبعت شعيبا إنكم إذا لخاسرون . فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يفنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) وهذا في مقابلة قولهم (لئن اتبعت شعيبا إنكم إذا لخاسرون) ثم ذكر تعالى عن نبينهم أنه نعام الى انفسهم موبخاً ومؤنباً ومقرعاً فقال تعالى (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) أى أعرض عنهم موليا عن محلتهم بعد هلكتهم قاتلاً (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أى قد أدبت ما كان واجباً على من البلاغ التام والنصح الكامل وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل اليه فلم

ينفكم ذلك لأن الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين فلست أناسف بعد هذا عليكم لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ولا تخافون يوم النصيحة ولهذا قال فكيف آسى أى احزن على قوم كافرين أى لا تقبلون الحق ولا ترجعون اليه ولا تلتفون اليه فخل بهم من بأس الله الذى لا يرد مالا يدافع ولا يمانع ولا يحيد لاحد أريد به عنه ولا مناص منه *

وقد ذكر الحافظ بن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس أن شعيبا عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام . وعن وهب بن منبه أن شعيبا عليه السلام بات بمكة ومن معه من المؤمنين وقبورهم عربى الكعبة بين دار الندوة ودار بنى سهم

باب ذرية إبراهيم

قد قدمنا قصته مع قومه وما كان من أمرهم وما آل اليه امره عليه السلام والتحية والأكرام وذكرنا ما وقع فى زمانه من قصة قوم لوط . وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام لأنها قرينتها فى كتاب الله عز وجل فى مواضع متعددة فذكر تعالى بعد قصة قوم لوط قصة مدين وهم أصحاب الأيكة على الصحيح كما قدمنا فذكرناهما تبعا لها إقتداء بالقرآن العظيم * ثم نشرع الآن فى الكلام على تفصيل ذرية إبراهيم عليه السلام لأن الله جل فى ذريته النبوة والكتاب فكل نبى أرسل بعده فمن ولده *

إسماعيل عليه السلام

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسهما وأجلهما الذى هو الذبيح على الصحيح إسماعيل بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل * ومن قال إن الذبيح هو اسحق فأنما تلقاه من قلة بنى إسرائيل الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل وخالفوا ما بأيديهم فى هذا من التنزيل * فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر * وفى رواية الوحيد وأياما كان فهو إسماعيل بنص الدليل فى نص كتابهم إن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة * وإنما ولد اسحق بعد مضى مائة سنة من عمر الخليل فإسماعيل هو البكر لأعالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة * أما فى الصورة فلأنه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد فى المعنى فانه هو الذى هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيراً رضيعاً فيما قيل فوضعها فى وهاد جبال فاران وهى الجبال التى حول مكة نعم المقييل وتركهما هناك ليس معهما من الزاد والماء الا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلا عليه . فخطهما الله تعالى بمنايته وكفايته فنعى الحسيب والكافى والوكيل

والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السرواين من يحل هذا المحل والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل * وقد أثنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب مع ما كان يدعو اليه من عبادة رب الأرباب * قال تعالى (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فطاوع أباه على ما اليه دعاه . ووعد به بان سيصبر فوفى بذلك وصبر على ذلك . وقال تعالى (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) وقال تعالى (واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الآية . وقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) الآية . ونظيرتها من السورة الأخرى . وقال تعالى (أم يقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله) الآية فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله وبرأه من كل مانسب اليه الجاهلون . وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون . وذكر علماء النسب وإيام الناس أنه أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشاً فانسأ وركبها . وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه حدثنا شيخ من قریش حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) قال (اتخذوا الخيل واعتقبوها فانها مراث أئبيكم اسماعيل) وكانت هذه العرب وحشا فدعا لها بدعوته التي كان أعطى فاجابته وإنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البلغة * وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل .

قال الاموي حدثني علي بن المغيرة حدثنا أبو عبيدة حدثنا مسمع بن مالك عن محمد بن علي ابن الحسين عن آبائه عن النبي (ص) أنه قال « أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » فقال له يونس صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني . وفد قدما أنه تزوج ما شب من المالقي امرأة وأن أباه أمره بفراقها ففارقها * قال الاموي هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل المالقي * ثم نكح غيرها فامر به أن يستمر بها فاستمر بها وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي

وقيل هذه ثلاثة فولدت له اثني عشر ولدا ذكرا . وقد سماهم محمد بن اسحق رحمه الله وهم نابت وقيدر (١) وازيل وميشي وسميع وماش ودوصا وادر ويطور ونش وطيا وقيدما * وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم . وعندهم أنهم الاثنا عشر عظيما المبشر بهم المتقدم ذكرهم . وكذبوا في تأويلهم ذلك وكان اسماعيل عليه السلام رسولا الى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرم والعاليق وأهل اليمز صلوات الله وسلامه عليه * ولما حضرته الوفاة أوصى الى أخيه اسحق وزوج ابنته نسمة من ابن أخيه العيص بن اسحق فولدت له الروم . ويقال لهم بنو الاصفر لصفرة كانت في العيص * وولدت له اليونان في أحد الاقوال * ومن ولد العيص الاشبان قبل منهما ايضا * وتوقف ابن جرير رحمه الله .

ودفن اسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة * وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى اسماعيل عليه السلام الى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله اليه آتى سافح لك بابا الى الجنة الى الموضع الذي تدفن فيه تجرى عليك روحها الى يوم القيامة .

وعرب الحجاز كلهم ينتسبون الى ولده نابت وقيدار * وستكلم على أحياء الغرب وبطونها وعماؤها وقبائلها وعشاؤها من لدن اسماعيل عليه السلام الى زمان رسول الله (ص) * وذلك اذا

اتھينا الى أيامه الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من أخبار انبياء بني اسرائيل الى زمان

عيسى بن مريم خاتم انبيائهم وحقق أنبائهم * ثم نذكر ما كان في زمن بني

اسرائيل * ثم ما وقع في أيام الجاهلية ثم ينتهي الكلام الى سيرة نبينا رسول الله

الى العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم من الأمم إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم

اسحاق بن ابراهيم عليه الصلوة والسلام

قد قدمنا أنه ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه اسماعيل بأربع عشر سنة . وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة قال الله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز * وقد قدمنا في حديث أبي هريرة عن رسول الله (ص) أن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

(١) قوله قيدر في نسخة قيدار وقوله وميشي وفي نسخة منبسي قوله وادر في نسخة وادر وفي

أخرى وازر قوله ويطور في نسخة وروطور قوله وطيا في نسخة وطميا

يوسف بن يعقوب بن سحقي بن ابراهيم . وذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رها بنت بتوايل في حيات أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم * والثاني خرج وهو آخذ بقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب اليه بنو إسرائيل قالوا وكان اسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لانه بكره وكانت أمهما رها تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر قالوا فلما كبر اسحق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاما وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب يبتغي ذلك فامرت رها ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاما كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاء به وقربه إليه قال من أنت قال ولدك فضمه اليه وجسه وجعل يقول أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجلس والثياب فالعيص فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدرا وكتبه عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده *

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فحمله اليه فقال له ما هذا يا بني قال هذا الطعام الذي اشتيته فقال أما جئتني به قبل الساعة وأكلت منه ودعوت لك فقال لا والله وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً . وذكروا أنه تواعده بالقتل اذا مات أبوها وسأل أباه فدعا له بدعوة أخرى وأن يجعل لذريته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثماهم فلما سمعت أمهما ما يتواعد به العيص أخاه يعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابن الذي بأرض حران وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته . وقالت لزوجها اسحق أن يأمره بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء في موضع فنام فيه أخذ حجرا فوضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه ذلك معراجا منصوبا من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك واجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك . فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر الله لئن رجع إلى أهله سالما لينين في هذا الموضع مبداء الله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون لله عشره ثم عد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهنا يعرفه به وسمى ذلك الموضع بيت إيل أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك كما سيأتي قالوا فلما قدم يعقوب على خاله أرض حران اذا له ابنتان اسم الكبرى ليا واسم الصغرى راحيل وكانت أحسنهما وأجملها فاجابه الى ذلك بشرط أن يرعى على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة على خاله لابن صنع طعاما وجمع الناس عليه وزف اليه ليلا

ابنته الكبرى، ليا، وكانت ضيفة المينين قبيحة المنظر . فلما أصبح يعقوب اذا هي ليا فقال لخاله لم غنرت بي وأنت انما خطبت اليك راحيل فقال إنه ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت اختم افاعل سبع سنين أخرى وازوجكها فصل سبع سنين وادخلها عليه مع أختها وكان ذلك سائفا في ملتهم ثم نسخ في شريعة التوراة * وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ لان فل يعقوب عليه السلام دليل على جواز هذا واباحته لأنه معصوم * ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لليا جارية اسمها زلي ووهب لراحيل جارية اسمها بلهى * وجبر الله تعالى ضعف ليا بان وهب لها أولاداً فكان أول من ولدت ليعقوب روئيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ففارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جارياتها بلهى فوطئها فحملت وولدت له غلاماً سمته دان وحملت وولدت غلاماً آخر سمته نيفتالى فمعدت عند ذلك ليا فوهبت جارياتها زلي من يعقوب عليه السلام فولدت له جاد (١) وأشير غلامين ذكرين ثم حملت ليا أيضاً فولدت غلاماً خامساً منها وسمته إيساخر (٢) * ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سمته زابلون ثم حملت وولدت بنتاً سمته دينا فصار لها سبعة من يعقوب * ثم دعت الله تعالى راحيل وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب فسمع الله ندائها وأجاب دعائها فحملت من نبي الله يعقوب فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته يوسف كل هذا وهم مقيمون بارض حاران (٣) وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنيتين ست سنين أخرى فصار مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان أن يسرحه لير إلى أهله فقال له خاله انى قد بورك لى بسببك فسلنى من مالى ما شئت فقال تعطينى كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبيع وكل حمل ملع أبيض بسواد وكل أملح بياض وكل أجلح أبيض من المعز فقال نعم فعمد بنوه فبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيوس لثلا يولد شئ من الحملان على هذه الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم قالوا فعمد يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة يبيض من لوز وواب فكان يقشرها بلقا وينصبها فى مساقى الغنم من المياه لينظر الغنم اليها فتزعزع وتحرك أولادها فى بطونها فتصير ألوان حملاتها كذلك وهذا يكون من باب خوارق العادات ويتنظم فى سلك المعجزات فصار ليعقوب عليه السلام أغنام كثيرة ودواب وعبيد وتغير له وجه خاله وبنيه وكأهم انحصروا منه وأوحى الله تعالى الى يعقوب أن يرجع الى بلاد أبيه وقومه ووعدته بأن يكون معه فعرض ذلك على أهله فاجابوه مبادين الى طاعته فتحمل بأهله وماله وسرقت راحيل أصنام أبيها فلما جاوزوا وتميزوا عن بلادهم لحقهم لابان وقومه فلما اجتمع لابان بيعقوب عاتبه فى خروجه بغير علمه وهلا أعلمه فيخرجهم فى فرح ومزاهر وطبول وحتى يودع بناته وأولادهن ولم أخذوا أصنامهم معهم ولم يكن عند

(١) فى النسخة الحلبية حاذ (٢) فى نسخة انساخر (٣) فى الطبرى بارض بابل

يعقوب علم من أصنامهم فانكر أن يكون أخذوا له أصناما فدخل بيوت بناته وامائهن يفتش فلم يجد شيئاً وكانت راحيل قد جعلتهن في بردعة الحمل وهي تحتها فلم تهم وأعتذرت بأنها طامث فلم يقدر عليهن فعند ذلك تواتموا على راية هناك يقال لما جلماد على أنه لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الراية إلى بلاد الآخر لا لابان ولا يعقوب وعملا طعاما وأكل القوم معهم وتودع كل منهما من الآخر وتفارقوا راجعين إلى بلادهم فلما اقترب يعقوب من أرض ساعير تلقته الملائكة يبشرونه بالقدوم وبث يعقوب البرد إلى أخيه العيصو يترفق له ويتواضع له فرجعت البرد وأخبرت يعقوب بأن العيص قد ركب البك في أربعمائة راجل فخشى يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل وصلى له وتضرع إليه وتمسك لديه وناشده عهده ووعدته الذي وعده به وسأله أن يكف عنه شر أخيه العيص وأعد لأخيه هدية عظيمة وهي مائتا شاة وعشرون تيساً ومائتا نعجة وعشرون كبشاً وثلاثون لقحة وأربعون بقرة وعشرة من الثيران وعشرون أتاناً وعشرة من الحمير وأمر عبيده أن يسوقوا كلا من هذه الأصناف وحده وليكن بين كل قطيع وقطيع مسافة فإذا لقيهم العيص فقال للأول لمن أنت ولمن هذه معك فليقل لبيدك يعقوب أهداها لسيدي العيص وليقل الذي بعده كذلك وكذا الذي بعده ويقول كل منهم وهو جاني بعدنا وتأخر يعقوب بزوجتي وأمتيه وبنيه الأحد عشر بعد الكل بليلتين وجعل يسير فيهما ليلاً ويمكن نهاراً فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلاً من الناس فأتاه يعقوب ليصارعه ويغالبه فظهر عليه يعقوب فيما يرى إلا أن الملك أصاب وركه ففرج يعقوب فلما أضاء الفجر قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي أن تدعى بعد اليوم إلا إسرائيل فقال له يعقوب ومن أنت وما اسمك فذهب عنه فلم أنه ملك من الملائكة وأصبح يعقوب وهو يمرح من رجاء فلذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء ورفع يعقوب عينيه فلذا أخوه عيصو قد أقبل في أربعمائة راجل فتقدم أمام أهله فلما رأى أخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان وكان مشروعا لهم كما سجدت الملائكة لآدم تحية له وكما سجد أخوه يوسف وأبواه له كما سيأتي فلما رآه العيص تقدم إليه وأحضضه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر إلى النساء والصبيان فقال من أين لك هؤلاء قال هؤلاء الذين وهب الله لبيدك فدنت الأمتان وبنوها فسجدوا له ودنت ليا وبنوها فسجدوا له ودنت راحيل وابنها يوسف فخراً سجداً له وعرض عليه أن يقبل هديته وألح عليه قبلها ورجع العيص فتقدم أمامه ولحقه يعقوب بأهله وما معه من الانعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحور ابنتي له بيتاً ولدوا به ظلالاً ثم مر على أورشليم قرية شخيم قتل قبل القرية واشترى مزرعة شخيم بن حمور بمائة نعجة ف ضرب هنالك فسطاطه وابنتي ثم مذبحاً فسماه إيل إله إسرائيل وأمر الله بينائهم ليستعلن له فيه * وهو بيت المقدس اليوم الذي جده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما

السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا أولاً
وذكر أهل الكتاب هنا قصة دينا بنت يعقوب بنت ليا وما كان من أمرها مع شخيم بن جمور
الذي قهرها على نفسها وأدخلها منزله ثم خطبها عن أبيها وأخوتها فقال إخوتها إلا أن نختتنوا كلكم
فنصاهركم وتصاهرنا فإنا لا نصاهر قومًا غلفًا فأجابهم إلى ذلك واختتنوا كلهم فلما كان اليوم الثالث
واشتد وجهم من ألم الختان مال عليهم بنو يعقوب فقتلهم عن آخرهم وقتلوا شخيم وأباه جمور لقبيح
ما صنعوا إليهم مضافاً إلى كفرهم وما كانوا يعبدونه من أصنامهم فلهذا قتلهم بنو يعقوب وأخذوا
أموالهم غنيمة *

ثم حملت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين إلا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عقبه
فدفنها يعقوب في أفراث وهي بيت لحم وصنع يعقوب على قبرها حجراً وهي الحجارة المعروفة بقبر راحيل
إلى اليوم * وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلاً فن ليا روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا
وايساخر وزايلون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل دان وفثالي
ومن أمة ليا حاد واشير عليهم السلام وجاء يعقوب إلى أبيه اسحاق فأقام عنده
بقرية حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن إبراهيم ثم مرض
اسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة ودفنه ابنه العيص ويعقوب
مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها كما قدمنا

ما وقع من العجز العجيب في حياة الرسول

فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من
القرآن العظيم ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
(بسم الله الرحمن الرحيم تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . نحن
قص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) قد تكلمنا
على الحروف المقطعة في أول تفسير سورة البقرة فمن أراد تحقيقه فلينظره ثم * وتكلمنا على هذه
لسورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر هنا نبذاً مما هناك على وجه الإيجاز والنجاز *
وجملة القول في هذا المقام أنه تعالى يمدح كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم
بلسان عربي فصيح بين واضح جلي يفهمه كل عاقل ذكي ذكي فهو أشرف كتاب نزل من السماء أنزله
أشرف الملائكة على أشرف الخلق في أشرف زمان ومكان . بأفصح لغة وأظهر بيان . فإن كان السياق
في الأخبار الماضية أو الآتية ذكر أحسنها وأبينها وأظهر الحق مما اختلف الناس فيه ودمغ الباطل وزيفه

ورده وإن كان في الأمر والنواهي فاعدل الشرائع وأوضح المناهج وأبين حكما وأعدل حكما فهو كما قال تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) . يعنى صدقا في الأخبار عدلا في الأمر والنواهي ولهذا قال تعالى (نحن قص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) أى بالنسبة إلى ما أوحى إليك فيه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) . وقال تعالى (كذلك قص عليك من أنباء ما قد سبق . وقد آتيناك من لدنا ذكرا . من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا) . يعنى من أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله هذا الوعيد كما قال فى الحديث المروى فى المسند والترمذى عن أمير المؤمنين على مرفوعا وموقوفا (من ابتنى الهدى فى غيره أضله الله) . وقال الامام أحمد حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشام أنبأنا خالد عن الشعبي عن جابر (أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب قرأه على النبي ﷺ) قال ففضب وقال أنتهوا عنكم فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده لقد جئتم بها بيضاء حقية لا تسألون عن شئ فيخبرونكم بحق فتكذبونه أو يبطل فتصدقونه والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعته إلا أن يتبعنى) اسناد صحيح . ورواه أحمد من وجه آخر عن عمرو فيه قال رسول الله ﷺ (والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمنى لضلتم) إنكم حظى من الأثم وأنا حظكم من النبين) وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه فى أول سورة يوسف . وفى بعضها أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال فى خطبته (أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لى اختصارا ولقد أتيتكم بها بيضاء حقية فلا تهوكموا ولا يغرنكم التهوكون . ثم أمر بتلك الصحيفة فحيت حرفا حرفا (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين . وكذلك يجتنيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم) قد قدمنا أن يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولدا ذكرا وسميناهم واليههم تنسب أسباط بنى إسرائيل كلهم وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره وباقي إخوته لم يوح اليهم . وظاهر ما ذكر من فضاهم ومقالم فى هذه القصة يدل على هذا القول * ومن استدلل على نبوتهم بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوى

لأن المراد بالأسباط شعوب بنى إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم *

ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نص على واحد من إخوته سواء فدل على ما ذكرناه ويستأنس لهذا بما قال الامام أحمد (حدثنا) عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عمر أن رسول الله (ص) قال الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم « افرد به البخارى » فرواه عن عبد الله ابن محمد وعبد بن عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقد ذكرنا طرقة في قصة ابراهيم بما أغنى عن اعادته ههنا والله الحمد والمنه * قال المفسرون وغيرهم رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم كأن (أحد عشر كوباً) وهم إشارة الى بقية إخوته (والشمس والقمر) وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له فهاله ذلك فلما استيقظ قصها على أبيه ففرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يخضع له أبواه وإخوته فيها فأمره بكتفائها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه ويغفوا له الفوائت ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرناه * ولهذا جاء في بعض الآثار (استعينوا على قضاء حوائجكم بكتفائها فان كل ذى نعمة محسود) ، وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه وإخوته معاً وهو غلط منهم (وكذلك يجتنبك ربك) أى وكما أراك هذه الرؤيا العظيمة فاذا كنتها (يجتنبك ربك) أى يخلصك بأنواع اللطف والرحمة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أى يفهمك من معانى الكلام وتعبير المنام مالا يفهمه غيرك (ويتم نعمته عليك) أى بالوحي اليك (وعلى آل يعقوب) أى بسببك ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة (كما أنمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) أى ينعم عليك ويحسن اليك بالنبوة كما أعطاهما أبلك يعقوب وجدك اسحق ووالد جدك ابراهيم الخليل (إن ربك عليم حكيم كما قال تعالى) الله أعلم حيث يجعل رسالته *

لهذا قال رسول الله (ص) لما سئل أى الناس أكرم قال (يوسف بنى الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما وأبو يعلى والبزار في مسنديهما من حديث الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأئمة عن السدى عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال (أتى النبي (ص) رجل من اليهود يقال له بستانة اليهودى فقال يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف أنما ساجدة له ما أسماؤها . قال فسكت النبي (ص) فلم يجبه بشئ ونزل جبريل عليه السلام باسمائها قال فبعث اليه رسول الله فقال هل أنت مؤمن إن أخبرتك باسمائها قال نعم فقال هى جريان (١) والطارق . والديال وذو الكفتان . وقابس . ووثب . وعمردان (٢) والفيلق . والمصبح . والضروح . وذو الفرع .

والضياء . والنور) فقال اليهودى اى والله إنها لاساؤها . وعند أبى يعلى فلما قصها على أبيه قال هذا أمر مشئت يجمعه الله والشمس أبوه والقمر أمه . (لقد كن فى يوسف وإخوته آيات للسائلين . اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبنا منا ونحن عصبة إن أبانا لى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين . قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)

ينبه تعالى على ما فى هذه القصة من الآيات والحكم والدلالات والمواظ والبيّنات . ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أبيه له ولأخيه يعنون شقيقه لأنه بنوهم أكثر منهم وهم عصبة أى جماعة يقولون فكنا نحن أحق بالمحبة من هذين (إن أبانا لى ضلال مبين) أى بتقديمه حبهم علينا ثم اشتدوا فيما بينهم فى قتل يوسف أو إبعاده الى أرض لا يرجع منها ليخلو لهم وجه أبيهم أى لتتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم وأضروا التوبة بعد ذلك فلما تمالؤا على ذلك وتوافقوا عليه (قال قائل منهم) قال مجاهد هو شمدون * وقال السدى هو يهودا * وقال قتادة ومحمد بن اسحق هو أكبرهم رويل (لاقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) أى المارة من المسافرين (ان كنتم فاعلين) ماتقولون لا محالة فليكن هذا الذى أقول لكم فهو أقرب حالا من قتله أو فنيه وتغريبه فاجمعوا رأيهم على هذا فعند ذلك قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . قال إني ليعزنى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا لخاسرون) طلبوا من أبيهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب وينبسط وقد أضروا له ما الله به عليم فاجابهم الشيخ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم . يابى يشق على أن أفارقة ساعة من النهار ومع هذا أخشى أن تشتغلوا فى لعبكم وما أنتم فيه فأتى الذئب فأكله ولا يقدر على دفعه عنه لصغره وغفلتكم عنه . (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا لخاسرون) أى لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيتنا أو اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة إنا اذا لخاسرون أى عاجزون هالكون .

وعند أهل الكتاب أنه أرسله وراءهم يتبعهم فضل عن الطريق حتى أرشده رجل اليهم . وهذا أيضا من غلظهم وخطئهم فى التعريب فان يعقوب عليه السلام كان أحرص عليه من أن يبعثه معهم فكيف يبعثه وحده (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لننبئكم بأسرهم هذا وهم لا يشعرون وجازا أباهم عشاء يكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجازا على قبيصة بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون) لم يزالوا بابيهم حتى بعثه معهم فما كان الا أن غابوا عن

عينه فجعلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال واجمعوا على القائه في عيابت الجب أى في قمره على راعوفته
وهى الصخرة التى تكون فى وسطه يقف عليها المائح وهو الذى ينزل ليملى الدلاء إذا قل الماء والذى
يرفضها بالجل يسى المائح فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه أنه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة
التي أنت فيها ولتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا فى حال أنت فيها عزيز وهم محتاجون إليك خائفون منك
وهم لا يشعرون .

قال مجاهد وقتادة وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه ذلك * وعن ابن عباس وهم لا يشعرون أى لتخبرنهم
بأمرهم هذا فى حال لا يعرفونك فيها * رواه ابن جرير عنه * فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قيصة
فلطخوه بشئ من دم ورجعوا إلى أبيهم عشاء وهم يكون أى على أخيهم . ولهذا قال بعض السلف لا يعرفونك
بكاء المتظلم فرب ظالم وهو بكاء وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاءوا أباهم عشاء يكون أى فى ظلمة الليل
ليكون أمشى لغيرهم لا لمذرمهم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا (فأكله
الذئب) أى فى غيبتنا عنه فى استباقنا وقولهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) أى وما أنت بمصدق
لنا فى الذى أخبرناك من أكل الذئب له ولو كنا غير متهمين عندك فكيف وأنت تهمنا فى هذا فانك
خشيت أن يأكله الذئب وضمننا لك أن لا يأكله لكثرتنا حوله فصرنا غير مصدقين عندك فمعدور
أنت فى عدم تصديقك لنا والحالة هذه . (وجاؤا على قيصة بدم كذب) أى مكذوب مفتعل لانهم
عمدوا إلى سخلة ذبحوها فأخذوا من دمها فوضعوه على قيصة ليوهوا أنه أكله الذئب قالوا ونسوا ان
يمخروقه وآفة الكذب النسيان * ولما ظهرت عليهم علامم الريق لم يرجع صنيعهم على أبيهم فانه كان يفهم
عداوتهم له وحسداهم إياه على محبته له من بينهم أكثر منهم لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التى
كانت عليه فى صغره لما يريد الله أن يخصه به من نبوته * ولما راودوه عن أخذه فبجرد ما أخذه أعدموه
وغيبوه عن عينيه جاؤا وهم يتباكون وعلى ما تمالؤا عليه يتواطون ولهذا (قال بل سولت لكم أنفسكم
أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

وعند أهل الكتاب أن روبيل أشار بوضعه فى الجب ليأخذه من حيث لا يشعرون ويرده إلى أبيه
فناقلوه وباعوه لتلك القافلة . فلما جاء روبيل من آخر النار ليخرج يوسف لم يجده فصاح وشق ثيابه
وعمد أولئك إلى جدى فذبحوه ولطخوا من دمه جبة يوسف . فلما علم يعقوب شق ثيابه ولبس منزرا
أسود وحزن على إبنه أياما كثيرة . وهذه الركاكة جاءت من خطئهم فى التعبير والتصوير (وجاءت
سيارة فارسوا واردهم فادلى دلوه . قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون .
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . وقال الذى اشتراه من مصر لأمرائه
كرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنملنه من تأويل

الاحاديث . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلمنا وكذلك نجزى المحسنين) . يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الحب أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به فجاءت سياره أى مسافرون *

قال أهل الكتاب كانت بضاعتهم من الفستق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر من الشام فاسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البئر فلما أدلى أحدهم دلوه تعلق فيه يوسف فلما رآه ذلك الرجل (قال يا بشرى) أى يا بشراتى (هذا غلام واسروه بضاعة) أى أوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم (والله عليم بما يعملون) أى هو عالم بما تمالأ عليه أخوته وبما يسره واجدوه من أنه بضاعة لهم ومع هذا لا يغيره تعالى لئلا فى ذلك من الحكمة العظيمة والتقدير السابق والرحمة باهل مصر بما يجرى الله على يدي هذا الغلام الذى يدخلها فى صورة اسير رقيق ثم بعد هذا يملكه أزمة الأمور وينفعهم الله به فى دنياهم وأخراهم بما لا يحمد ولا يوصف . ولما استشعر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم * بثمن بخس أى قليل نزر وقيل هو الزيف (دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) . قال ابن مسعود وابن عباس ونوف اليكالى والسدى وقادة وعطية العوفى باعوه بعشرين درهما اقتسموها درهين درهين . وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما . وقال عكرمة ومحمد ابن اسحق أربعون درهما فأنه أعلم (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه) أى أحسنى اليه (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) وهذا من لطف الله به ورحمته واحسانه اليه بما يريد أن يؤهله له ويمطيه من خيرى الدنيا والآخرة . قالوا وكان الذى اشتراه من أهل مصر عزيزا وهو الوزير بها الذى الخزانة مسلمة اليه * قال ابن اسحق واسمه اطفير (١) بن روجيب قال وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعايل (٢) . وقال غيره كان اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها . وقيل فسكا بنت ينوس رواه الثعلبى عن ابى هشام (٣) الرفاعى . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس كان اسم الذى باعه بمصر يعنى الذى جلبه اليها مالك ابن ذعر بن نوب بن عقق (٤) بن مديان بن ابراهيم فأنه أعلم .

وقال ابن اسحق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته اكرمى مثواه والمرأة التى قالت لانيها عن موسى (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

ثم قيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا . وقيل بوزنه مسكا ووزنه حريرا ووزنه ورقا . فأنه أعلم وقوله (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى وكما قيضنا هذا العزيز وامرأته يحسنان اليه ويمتنيان

(١) فى نسخة قطيفر (٢) فى نسخة رعايل (٣) فى نسخة ابن هشام (٤) فى نسخة بن عتقاء

به مكانه في أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أى فهمها . وتعبير الرؤيا من ذلك (والله غالب على أمره) أى اذا أراد شيئاً فإنه يقيض له أسباباً واموراً لا يهتدى اليها العباد ولهذا قال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) . فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الاشد . وهو حد الأربعين الذى يوحى الله فيه الى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين .

وقد اختلفوا في مدة العمر الذى هو بلوغ الاشد فقال مالك وريعة وزيد بن أسلم والشعبي هو الحلم . وقال سعيد بن جبير ثمانى عشرة سنة . وقال الضحاك عشرون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة . وقال السدى ثلاثون سنة . وقال ابن عباس ومجاهد وقادة ثلاث وثلاثون سنة . وقال الحسن أربعون سنة . ويشهد له قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة . (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب . وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفاء سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد باهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفر لي ذنبك إنك كنت من الخاطئين) . يذكر تعالى ما كان من مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهى فى غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت الابواب عليها وعليه وتهيأت له وتصنعت ولبست أحسن ثيابها وأغر لباسها وهى مع هذا كله امرأة الوزير * قال ابن اسحق وبنت أخت الملك (١) الريان بن الوليد صاحب مصر . وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء إلا أنه نبى من سلالة الانبياء فخصه ربه عن الفحشاء . وحماه عن مكر النساء . فهو سيد السادة النجباء السبعة الاقياء . المذكورين فى الصحيحين عن خاتم الانبياء . فى قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . ورجل مطلق قلبه بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا فى الله إجتماعاً عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تمل شئاله ما تنفق يمينه وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) والمقصود أنها دعت اليها وحرصت على ذلك أشد الحرص فقال (معاذ الله إنه ربي) يعنى زوجها

(١) فى النسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية أخ الملك .

صاحب المنزل سيدى (أحسن ثواى) أى أحسن الى وأكرم مقامى عنده (إنه لا يفلح الظالمون) وقد تكلمنا على قوله (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) بما فيه كفاية ومقنع فى التفسير وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب فلا عراض عنه أولى بنا * والذى يجب أن يعتد أن الله تعالى عصمه وبرأه ونزّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها * ولهذا قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب) أى هرب منها طالباً الى الباب ليخرج منه فراراً منها فاتبعته فى أثره (والفيا) أى وجدا (سيدها) أى زوجها لدى الباب فبدرته بالكلام وحرضته عليه (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب اليم) . آهيمته وهى المتهمة وبرأت عرضها ونزّهت ساحتها فلماذا قال يوسف عليه السلام (هى راودتنى عن نفسى) إحتاج الى أن يقول الحق عند الحاجة (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان صغيراً فى المهد قاله ابن عباس * وروى عن أبى هريرة وهلال بن يساف والحسن البصرى وسعيد بن جبير والضحاك واختاره ابن جرير . وروى فيه حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس ووقفه غيره عنه * وقيل كان رجلاً قريباً الى أطفير بلها . وقيل قريباً اليها * ومن قال إنه كان رجلاً ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسدى ومحمد بن اسحاق وزيد بن أسلم فقال (إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) أى لأنه يكون قد راودها فدافته حتى قدت مقدم قيصه (وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) أى لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه فانشق قيصه لذلك وكذلك كان . ولهذا قال تعالى (فلما رأى قيصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) أى هذا الذى جرى من مكركن أنت راودته عن نفسه * ثم آهيمته بالباطل ثم ضرب بلها عن هذا صفحاً فقال (يوسف أعرض عن هذا) أى لا تذكره لأحد لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن وأخبرها بالاستغفار لذنبها الذى صدر منها والتوبة الى ربها فإن العبد اذا تلب الى الله تلب الله عليه . وأهل مصر وإن كانوا يبدون الأضنام إلا أنهم يعلمون أن الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك * ولهذا قال لها بلها وعذرها من بعض الوجوه لأنها رأت مالا صبر لها على مثله الا أنه عفيف نزيه برى المرض سليم الناحية فقال (استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين . وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن . فلما رأينه أكبرنه وقطنن أيديهن وقلن حاش الله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرین . قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب

له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) * يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة من نساء الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وغيها والتشنيع عليها في مراودتها فتاها وحبا الشديد له تعنين وهو لا يساوى هذا لانه مولى من الموالى وليس مثله أهلا لهذا ولهذا قلن (إنا لنراها في ضلال مبين) أى فى وضعها الشئ فى غير محله (فلما سمعت بمكرهن) أى بتشجيعهن عليها والتقص لها والاشارة اليها بالعيب والمذمة بحب مولاهما وعشق فتاها فاطهرن ذما وهى معذورة فى نفس الامر فلماذا أحببت أن تبسط عندها عندهن وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسين ولا من قبيل مالداهن . فارسلت اليهن لجمعتهن فى منزلها . واعتدت لهن ضيافة مثلهن وأحضرت فى جملة ذلك شيئا مما يقطع بالسكاكين كالأترج ونحوه وأنت كل واحدة منهن سكيئا وكانت قد هيات يوسف عليه السلام وألبسته أحسن الثياب وهو فى غاية طراوة الشباب وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة . فخرج وهو أحسن من البدر لا محالة (فلما رأيته أكبره) أى اعظمته وأجلته وهبته وماظن أن يكون مثل هذا فى بنى آدم وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يحززن فى أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرون بالجراح (وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) . وقد جاء فى حديث الاسراء (فررت بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن)

قال السهيلي وغيره من الائمة معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام لأن الله تعالى خلق آدم بيده وفتح فيه من روحه فكان فى غاية نهايات الحسن البشرى ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ويوسف كان على النصف من حسن ادم ولم يكن بينهما أحسن منهما كما أنه لم تكن أنثى بعد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام .

قال ابن مسعود وكان وجه يوسف مثل البرق وكان إذا أتته امرأة لحاجة غطى وجهه * وقال غيره كان فى الغالب مبرقا لثلا يراه الناس ولهذا لما قام عنده امرأة العزيز فى محبتها لهذا المعنى المذكور وجرى لهن وعليهن ماجرى من تقطيع أيديهن بجراح السكاكين وماركهن من المهابة والدهش عند رؤيته ومعاينته (قالت فذلك الذى لمتنى فيه) ثم مدحته بالمصبة التامة فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى امتنع (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) وكان بقية النساء حرصنه على السمع والطاعة لسيده فابى أشد الاباء . وثأى لانه من سلالة الأنبياء ودعا فقال فى دعائه لرب العالمين (رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) يعنى إن وكلتنى الى نفسى فليس لى من نفسى الا العجز والضعف ولا أملك لنفسى قضا ولا ضرا إلا ما شاء الله فانا ضعيف الا ما قوتيتى وعصمتنى وحفظتنى وحطنتى بحولك وقوتك ولهذا قال تعالى (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) . ثم بداهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه

حتى حين . ودخل معه السجن فتيان . قال احدهما إني أراني أعصر خيرا . وقال الآخر إني أراني أجعل فوق رأسي خبزاَ تأكل الطير منه نبتنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلك كما علمني ربى إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خيرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستثيان . يذكر تعالى عن العزيز وامرأته أنهم بدا لهم أى ظهر لهم من الرأى بعد ما علموا براءة يوسف أن يسجنوه الى وقت ليكون ذلك أقل لكلام الناس فى تلك القضية وأخذ لأمرها وليظهروا أنه راودها عن نفسها فسجن بسببها فسجنوه ظلما وعدوانا . وكان هذا مما قدر الله له ومن جملة ما عصى به فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم * ومن ههنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعى أن من العصاة أن لا تجد قال الله (ودخل معه السجن فتيان) قيل كان أحدهما ساقى الملك واسمه فيما قيل بنو . والآخر خبازه يعنى الذى يلى طعامه وهو الذى يقول له الترك (الجاشنكير) واسمه فيما قيل مجلث كان الملك قد اتهمهما فى بعض الامور فسجنهما * فلما رآيا يوسف فى السجن أعجبهما سمته وهديه ودله وطريقته وقوله وفضله وكثرة عبادته ربه واحسانه الى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه * قال أهل التفسير رأيا فى ليلة واحدة * أما الساقى فرأى كأن ثلاث قضبان من حبلته وقد أوردت وأينمت عنقائيد العنب فاخذها فاعتصرها فى كأس الملك وسقاها * ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من خبز وضواري الطيور تأكل من السل الاعلى قصصاها عليه وطلبا منه أن يبرهما لما وقالوا (إنا نراك من المحسنين) فاخبرهما أنه عليم بتعبير ما خبير بأمرها و(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) * قيل معناه معهما رأينا من حلم فأتى أعبره لكم قبل وقوعه فيكون كما أقول * وقيل معناه إني أخبركما بما يأتيكما من الطعام قبل مجيئه حلوا أو حامضا كما قال عيسى (وانبثكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) وقال لهما إن هذا من تعليم الله إياي لا تى مؤمن به موحد له متبع ملة آبائى الكرام إبراهيم الخليل واسحاق ويعقوب (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا) أى بأن هدانا لهذا (وعلى الناس) أى بأن أمرنا أن ندعوم اليه ونرشدهم ونعلمهم عليه وهو فى فطرهم مركوز وفى جبلتهم مغروز (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) * ثم دعاهم الى التوحيد وذم عبادة ما سوى الله عز وجل وصذر أمر الأولين وحرقها وضف أمرها فقال (ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله

الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم (إلا الله) أى هو المتصرف فى خلقه الفعل لما يريد الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء (أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) أى وحده لا شريك له و (ذلك الدين القيم) أى المستقيم والصراط القويم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى فهم لا يهتدون اليه مع وضوحه وظهوره وكانت دعوته لها فى هذه الحال فى غاية السكال لأن نفوسها معظمة له منبعثة على تلقى ما يقول بالقبول فناسب أن يدعوها الى ما هو الأنفع لها مما سأل عنه وطلبها منه * ثم لما قام بما وجب عليه وارشد الى ما أرشد اليه قال (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا) قالوا وهو الساقى (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قالوا وهو الخلباز (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) أى وقع هذا لا محالة ووجب كونه على حالة ولهذا جاء فى الحديث (الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقت).

وقد روى عن بن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (أنهما قالاً لم تر شيئاً) فقال لها (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان). وقال للذى ظن أنه ناج منها اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين). يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال للذى ظنه ناجياً منها وهو الساقى (أذكرنى عند ربك) يعنى اذكر أمرى وما أنا فيه من السجن بغير جرم عند الملك * وفى هذا دليل على جواز السعى فى الاسباب * ولا ينافى ذلك التوكل على رب الأرباب. وقوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى فأنسى الناجى منها الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام * قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو الصواب وهو منصوص أهل الكتاب (فلبث يوسف فى السجن بضع سنين) والبضع ما بين الثلاث الى التسع * وقيل الى السبع * وقيل الى الخمس * وقيل مادون المشرة. حكاهما الثعلبى * ويقال يضع نسوة وبضعة رجال * ومنع الفراء استعمال البضع فيما دون المشرة قال وإنما يقال نيف. وقال الله تعالى (فلبث فى السجن بضع سنين) وقال تعالى فى بضع سنين) وهذا رد لقوله * قال الفراء ويقال بضعة عشر وبضعة وعشرون الى التسعين ولا يقال بضع ومائة وبضع والى ألف وخالف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر فنع أن يقال بضعة وعشرون الى تسعين * وفى الصحيح (الايان بضع وستون) وفى رواية وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ومن قال إن الضمير فى قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائد على يوسف فقد ضعف ما قاله وان كان قد روى عن ابن عباس وعكرمة والحديث الذى رواه ابن جرير فى هذا الموضع ضعيف من كل وجه * تفرد بإسناده إبراهيم بن يزيد الخوزى (١) المسكى وهو متروك. ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ولا ههنا بطريق الأولى والأخرى والله أعلم.

(١) فى نسخة خوذى وفى أخرى خورى والصواب الخوزى.

فاما قول ابن جبان في صحيحه ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث اخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي ثنا مسدد بن مسرهد ثنا خالد بن عبد الله ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها اذ كرفي عند ربك لبث في السجن ما لبث ورحم الله لوطا أن كان ليأوى الى ركن شديد إذ قال لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قال فما لبث الله نبيا بعده إلا في ثروة من قومه . فانه حديث منكر من هذا الوجه ومحمد بن عمرو بن علقمة له اشياء ينفرد بها وفيها نكارة وهذه اللفظة من أنكرها وأشدها . والذي في الصحيحين يشهد بطلها والله أعلم . (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات . يا أيها الملأ أفتوني في رؤيى إني كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فآرسلوه . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلنى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما تقدمت لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس وفيه يمضون) هذا كان من جملة اسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والاكرام وذلك أن ملك مصر وهو الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشه (١) بن فاران بن عمرو بن علاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا . قال أهل الكتاب رأى كأنه على حاقة نهر وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلن يرتعن في روضة هناك فخرجت سبع هزال ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن فأكلتهن فاستيقظ مذعورا . ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة واذا سبع آخر دقاق يابسات فأكلتهن فاستيقظ مذعورا . فلما قصها على ملته وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبیرها بل (قالوا أضغاث أحلام) أى أخلاط أحلام من الليل لعلها لا تعبیر لها ومع هذا فلا خبرة لنا بذلك ولهذا قالوا (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) فعند ذلك تذكر الناجى منها الذى وصاه يوسف بأن يذكره عند ربه فتسبه الى حينه هذا . وذلك عن تقدير الله عز وجل وله الحكمة فى ذلك فلما سمع رؤيا الملك ورأى عجز الناس عن تعبیرها تذكر أمر يوسف وما كان أوصاه به من التذكار : ولهذا قال تعالى (وقال الذى نجا منهما وأدكر) أى تذكر (بعد أمة) أى بعد مدة من الزمان وهو بضع سنين وقرأ بعضهم كما حكى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك (وأدكر بعد أمة) أى بعد نسيان وقرأها مجاهد (بعد أمة) بالسكان الميم وهو النسيان أيضا يقال أمة الرجل يأمة أمها وأماها اذا نسي قال الشاعر .

امهت وكنت لا أنسى حديثاً كذاك الدهر يزرى بالقول

قال لقومه والملك (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلوني) أى فأرسلوني الى يوسف فجاه فقال (يوسف أيها الصديق أفنا في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعل أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) وعند أهل الكتاب أن الملك لما ذكره له الساقى إستدعاه الى حضرته وقص عليه ما رآه ففسره له وهذا غلط والصواب ما قصه الله في كتابه القرآن لا ما عربه هؤلاء الجهلة الثيران من قرأى وربان . فبذل يوسف عليه السلام ما عنده من العلم بلا تأخر ولا شرط ولا طلب الخروج سريعاً بل أجابهم الى مسألوها وعبر لهم ما كان من منام الملك الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جلب . (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس) يعنى يأتهم الفيث والخصب والرفاهية (وفيه يعصرون) يعنى ما كانوا يعصرونه من الاقصاب والاعناب والزيتون والسمن وغيرها فعب لهم . وعلى الخير لهم وأرشدهم الى ما يعتمدونه فى حالتى خصبهم وجد بهم وما يفعلونه من ادخار حبوب سنى الخصب فى السبع الأول فى سنبله الا ما يرصد بسبب الأكل ومن قليل البذر فى سنى الجلب فى السبع الثانية اذ الغالب على الظن أنه لا يرد البذر من الحقل * وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأى والفهم .

(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكدهن عليم . قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم). لما أحاط الملك علماً بكامل علم يوسف عليه الصلاة والسلام وتمام عقله ورأيه السديد وفهمه أمر باحضاره الى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه الرسول بذلك أحب أن لا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً وأنه برئ الساحة مما نسبوه اليه بهتاناً (قال ارجع الى ربك يعنى الملك) فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكدهن عليم) قيل معناه إن سيدى العزيز يعلم براءتى مما نسب الى أى فر الملك فليساألن كيف كان امتناعى الشديد عند مراودتهن إياى وخشن لى على الأمر الذى ليس برشيد ولا سديد . فلما سئلن عن ذلك أعرفن بما وقع من الأمر وما كان منه من الأمر الحميد (وقلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) فعند ذلك (قالت امرأة العزيز) وهى زليخا (الآن حصحص الحق) أى ظهر وتبين ووضح والحق أحق أن يتبع (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أى فيما يقوله من انه برئ وأنه لم يراودنى وأنه حبس ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً . وقوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) قيل إنه من كلام يوسف أى انما

طلبت تحقيق هذا ليعلم العزيز آتى لم أخنه بظهر الغيب . وقيل إنه من تمام كلام زليخا أى إنما اعترفت بهذا ليعلم زوجى آتى لم أخنه فى نفس الامر وإنما كان مراده لم يقع معها فعل فاحشة وهذا القول هو الذى نصره طائفة كثيرة من أئمة المتأخرين وغيرهم ولم يحك ابن جرير وابن أبى حاتم سوى الاول . (وما ابرى نفسى ان النفس لأماراة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم) قيل إنه من كلام يوسف وقيل من كلام زليخا وهو مفرع على القولين الاولين . وكونه من تمام كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى والله أعلم (وقال الملك ائتموني به أستخلصه لنفسي فلما كلفه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلني على خزان الارض ائتموني حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) . لما ظهر للملك براءة عرضه ونزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه اليه (قال ائتموني به أستخلصه لنفسي) أى أجعله من خاصتى ومن أكابر دولتى ومن أعيان حاشيتى فلما كلفه وسمع مقاله وتبين حاله (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى ذو مكانة وأمانة (قال اجعلني على خزان الارض ائتموني حفيظ عليم) طلب أن يولى النظر فيما يتعلق بالاهراء لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضى سبب سعى الخصب لينظر فيها بما يرضى الله فى خلقه من الاحتياط لهم والرقى بهم وأخبر الملك إنه حفيظ أى قوى على حفظ ما لديه أمين عليه عليم بضبط الاشياء ومصالح الاهراء وفى هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة * وعند أهل الكتاب أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جدا وسلطه على جميع أرض مصر وألبسه خاتمه وألبسه الحرير وطوقه الذهب وحمله على مركبه الثانى ونودى بين يديه أنت رب وسلط وقال له لست أعظم منك إلا بالكرسى . قالوا وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امرأة عظيمة الشأن .

وحكى الثعلبى أنه عزل قطنير عن وظيفته وولاهها يوسف . وقيل إنه لما ماتت زوجته إمرأته زليخا فوجدتها عذراء لأن زوجها كان لا يأتى النساء فولدت ليوسف عليه اسلام رجلين وهما أفرام ومنشا قال واستوفى ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأحبه الرجال والنساء .

وحكى أن يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة وأن الملك خاطبه بسبعين لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فاعجبه ذلك مع حداثة سنه فأنه أعلم * قال الله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوا منها حيث يشاء) أى بعد السجن والضيق والحصر صار مطلق الركاب بديار مصر (يتبوا منها حيث يشاء) أى أين شاء حل منها مكرماً محسوداً معظمياً (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أى هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يدخر له فى آخرته من الخير الجزيل والثواب الجميل . ولهذا قال (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) ويقال إن أظفير زوج

زليخا كان قد مات فولاه الملك مكانه وزوجه إسرائيل زليخا فكان وزير صدق .
 وذكر محمد بن اسحق أن صاحب مصر الوليد بن الزيان أسلم على يد يوسف عليه السلام فآله
 أعلم . وقد قال بعضهم

وراء مضيق الخوف متسع الأمن وأول مفروح به غاية الحزن
 فلا تياسن فآله ملك يوسف خرائته بعد الخلاص من السجن

(وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون . ولما جهزهم بجهازهم قال اثبتوني باخ
 لكم من أيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين . فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
 ولا تقربون . قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون . وقال لفتياناه إجمعوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها
 إذا اقبلوا الى أهلهم لعلهم يرجعون) يخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه السلام الى الديار المصرية
 يمتارون طعاما وذلك بعد إتيان سنئ الجذب وعمومها على سائر البلاد والعباد . وكان يوسف عليه السلام
 اذ ذاك الحاكم في أمور الديار المصرية دينا ودنيا . فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لأنهم لم يخطر
 ببالهم ماصار اليه يوسف عليه السلام من الحكمة والعظمة فلماذا عرفهم وهم له منكرون

وعند أهل الكتاب أنهم لما قدموا عليه سجدوا له فعرفهم وأراد أن لا يعرفوه فأغظ لهم في القول
 وقال أنتم جواسيس جثم لتأخذوا خبر بلادي . فقالوا معاذ الله إنما جئنا لقمنا من الجهد والجوع
 الذي أصابنا ونحن بنو آب واحد من كنعان ونحن اثنا عشر رجلا ذهب منا واحد وصغيرنا عند أينا فقال
 لا بد أن أستعلم أمركم * وعندهم أنه حبسهم ثلاثة أيام ثم أخرجهم وأحبس شمعون عنده ليأتوه بالأخ
 الآخر . وفي بعض هذا انظر . قال الله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أي أعطاهم من الميرة ما جرت به
 عادته في إعطاء كل انسان حل بغير لا يزيد عليه (قال اثبتوني باخ لكم من أيكم) وكان قد سألهم عن
 حالهم وكتم فقالوا كنا إثني عشر رجلا فذهب منا واحد وبقي شقيقه عند أينا فقال اذا قدمتم من
 العام المقبل فأتوني به معكم (ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين) أي قد أحسنت نزلكم
 وقراكم فرغهم ليأتوه به ثم رهبهم إن لم يأتوه به قال (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
 تقربون) أي فلست أعطيكم ميرة ولا أقربكم بالكيفية عكس ما أسدى اليهم أولا فاجتهد في إحضاره معهم
 ليل شوقه منه بالترغيب والترهيب (قالوا سنراود عنه أباه) أي سنجتهد في مجيئه معنا وإتيانه اليك
 بكل ممكن (وإنا لفاعلون) أي وإنا لقادرون على تحصيله . ثم أسر فتياناه أن يصنعوا بضاعتهم وهي ما جاؤا
 به يتعوضون به عن الميرة في أمتعتهم من حيث لا يشعرون بها (لعلهم يعرفونها اذا اقبلوا الى أهلهم
 لعلهم يرجعون) قيل أراد أن يردوها اذا وجدوها في بلادهم . وقيل خشي أن لا يكون عندهم ما يرجعون
 به مرة ثانية . وقيل تدمم أن يأخذ منهم عوضا عن الميرة .

وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على أقوال سيأتي ذكرها * وعند أهل الكتاب أنها كانت صرراً من ورق وهو أشبه والله أعلم (ز) فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون . قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فإله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين . ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم . قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير . قال لن أرسله معكم حتى تؤتونني موقفاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم . فلما آتوه موقهم قال الله على ما قول وكيل . وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكمل التوكلون . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (

يذكر تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم * وقولهم له (منع منا الكيل) أي بعد حامنا هذا إن لم ترسل معنا أخانا فإن أرسلته معنا لم يمنع منا (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغى) أي شيء نريد وقد ردت إلينا بضاعتنا (ونمير أهلنا) أي ننتار لهمم ونأتيهم بما يصلحهم في سنتهم ومحلمهم (ونحفظ أخانا ونزداد) بسببه (كيل يسير) قال الله تعالى (ذلك كيل يسير) أي في مقابلة ذهاب ولده الآخر وكان يعقوب عليه السلام أضن شيء بولده بنيامين لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ويتسلى به عنه ويتعوض بسببه منه فلماذا قال (لن أرسله معكم حتى تؤتونني موقفاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تغلبوا كلكم عن الاتيان به (فلما آتوه موقهم قال الله على ما قول وكيل) أكد المواقيق وقرر العهود واحتاط لنفسه في ولده ولن يغني حذر من قدر . ولولا حاجته وحاجة قومه إلى الميرة لما بعث الولد العزيز ولكن الأقدار لها أحكام والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد ويحكم ما يشاء وهو الحكيم العليم . ثم أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة . قيل أراد أن لا يصيبهم أحد بالعين وذلك لأنهم كانوا أشكالا حسنة وصورا بديعة قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقادة والسدي والضحاك * وقيل أراد أن يتفرقوا لعلهم يجدون خيراً ليوسف أو يحدثون عنه بأثر . قاله إبراهيم النخعي . والأول أظهر ولهذا قال (وما أغنى عنكم من الله من شيء) وقال تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء) الحاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (وعند أهل الكتاب أنه بعث معهم هدية إلى العزيز من الفستق واللوز والصنوبر والبطم والعسل وأخذوا الدراهم الأولى وعوضا آخر (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون . فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذون أيها العبر إنكم

لسارقون. قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تقدمون. قالوا فقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم. قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين. قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين. فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم علم عليهم. قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون. قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدا من مكاته إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) يذكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف وأيوأته إليه وإخباره له سرا عنهم بأنه أخوه وأمره بكنم ذلك عنهم وسلاهم عما كان منهم من الاساءة إليه * ثم احتال على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم فأمر فتياه بوضع سقايتهم. وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام عن غرته في متاع بنيامين. ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك ووعدهم جملة على رده حمل بعير وضمنه المنادى لهم فأقبلوا على من اتهمهم بذلك فأنبوه وهجنوه فيما قاله لهم و (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) يقولون أنتم تعلمون منا خلاف ما رميتونا به من السرقة (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين. قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين). وهذه كانت شريعتهم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ولهذا قالوا (كذلك نجزي الظالمين). قال الله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليكون ذلك أبعد للهمة وأبلغ في الحيلة ثم قال الله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لولا اعترافهم بأن جزاءه من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر (إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء) أي في العلم (وفوق كل ذي علم علم عليهم) وذلك لأن يوسف كان أعلم منهم وأتم رأيا وأقوى عزما وحزما وإتقاناً فلما فضل عن أمر الله له في ذلك لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يمنون يوسف * قيل كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره. وقيل كانت عنته قد علفت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لاسحق ثم استخرجوها من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت وإنما أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لمحبته له. وقيل كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء. وقيل غير ذلك فهذا (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه) وهي كلمته بدها وقوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أجابهم سرا لاجرا حلما وكرما وصفحا وعفوا فدخلوا معه في الترقق والتعطف فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا

شيخا كبيرا فخذ أحدا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا الظالمون) أي إن أطلقنا المتهم وأخذنا البرئ. هذا مالا فعله ولا نسمح به وإنما نأخذ من وجدنا متاعنا عنده.

وعند أهل الكتاب أن يوسف تعرف إليهم حينئذ وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه جدا (فلما استأنسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم قولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون . قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم . وتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون . يا بني إذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

يقول تعالى مخبرا عنهم أنهم لما استأنسوا من أخذه منه خلصوا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روبيل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم) لقد أخلقتم عهده وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من قبله فلم يبق لي وجه أقابله به (فلن أبرح الأرض) أي لا أزال مقبها هنا (حتى يأذن لي أبي) في القيد عليه (أو يحكم الله لي) بأن يقدرني على رد أخي إلى أبي (وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم قولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أي أخبروه بما رأيتم من الأمر في لظاهر المشاهدة (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) أي فان هذا الذي أخبرناك به من أخذهم أخانا لأنه سرق أمر اشتهر بمصر وعلمه العير التي كنا نحن وهم هناك (وإنا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أي ليس الأمر كما ذكرت لم يسرق فانه ليس سجية له ولا خلقه وإنما سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل قال ابن اسحق وغيره لما كان التفريط منهم في بنيامين مترتبا على صنيعهم في يوسف قال لهم ما قال وهذا كما قال بعض السلف إن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) يعني يوسف وبنيامين وروبييل (إنه هو العليم) أي بحالي وما أنا فيه من فراق الأحبة (الحكيم) فيما يقدره ويفعله وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة (وتولى عنهم) أي أعرض عن بني (وقال يا أسنى على يوسف) ذكره حزنه الجديد بالحزن القديم وحرك ما كان كامنا كما قال بعضهم .

قُلْ فَوَادِكُ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْمَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقال آخر

لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لَتُذَرَفِ الدَّمُوعُ السَّوَابِكُ
قَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لَقَبْرُ نَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكِلِكُ
قُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى فَذَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وقوله (وايضا عينا من الحزن) أى من كثرة البكاء (فهو كظيم) أى مكظم من كثرة
حزنه وأسفه وشوقه الى يوسف فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد وألم الفراق (قالوا) لعل وجه الرحمة
له والرافة به والحرص عليه (الله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)
يقولون لا تزال تذكره حتى تنحل جسدك وتضعف قوتك فلو رقت بنفسك كان أولى بك (قال
إنما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول لبنيه لست أشكو اليكم ولا الى أحد
من الناس ما أنا فيه إنما أشكو الى الله عز وجل وأعلم أن الله سيجعل لى مما أنا فيه فرجا ومخرجا وأعلم
أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع ولا بد أن أسجد له أنا وأنتم حسب ما رأى ولهذا قال (واعلم من الله مالا
تعلمون) ثم قال لهم محرضا على تطلب يوسف وأخيه وأن يبحثوا عن أمرهما. (يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) أى لا
تيأسوا من الفرج بعد الشدة فانه لا يأس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج فى المضايق إلا القوم
الكافرون (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الغمر وجئنا بيضاة مزجة فأوف لنا الكيل
وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين. قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. قالوا
أنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
أجر المحسنين. قالوا لله لقد أثرك الله علينا وان كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو أرحم الراحمين. اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين)
يخبر تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه وقدومه عليهم عليه ورغبتهم فيما لديه من الميرة والصدقة عليهم
رد أخيه بنيامين اليهم (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الغمر) أى من الجذب وضيق
الحال وكثرة العيال (وجئنا بيضاة مزجة) أى ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن يتجاوز عنه. قيل
كانت دراهم رديئة. وقيل قليلة وقيل حب الصنوبر وحب البطم ونحو ذلك. وعن ابن عباس كانت
خلق الغرائر والحبال ونحو ذلك (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين) قيل
قبولها قاله السدى. وقيل برزأخينا الينا قاله ابن جريج. وقال سفيان بن عيينة إنما حرمت الصدقة على
نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزع بهذه الآية رواه ابن جرير. فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاؤا
به مما لم يبق عندهم سواء من ضعف المال تعرف اليهم وعطف عليهم قائلا لهم عن أمر ربهم وربهم.

وقد حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من الخلال فيه الذي يعرفون (هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون . قالوا) وتمجبوا كل العجب وقد ترددوا اليه مرارا عديدة وهم لا يعرفون أنه هو (أنتك لا أنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) يعنى أنا يوسف الذى صنعت مع ما صنعتهم وسلف من أمركم فيه ما فرطتم وقوله (وهذا أخى) تأكيد لما قل وتنبه على ما كانوا أضروا لها من الحسد وعملوا فى أمرهما من الاحتيال ولهذا قال (قد من الله علينا) أى بأحسنه البنا وصدقته علينا وإيوائه لنا وشده معاقب عزنا وذلك بما أسلفنا من طاعة ربنا وصبرنا على ما كان منكم البنا وطاعتنا وبرنا لأننا ومحبتنا الشديدة لنا وشقته علينا (لأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا لله لقد آثرك الله علينا) أى فضلك وأعطاك ما لم نطعنا (وإن كنا خاطئين) . أى فيما أسدينا اليك وها نحن بين يديك (قال لا تثريب عليكم اليوم) أى لست أعاقبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا ثم زادهم على ذلك فقال (اليوم ينفّر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

ومن زعم أن الوقف على قوله لا تثريب عليكم وابتدأ بقوله اليوم ينفّر الله لكم قوله ضعيف والصحيح الاول. ثم أمرهم بأن يذهبوا بقيصه وهو الذى بلى جسده فيضعوه على عيني أبيه فانه يرجع اليه بصره بعد ما كان ذهب باذن الله وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات * ثم أمرهم أن يتحملوا بأهلهم أجمعين الى ديار مصر الى الخير والدعة وجمع الشمل بعد الفارقة على أكل الوجوه وأعلى الأمور (فدا فصلت المير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون . قالوا لله إنك لفي ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا . قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون . قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم).

قال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل سمعت ابن عباس يقول فلما فصلت المير قال لما خرجت المير حاجت ريح فحات يعقوب بريح قيص يوسف (قال إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام. وكذا رواه الثورى وشعبة وغيرهم عن أبي سنان به . وقال الحسن البصرى وابن جريج المكي كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخا وكان له منذ فارقته ثمانون سنة وقوله (لولا أن تفندون) أى تقولون إنما قلت هذا من الفند وهو الخرف وكبر السن . قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة تفندون تسفهون . وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون (قالوا لله إنك لفي ضلالك القديم) قال قتادة والسدى قالوا له كلمة غليظة . قال الله تعالى (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) أى بمجرد ما جاء ألقى القيص على وجه يعقوب فرجع من فوره بصيرا بعد ما كان ضريرا وقال لبنه عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا

تلمون) أى أظن أن الله سيجمع شملى يوسف وستقر عيني به وسيربني فيه ومنه ما يسرني فعند ذلك (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين). طلبوا منه أن يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا فعلوا ونالوا منه ومن ابنه وما كانوا عزموا عليه. ولما كان من نيتهم التوبة قبل الفعل وقهم الله للاستغفار عند وقوع ذلك منهم فاجابهم أبوم الى ماسألوا وما عليه عولوا قائلا (سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم). قال ابن مسعود و ابراهيم التيمي وعمر بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم الى وقت السحر قال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن ادریس سمعت عبد الرحمن بن سحقي يذکر عن محارب ابن دثار قال كان عمر يأتي المسجد فسمع انسانا يقول (اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فاطمت وهذا السحر فاغفر لي) قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال إن يعقوب أخر بنيه الى السحر بقوله (سوف أستغفر لكم ربي) وقد قال الله تعالى (والمستغفرين بالاسحار) وثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) قال (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فاغفر له) وقد ورد في حديث (أن يعقوب أرجأ بنيه الى ليلة الجمعة) قال ابن جرير حدثني المثنى . ثنا سليمان بن عبد الرحمن بن أيوب الدمشقي حدثنا الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله (ص) (سوف أستغفر لكم ربي) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه . وهذا غريب من هذا الوجه . وفي رفته فظروا والأشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس رضى الله عنه . (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم . رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت ولى في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقنى بالصالحين) .

هذا إخبار عن حال إجماع المتحايين بعد الفرقة الطويلة التي قيل انها ثمانون سنة وقيل ثلاث وثمانون سنة وهما روايتان عن الحسن . وقيل خمس وثلاثون سنة قاله قتادة . وقال محمد بن اسحاق ذكروا أنه غاب عنه ثمانى عشرة سنة * قال وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة وظاهر سباق القصة يرشد الى تحديد المدة تقريبا فان المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة فيما له غير واحد فامتنع فكان في السجن بضع سنين وهى سبع عند عكرمة وغيره . ثم أخرج فكانت سنوات الخصب السبع فم لما انحل الناس في السبع البواقي جاء إخوتهم يمتارون في السنة الأولى وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين . وفي الثالثة تعرف اليهم وأمرهم باحضار أهلهم أجمعين فجاؤا كلهم (فلما دخلوا

عليه آوى إليه أبويه) اجتمع بهما خصوصا وحدهما دون إخوته (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) قيل هذا من المقدم والمؤخر تقديره ادخلوا مصر وآوى إليه أبويه . وضعفه ابن جرير وهو معذور * قيل تلقاهما وآواهما في منزل الخيام . ثم لما اقتربوا من باب مصر (قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) قاله السدي . ولو قيل إن الأمر لا يحتاج إلى هذا أيضا وأنه ضمن قوله ادخلوا معنى اسكنوا مصر أو اقيموا بها (إن شاء الله آمنين) لمكان صحيحا مليحا أيضا .

وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر وهي أرض بليس خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشرا بقدومه وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون فيها ويقيمون بها بنعمهم ومواسيهم * وقد ذكر جماعة من المفسرين أنه لما أوف قدوم نبي الله يعقوب وهو إسرائيل أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتمظيلا لنبي الله إسرائيل وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سنى الجذب ببركة قدومه اليهم فأنهم أعلم

وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيها قاله أبو اسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين انسانا * وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة وثمانين انسانا . وقال أبو اسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون انسانا . قالوا وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة الف مقاتل * وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفسا وسبعم . قال الله تعالى (ورفع أبويه على العرش) قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض المفسرين فأحيها الله تعالى وقال آخرون بل كانت خالته ليا واخلالة بمنزلة الام . وقال ابن جرير وآخرون بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ فلا يمول على قتل أهل الكتاب فيها خلفه وهذا أقوى والله أعلم . ورفعها على العرش أى اجلسها معه على سريرته (وخروا له سجدا) أى سجد له الابوان والاخوة الأحد عشر تمظيلا وتكريما وكان هذا مشروعا لهم ولم يزل ذلك معمولا به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا . (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أى هذا تعبيرا ما كنت قصصته عليك من رؤياي الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر حين رأيتهما لى ساجدين وأمرتني بكتفئها ووعدتني ما وعدتني عند ذلك (قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن) أى بعد الهام والضيق جعلنى حيا كما نافذ الكلمة فى الديار المصرية حيث شئت (وجاء بكم من البدو) أى البادية وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخليل (من بعد أن تزغ الشيطان بينى وبين إخوتى) أى فيما كان منهم إلى من الأمر الذى تقدم وسبق ذكره * ثم قال (إن ربى لطيف لما يشاء) أى إذا أراد شيئا هيا أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدى إليها العباد بل يقدرها وييسرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته (إنه هو العليم) أى بجميع الأمور (الحكيم) فى خلقه وشرعه وقدره .

وعند أهل الكتاب أن يوسف باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده - بأموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والأثاث وما يملكونه كله حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء * ثم أطلق لهم أرضهم وأعتق رقابهم على أن يعملوا ويكون خمس ما يشتغلون من زرعهم وثمارهم للملك فصارت سنة أهل مصر بعده .

وحكى الثعلبي أنه كان لا يشبع في تلك السنين حتى لا ينسى الجيعان وأنه انما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار قال فمن ثم اقتدى به الملوك في ذلك * قلت وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يشبع بطنه عام الرمادة حتى ذهب الجذب وأتى الخصب .

قال الشافعي قال رجل من الأعراب لعمر بعد ما ذهب عام الرمادة (لقد أنجبت عنك وإنك لابن حرة) . ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف أن هذه الدار لا يقربها قرار وأن كل شيء فيها ومن عليها فان . وما بعد التمام الا النقصان فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله واعترف له بعظيم إحسانه وفضله . وسأل منه وهو خير المسؤولين أن يتوفاه أى حين يتوفاه على الاسلام . وأن يلحقه بعباده الصالحين . وهكذا كما يقال في الدعاء (اللهم احينا مسلمين وتوفنا مسلمين) أى حين نتوفانا ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي (ص) عند احتضاره أن يرفع روحه الى الملا الأعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال (اللهم في الرفيق الأعلى ثلاثا ثم قضى) .

ويحتمل أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الاسلام منجزا في صحة بدنه وسلامته وأن ذلك كان سائغا في ملتهم وشرعتهم كما روى عن ابن عباس أنه قال ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف . فأما في شريعتنا فقد نهى عن الدعاء بالموت الا عند الفتن كما في حديث معاذ في الدعاء الذي رواه أحمد (وإذا أردت بقوم فتنه فتوفنا إليك غير مفتونين) وفي الحديث الآخر (ابن آدم الموت خير لك من الفتن) وقالت مريم عليها السلام (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) وتمنى الموت على بن أبي طالب لما تفاقمت الأمور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال وتمنى ذلك البخاري أبو عبد الله صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال ولقي من مخالفه الأهوال .

فأما في حال الرفاهية فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) (لا تمنى أحدكم الموت لضر نزل به إما محسنا فيزداد وإما مسيئا فله يستعقب ولكن ليقبل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي) والمراد بالضر ههنا ما يخص العبد في بدنه من مرض ونحوه لا في دينه * والظاهر أن نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك إما عند احتضاره أو إذا كان ذلك أن يكون كذلك .

وقد ذكر ابن اسحق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبيه إبراهيم واسحق . قال السدي فصر وسيره إلى بلاد الشام فدفنه بالمذارة عند أبيه اسحق وجده الخليل عليهم السلام . وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة . وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة * هذا نص كتابهم وهو غلط إما في النسخة أو منهم أو قد اسقطوا الكسر وليس بمادتهم فيما هو أكثر من هذا فكيف يستعملون هذه الطريقة هنا وقد قال تعالى في كتابه العزيز (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) يوصي بنيه بالاخلاص وهو دين الاسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام . وقد ذكر أهل الكتاب أنه أوصى بنيه واحداً واحداً وأخبرهم بما يكون من أمرهم وبشر يهودا بخروج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى بن مريم والله أعلم .

وذكروا أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً وأمر يوسف الأهلئاء فطيئوه بطيب ومكث فيه أربعين يوماً ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكابر مصر وشيوخها فلما وصلوا حبرون دفنوه في المذارة التي كان إشتراها إبراهيم الخليل من عفرون بن صخر الحثي وعلوا له عزاء سبعة أيام قالوا ثم رجعوا إلى بلادهم وعزى إخوة يوسف ليوسف في أبيهم وترققوا له فأكرمه وأحسن منقلبهم فأقاموا ببلاد مصر . ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آبائه فخطوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند آبائه كما سيأتي . قالوا فمات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين * هذا نصهم فيما رأيت وفيما حكاه ابن جرير أيضاً . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة . ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة * وقال غيره أوصى إلى أخيه يهودا صلوات الله عليه وسلامه .

قصه نبي الله أيوب

قال ابن اسحق كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موص بن ذراح بن العيص بن اسحق ابن إبراهيم الخليل . وقال غيره هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن اسحق بن يعقوب وقيل غير ذلك في نسبه . وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام . وقيل كان أبوه ممن آمن بإبراهيم

عليه السلام يوم ألقى في النار فلم تحرقه والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم كما قررنا عند قوله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) الآيات من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليهما السلام. وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب) الآية فالصحيح أنه من سلالة العيص بن اسحق وإمرأته قيل اسمها ليا بنت يعقوب وقيل رحمه بنت أفرائيم. وقيل منشا بن يوسف بن يعقوب. وهذا أشهر فلهذا ذكرناه هاهنا. ثم نطف بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته أن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. قال الله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه أتى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال تعالى في سورة ص (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أتى مسنى الشيطان بنصب وعذاب. أركض برحلك هذا مقتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب. وخذ بيدك ضعفا فاضرب به ولا تحث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) وروى ابن عساكر من طريق الكلابي أنه قال أول نبى بمث لإدريس. ثم نوح. ثم إبراهيم. ثم إسماعيل. ثم اسحق. ثم يعقوب. ثم يوسف. ثم لوط. ثم هود. ثم صالح. ثم شعيب. ثم موسى وهرون. ثم الياس. ثم اليسع. ثم عوفى (١) بن سويلج بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. ثم يونس بن متى من بنى يعقوب. ثم أيوب بن زراح (٢) بن أموص بن لبفرز بن العيص بن اسحق بن إبراهيم. وفى بعض هذا الترتيب نظر فإن هودا وصالحا المشهور أنهما بعد نوح. وقبل إبراهيم والله أعلم.

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان أيوب رجلا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الانعام والعبيد والمواشى والأراضى المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران.

وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلم من ذلك جميعه وابتلى فى جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه. يذكر الله عز وجل بها يه فى ذلك كانه صابر محتسب ذا كره عز وجل فى ليله ونهاره وصباحه ومساءه. وطال مرضه حتى عافاه المجلس وأوحش منه الأنيس وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها واقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشقيقته عليها فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته. وضف حالها وقل ما لها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده رضى الله عنها وأرضاها وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق

المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فانا لله وإنا اليه راجعون . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال (أشد الناس بلاء الانبياء . ثم الصالحون . ثم الامثل فالأمثل يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلاءه) . ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الاصبرا واحتسابا وحمداً وشكراً حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلايا * وقد روى عن وهب ابن منبه وغيره من علماء بني اسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده والله أعلم بصحته * وعن مجاهد أنه قال كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجدرى وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال فزعم وهب أنه ابتلى ثلاث سنين لا يزيد ولا تنقص . وقال أنس ابتلى سبع سنين وأشهرأ وألقى على مزبلة لبني اسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وعظم له الاجر وأحسن الثناء عليه .

وقال حميد مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة . وقال السدى تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت (يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة) فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام .

ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها لعلمهم أنها امرأة أيوب خوفاً أن ينالهم من بلاءه أو تعذبهم بمخالطته فلما لم تجد أحداً يستخدمها عملت فباعت لبعض بنات الاشراف احدى صغيرتيها بطعام طيب كثير فأنت به أيوب فقال من أين لك هذا وانكره فقالت خدمت به أنا فلما كان الغد لم تجد أحداً فباعت الضغيرة الأخرى بطعام فأنته به فانكره أيضاً وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لما هذا الطعام فكشفت عن رأسها خاوها فلما رأى رأسها محلوفاً قال في دعائه (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عير قال كان لأيوب اخوان فجاء يوماً فلم يستطيعا ان يدنوا منه من ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولها جزعا لم يجوز من شئ قط قال (اللهم ان كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شعبانا وأنا أعلم مكان جائع فصدقني) فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال (اللهم ان كنت تعلم أنى لم يكن لى قيصان قط وأنا أعلم مكان عارف فصدقني) فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم بعزتك وخر ساجداً فقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني فما رفع رأسه حتى كشف عنه .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا حدثنا يونس بن عبد الأعلى انبثنا ابن وهب أخبرني

نفع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي (ص)، قال: (إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من اخوانه كاتا من أخص اخوانه له كاتا يقدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه يعلم الله لقد أذنب أيوب ذنبا ماأذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشر سنة لم رحمه ربه فيكشف مابه . فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق . قال وكان يخرج فى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله الى أيوب فى مكانه (أن أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأه فثقلته تنتظر وأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أى برك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبلى فوالله على ذلك مارأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فانى أنا هو . قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشمير فبعت الله سحابتين فلما كانت أحدهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الأخرى فى اندر الشمير الورق حتى فاض . هذا لفظ ابن جرير وهكذا رواه بتمامه ابن حبان فى صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرمة عن ابن وهب به . وهذا غريب رفته جدا . والأشبه أن يكون موقوفا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد ابنثنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلة من الجنة فتحنى أيوب وجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هذا المبلى الذى كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجلت تكلمه ساعة قال ولعل أنا أيوب قالت أنسخرنى يا عبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدي .

قال ابن عباس ورد الله عليه ماله وولده باعياهم ومثلهم معهم . وقال وهب بن منبه . أوحى الله اليه قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فاتهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال: لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ يده ويجعل فى ثوبه قال عقيل له يا أيوب أما تشبع . قال يارب ومن يشبع من رحمتك وهكذا رواه الامام أحمد عن ابى داود الطيالسى وعبد الصمد عن همام عن قتادة به . ورواه ابن حبان فى صحيحه عن عبد الله بن محمد الأزدي عن اسحق بن راهويه عن عبد الصمد به ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح فالله أعلم .

وقال الامام أحمد ثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أرسل على أيوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه فقيل يا أيوب ألم يكفك ما أعطيناك قال أي رب ومن يستغنى عن فضلك . هذا موقوف . وقد روى عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا .

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله (ص) : (بينا أيوب ينتقل عريانا خرا عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فتداه به عز وجل (يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى) قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن بركتك . رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به وقوله (أركض برجلك) أى اضرب الأرض برجلك فامثل ما أمر به فانبع الله له عينا باردة الماء وأمر أن ينتقل فيها ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذى كان فى جسده ظاهرا وباطنا وأبد له الله بعد ذلك كله محبة ظاهرة وباطنة وجالا تلمأ ومالا كثيرا حتى صب له من المال صبا مطرا عظيما جرادا من ذهب واخلف الله له أهله كما قال تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) فقيل أحيام الله باعياهم . وقيل أجره فيمن سلف وعوضه عنهم فى الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم فى الدار الآخرة . وقوله (رحمة من عندنا) أى رفنا عنه شدته (وكشفنا ما به من ضر) رحمة منا به ورأفة واحسانا (وذكرى للعابدين) أى تذكرة لمن ابتلى فى جسده أو ماله أو ولده فله أسوة بنى الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال هى رحمة من هذه الآية قد ابد النجدة واغرق النزع . وقال الضحاك عن ابن عباس رد الله اليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولدا ذكر ا . وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بارض الروم على دين الحنيفة ثم غيروا بعده دين ابراهيم . ر قوله (خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحث) إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أرب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط فقيل حلفه ذلك لبيعها ضغائرها . وقيل لأنه عرضها الشيطان فى صورة طيب يصف لها دواء لا أيوب فاتته خبرته ف عرف أنه الشيطان فخلف ليضربها مائة سوط . فلما عافاه الله عز وجل أفناه أن يأخذ ضغثا وهو كالمشكال الذى يجمع الشارخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط وير ولا يحث . وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سيما فى حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضى الله عنها . ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة فى بلب الايمان والنذور وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل فى الخلاص من الايمان وصدروه بهذه الآية الكريمة

وأتوا فيه بأشياء من العجائب والغرائب * وسندكر طرفاً من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه
إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثاً وتسعين
سنة . وقيل إنه عاش أكثر من ذلك . وقد روى ليث عن مجاهد مأمعناه أن الله يمتحن يوم القيامة
بسلطان عليه السلام على الأغنياء ويوسف عليه السلام على الأرقاء وأيوب عليه السلام على أهل البلاء
رواه ابن عساکر بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي
يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فآله أعلم . ومات ابنه هذا وكان نبياً فيما يزعمون وكان عمره من
السنين خمساً وسبعين * ولندكر ههنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهما السلام *

قصه ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب * قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء (واسماعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) وقال تعالى بعد قصة
أيوب أيضاً في سورة ص (وإذ كرمنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . وإذ كرمنا إسماعيل وإسحق وذا الكفل وكل
من الأخيار) فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي
عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور . وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً
وحكماً مقسطاً عادلاً * وتوقف ابن جرير في ذلك فآله أعلم * .

وروى ابن جرير وابن أبي نجیح عن مجاهد أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً وكان قد تكفل
لبني قومه أن يكفيه أمرهم ويقضي بينهم بالعدل فسمى ذا الكفل . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم
من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس
يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث استخلفه . يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يفتضب . قال فقام رجل تزدر به العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل
ولا تفتضب قال نعم . قال فردم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال
أنا . فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم فلان فاعياهم ذلك فقال دعوني وإياه فآله في صورة
شيخ كبير قدير وآله حين أخذ مضجعه لقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة ففتح الباب
فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم * قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي
خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا حتى حضر الروح وذبحت القائلة وقال إذا رحت فأنتي آخذ

لك بمحك فانطلق وراح . فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يقبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس و ينتظره فلا يراه . فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أناه فدفق الباب فقال من هذا فقال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قدمت فأنتي فقال إنهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نمطيك ححك واذا قت جحدوني قال فانطلق فاذا رحلت فأنتي قال ففاته القائلة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشق عليه الناس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فأني قد شق على النوم . فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراك وراك فقال إني قد أتيتك أمس فذكرت له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال فاستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلى والله فلم تؤت فانظر من اين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو يغلط كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعيتني في كل شئ ففعلت ما ترى لا غضبتك فسيما الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به .

وقد روى ابن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس قريبا من هذا السياق . وهكذا روى عن عبد الله ابن الحارث ومحمد بن قيس وابن حجرية الاكبر وغيرهم من السلف نحو هذا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهر أنبأنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الاخنس قال سمعت الاشعري يعني أبا موسى رضى الله عنه وهو على هذا المنبر يقول ما كان ذو الكفل نبيا ولكن كان رجلا صالحا يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل ورواه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . قال قال أبو موسى الاشعري قد كره منقطعا . فلما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله (ص) حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاه ستين دينارا على أن يطأها فلما قصد منها مقعد الرجل من امرأته اوعدت وبكت فقال لها ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعله قط وانما حملتني عليه الحاجة قال فتعلمين هذا ولم تفعلينه قط . ثم نزل فقال اذهبي بالدنانير لك . ثم قال والله لا يصح الله الكفل أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله لكفل . ورواه الترمذى من حديث الاعمش به وقال حسن . وذكر ان بعضهم رواه فوقه على ابن عمر فهو حديث غريب جدا . وفي استاده نظر فان سمعا هذا قال أبو حاتم لا أعرفه الا بحديث واحد ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازى هذا والله أعلم

باب فَوَ كَرَّمُ أَهْلِكَو بَعَاة

وذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية) . كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث عوف الاعرابي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعد ما بذاب من السماء أو من الارض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسخوها قردة . ألم تر أن الله تعالى يقول (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) ورفع البزار في رواية له . والاشبه والله أعلم وقفه فدل على أن كل أمة اهلكت بعامة قبل موسى عليه السلام . فمنهم أصحاب الرس قال الله تعالى في سورة الفرقان (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا . وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنبيرا) . وقال تعالى في صورة ق (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك . وهذا يرد اختيار ابن جرير من أنهم أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج لان أولئك عند ابن اسحق وجماعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضا . وروى ابن جرير قال قال ابن عباس أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه عند ذكر بناء دمشق عن تلاميذ أبي القاسم عبد الله بن عبد الله بن جرداد (١) وغيره أن أصحاب الرس كانوا بحضور فبعث الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فسار عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس فنزل الاحقاف وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها وفشوا مع ذلك في الارض كلها حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح دمشق وبنى مدينتها وسماها جيرون وهي ارم ذات العمداء وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها بدمشق فبعث الله هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الحلود بن عاد الى عاد يعني أولاد عاد بالاحقاف فكذبوه وأهلكهم الله عز وجل فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد بدهور متطاولة فأن الله أعلم . وروى ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي عاصم عن أبيه عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الرس بئر بأذربيجان . وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة قال الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها . وقال ابن جرير قال عكرمة أصحاب الرس بفلج وهم أصحاب ياسين . وقال

قتادة فلعج من قرى اليمامة قلت فان كانوا أصحاب ياسين كما زعمه عكرمة فقد أهلكوا بامامة قال الله تعالى في قصتهم (إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) وستأتى قصتهم بعد هؤلاء وان كانوا غيرهم وهو الظاهر فقد أهلكوا أيضا وتبروا * وعلى كل تقدير فينا فى ما ذكره ابن جرير وقد ذكر أبو بكر محمد ابن الحسن النقاش أن أصحاب الرمس كانت لهم بئر ترويههم وتكنى أرضهم جميعها وكان لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجدوا عليه وجدا عظيما فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان فى صورته وقال إني لم أمت ولكن ققيت عنكم حتى أرى صنيعكم ففرحوا أشد الفرح وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه وأخبرهم أنه لا يموت أبدا فصدق به أكثرهم وافتتنوا به وعبدوه فبعث الله فيهم نبيا وأخبرهم أن هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب ونهاهم عن عبادته وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له *

قال السهيلي وكان يوحى اليه فى النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فدعوا عليه فقتلوه والقوه فى البئر فغار ماؤها وعطشوا بعد ريههم وييست أشجارهم واقطعت ثمارهم وخرت ديارهم وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم وسكن فى مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم إلا عزيف الجن وزئير الاسد وصوت الضباع . فلما مارواه اعنى ابن جرير عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله (ص) : (إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود) وذلك أن الله تعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك الاسود . ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فحرقوا له بئرا فلقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أضم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتى بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاما وشرابا ثم يأتى به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويمينه الله عليها ويدلى اليه طعامه وشرابه ثم يردّها كما كانت قال فكان كذلك ماشاء الله أن يكون * ثم إنه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع ينام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم إنه هب فتمطى وتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام الا ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع * ثم إنه ذهب الى الحفرة الى موضوعها الذى كانت فيه فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه * قال فكان نبهم يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون له ما ندرى حتى قبض الله النبي عليه السلام وأهب الاسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله (ص) : (إن ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة . فانه حديث مرسل ومثله فيه نظر . ولعل بسط قصته من كلام محمد ابن كعب القرظى والله أعلم .

ثم قد رده ابن جرير نفسه وقال لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس المذكورون فى القرآن

قال لأن الله أخبر عن أصحاب الرس انه أهلكتهم وهؤلاء قد بداهم فآمنوا بنبيهم . اللهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم . ثم اختار أنهم أصحاب الأخدود وهو ضعيف لما تقدم ولما ذكر في قصة أصحاب الأخدود حيث توعدوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهلاك أصحاب الرس والله أعلم

قصّة قوم يس وهم أصحاب القرية

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا نطيرنا بكم لنن لم تنهوا لئرجنكم ولیمسنكم منا عذاب الیم . قالوا طاركم معكم إن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون وما لي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون . أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغنى عني شفاعتهم شيئاً ولا يتقذون . إني إذا لني ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إن كانت الاصححة واحدة فاذا هم خامدون)

اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية انطاكية . رواه ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبه وكذا روى عن بريدة بن الحبيب وعكرمة وقتادة والزهرى وغيرهم قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب انهم قالوا وكان لها ملك اسمه انطيوخ بن انطيوخ وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم *

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل وزعم قتادة أنهم كانوا رسلا من المسيح . وكذا قال ابن جرير عن وهب عن بن سليمان عن شعيب الجبائي كان اسم المرسلين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكية .

وهذا القول ضعيف جدا لان أهل انطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الحوارين كانوا أول

مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا احدى كانت المدن الاربع التي تكون فيها بتاركة النصراري وهن
 أنطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها الى القسطنطينية ولم يهلكوا وأهل هذه القرية المذكورة
 في القرآن أهلكوا كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين (إن كانت إلا صيحة واحدة
 فاذا هم خامدون) لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن بشوا الى أهل أنطاكية قديما
 فكذبهم وأهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك . فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله اليهم فلا يمنع
 هذا والله أعلم .

فاما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم ولأن
 ظاهر سياق القرآن يقتضى أن هؤلاء الرسل من عند الله . قال الله تعالى (وأضرب لهم مثلا) يعني لقومك
 يا محمد (أصحاب القرية) يعنى المدينة (اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعزنا
 بثالث) أى أيدهما بثالث في الرسالة (فقالوا إنا اليكم مرسلون) فردوا عليهم بأنهم بشر مثلهم كما قالت الأمم
 الكافرة لرسلهم يستبعدون أن يبعث الله نبيا بشريا فاجابهم بأن الله يعلم أن أرسله اليكم ولو كنا كذبا
 عليه لما قبنا وأنتقم منا أشد الانتقام (وما علينا إلا البلاغ المبين) أى إنما علينا أى نبلاغكم ما أرسلنا به
 اليكم والله هو الذى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء (قالوا إنا نطيرنا بكم) أى تشائمنا بما جئتمونا به
 (لئن لم تنتهوا لرجنكم) بالمقال وقيل بالفعل ويؤيد الأول قوله (ولئيمسكنكم منا عذاب اليم) فوعدهم
 بالقتل والاهانة . (قالوا طائركم معكم) أى مردود عليكم (أن ذكركم) أى بسبب أنا ذكركم
 بالهدى ودعوناكم اليه توعدتونا بالقتل والاهانة (بل أنتم قوم مسرفون) أى لا تقبلون الحق ولا تريدونه .
 وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) يعنى لنصرة الرسل وأظهار الايمان بهم (قال يا قوم
 اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أى يدعونكم الى الحق المحض بلا أجر
 ولا جماله . ثم دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ماسواه مما لا ينفع شيئا لافى الدنيا
 ولا فى الآخرة (إني إذا لفي ضلال مبين) أى إن تركت عبادة الله وعبدت معه ماسواه * ثم قال
 مخالفا للرسل (إني آمنت بربكم فاسمعون) قيل فاستمعوا مقالتي واشهدوا لى بها عند ربكم . وقيل معناه
 فاسمعوا يا قومى ايمانى يرسل الله جهرة . فعند ذلك قتلوه . قيل رجما . وقيل عضا وقيل وثبوا اليه وثبة
 رجل واحد فقتلوه * وحكى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود قال وطئوه بارجلهم حتى
 أخرجوا قصبته .

وقد روى الثورى عن عاصم الاحول عن ابي بصير كان اسم هذا الرجل حبيب بن سرى * ثم
 قيل كان نجارا وقيل جبالا . وقيل إسكافا . وقيل قصارا وقيل كان يتعبد فى غار هناك فأن الله أعلم
 وعن ابن عباس كان حبيب النجار قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة قتلوه قومه . ولهذا قال تعالى

(إدخل الجنة) يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة فلما رأى فيها من انفضرة والسرور (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) يعني ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي قال ابن عباس فصيح قومه في حياته (ياقوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته (ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم وكذلك قال قتادة لا يلقى المؤمن الا نوحا لا يلقى غاشا لما عين ما عين من كرامة الله (ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى والله أن يعلم قومه بما عين من كرامة الله وما هو عليه قال قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) وقوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) أى ما احتجنا في الانتقام منهم الى انزال جند من السماء عليهم. هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود * قال مجاهد وقتادة وما أنزل عليهم جندا أى رسالة أخرى قال ابن جرير والأول أولى قلت وأقوى ولهذا قال (وما كنا منزلين) أى وما كنا نحتاج في الانتقام الى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا (إن كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) .

قال المفسرون بعث الله اليهم جبريل عليه السلام فأخذ بمضادتي الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون أى قد أخذت أصواتهم وسكنت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف . وهذا كله مما يدل على أن هذه القرية ليست أنطاكية لأن هؤلاء أهلها كذبوا برسول الله اليهم وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين اليهم فلماذا قيل إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح * فأما الحديث الذي رواه الطبراني من حديث حسين الأشقرى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (السبق ثلاثة فالسابق الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب يس والسابق الى محمد على ابن أبي طالب) فانه حديث لا يثبت لأن حسين هذا متروك وشيعة من الغلاة وفرد بهذا مما يدل على ضعفه بالحكاية والله أعلم *

قصّة يونس

قال الله تعالى في سورة يونس (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) وقال تعالى في سورة الانبياء (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيته من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) وقال تعالى في سورة الصافات (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق الى الفلك المشحون. فسام فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالمرء وهو سقيم وانبثنا عليه شجرة من يقطين

وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ففتنناهم الى حين). وقال تعالى في سورة نون (فأصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتبه ربه فجعله من الصالحين). قال أهل التفسير بث الله يونس عليه السلام الى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث .

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والانابة وندموا على ما كان منهم الى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا اليه وتمسكوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنوت والبنات والأمهات وجأت الأنعام والدواب والمواشي فرغت الأبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها ونفت الغنم وحملاتها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رؤسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها) أى هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها فدل على أنه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى (ومأرسلنا في قرية من نبي الاقال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون). وقوله (الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) أى آمنوا بكاملهم .

وقد اختلف المفسرون هل ينفعهم هذا الايمان في الدار الآخرة فينقذهم من العذاب الأخرى كما أقدم من العذاب الدنيوى على قولين الأظهر من السياق نعم والله أعلم كما قال تعالى (لما آمنوا) وقال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ففتنناهم الى حين). وهذا المتاع الى حين لا ينفى أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخرى والله أعلم .

وقد كانوا مائة الف لاحالة واختلفوا في الزيادة فمن مكحول عشرة آلاف * وروى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير عن سمع أبا العالية حدثني أبي بن كعب أنه شال رسول الله (ص) عن قوله (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فصلا في هذا الباب * وعن ابن عباس كانوا مائة الف وثلاثين ألفا وعنه وبضعة وثلاثين ألفا . وعنه وبضعة وأربعين ألفا وقال سعيد بن جبير كانوا مائة ألف وسبعين ألفا .

واختلفوا هل كان إرساله اليهم قبل الحوت أو بعده أو هما أمتان على ثلاثة أقوال هى مبسطة في التفسير * والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب مغاضبا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجأت بهم واضطربت وملجت بهم وقلت بما فيها وكادوا يفرقون على ما ذكره المفسرون * قالوا فاشتوروا فيما

فيا ينهم على أن يقتروا فمن وقت عليه القرعة القوه من السفينة ليشفظوا منه . فلما أقتروا وقت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به فلعادوها ثانية فوقت عليه أيضا فشر ليطلع ثيابه ويلقى بنفسه فأبوا عليه ذلك . ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقت عليه أيضا لما يريد الله به من الأمر العظيم . قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق إلى الفلك المشحون . فسأم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم) . وذلك أنه لما وقت عليه القرعة ألقى في البحر ويث الله عز وجل حوتا عظيما من البحر الأخضر فالتقمه وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما فليس لك برزق فلأخذه فطاف به البحار كلها وقيل إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه * قالوا ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحرك فاذا هو حي فخر الله ساجدا وقال يارب أنقذت لك مسجدا لم يهلك أحد في مثله .

وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه . قال مجاهد عن الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية * وقال قتادة مكث فيه ثلاثا وقال جعفر الصادق سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت .

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مَنْكَ نَجَيْتَ يُونُسًا وَقَدَّبْتَ فِي أَضْغَافِ حَوْتٍ لَيَالِيَا

وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك مكث في جوفه أربعين يوما والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه واتفقوا أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللبية ويقتمح به لجج الموج الأجاجي فسمع تسبيح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسبيح الحصى لقالق الحب والنوى ورب السواب السبع والأرضين السبع وما بينها وما تحت الثرى * فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى سامع الأصوات وإن ضعفت وعالم الخفيات وإن دقت ومجيب الدعوات وإن عظمت حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين (وذا النون إذ ذهب) إلى أهله (مغاضبا فظن أن لن قدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين . فظن أن لن قدر عليه) أن نصيق * وقيل معناه قدر من التقدير وهي لغة مشهورة قدر وقدر كما قال الشاعر .

فَلَا عَائِدَ ذَاكَ أَزْمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا يَقْدَرُ يَكُنْ فَكَلَّ الْأَمْرُ

(فنادى في الظلمات) قال ابن مسعود وابن عباس وعمر بن ميمون وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وقال سالم بن أبي الجعد ابتلع الحوت حوت آخر فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر . وقوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قيل معناه لولا أنه سبح الله هنالك وقال ما قال من التهليل والتسبيح

والاعتراف لله بالخضوع والتوبة اليه والرجوع اليه للبث هنالك الى يوم القيامة . ولبث من جوف ذلك الحوت . هذا معنى ما روى عن سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه . وقيل معناه (فلولا انه كان) من قبل أخذ الحوت له (من المسيحين) أى المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيرا قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وأبو المالية ووهب بن منبه وسعيد بن جبير والضحاك والسدى وعطاء بن السائب والحسن البصرى وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لى (يا غلام إني معامك كلمات يحفظك الله يحفظك الله يحفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) وروى ابن جرير فى تفسيره والبزار فى مسنده من حديث محمد بن اسحاق عن حذيفة عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) « لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذ ولا تتخذه لحما ولا تكسر عظما » فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله اليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر * قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا (ياربنا إنا نسمع صوتا بأرض غريبة) قال ذلك عسدى يونس عصافى خبيسته فى بطن الحوت فى البحر * قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم * قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفه فى الساحل كما قال الله (وهو سقيم) هذا لفظ ابن جرير إسناداً ومتمناً * ثم قال البزار لا نعلمه يروى عن النبي (ص) إلا بهذا الاسناد كذا قال . وقد قال ابن أبى حاتم فى تفسيره حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنى أبو صخر أن يزيد الرقاشى حدثه سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث الى رسول الله (ص) أن يونس النبي عليه السلام حين بداله أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فلقبت الدعوة فتح بالعرش فقالت الملائكة يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك . قالوا يارب . ومن هو قال عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عملاً متقبلاً ودعوة مجابة قالوا ياربنا أولاً ترحم ما كان يصنعه فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال لى فأمر الحوت فطرحه فى العراء * ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبى حاتم * قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بالمرأ وانبت الله عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة وهى الله له أروية وحشية فاكل من خشاش الارض أو قال هشاش الارض . قال فتفتش عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية ابن أبى الصلت فى ذلك بيتاً من شعره .

فَأَنْبَتَ يَقِطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أَصْبَحَ ضَاوِيَا

وهذا غريب أيضا من من هذا الوجه ويزيد الرقاشى ضعيف ولكن يتقوى بحديث أبى هريرة المتقدم كما يتقوى ذاك بهذا والله أعلم . وقد قال الله تعالى (فنبدناه) أى القيناه (بالمرء) وهو المكان القفر الذى ليس فيه شئ من الاشجار بل هو عار منها (وهو سقيم) أى ضعيف البدن * قال ابن مسعود كهية الفرخ ليس عليه ريش * وقال ابن عباس والسدى وابن زيد كهية الضبي حين يولد وهو المنفرش ليس عليه شئ وابتنا عليه شجرة من يقطين * قال ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ووهب ابن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخرماني وغير واحد هو القرع * .

قال بعض العلماء فى انبات القرع عليه حكم حجة . منها أن ورقه فى غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب ويؤكل ثمره من أول طلوعه الى آخره نيا ومطبوخا وبشره وبزره أيضا وفيه فقع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك وتقدم كلام أبى هريرة فى تسخير الله تعالى له تلك الاروية التى كانت ترضعه لبنها وترعى فى البرية وتأتيه بكرة وعشية . وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه اليه ولهذا قال تعالى (فاستجبنا له فنجيناه من الغم) أى الكرب والضيق الذى كان فيه (وكذلك ننجى المؤمنين) أى وهذا صنيعنا بكل من دعانا واستجار بنا * قال ابن جرير حدثنى عمران بن بكار الكلاعى حدثنا يحيى ابن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثنى بشر بن منصور عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك وهو ابن أبى وقاص يقول سمعت رسول الله (ص) يقول اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال قلت يا رسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها . ألم تسمع قول الله تعالى (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب * قال أبو خالد أحسبه عن مصعب بن عبد الله عن سعد بن سعد . قال قال رسول الله (ص) (من دعا بدعاء يونس أستجيب له) قال أبو سعيد الأشج يريد به (وكذلك ننجى المؤمنين) وهذان طريقان عن سعد . وثالث أحسن منهما .

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبى اسحق الهمداني حدثنا ابراهيم بن محمد ابن سعد حدثنى والدى محمد عن أبيه سعد وهو ابن أبى وقاص قال مررت بثمان بن عفان فى المسجد فسلمت عليه فلا عينية منى ثم لم يرد على السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث فى السلام شئ قال لا وماذا لك قلت لا إلا أتى مررت بثمان آخا فى المسجد فسلمت عليه فلا عينية منى ثم لم يرد على السلام . قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال ما نملك أن لا تكون رددت

على أخيك السلام . قال ما فعلت . قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت . قال ثم إن عثمان ذكر فقال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي آفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله (ص) لا والله ما ذكرتها قط الا تمنى بصرى وقلبي غشاوة قال سعد فانا أنبئك بها إن رسول الله (ص) ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله (ص) فاتبعته فلما اشقت أن يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت الى رسول الله (ص) فقال من هذا أبو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فيه قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة . ثم جاء هذا الاعرابي فشغلك . قال نعم دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ورواه الترمذي والنسائي من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد بن *

فقد يونس

قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) وذكره تعالى في جملة الانبياء الكرام في سورة النساء والانعام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري به * وقال البخاري أيضا حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي (ص) قال ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى ونسبه الى أبيه . ورواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبة به قال شعبة فيما حكاه أبو داود عنه لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث هذا احدها * وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (وما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) تفرد به أحمد ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني * حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان حدثنا عبد الله بن رجاء أنابنا اسرائيل عن أبي يحيى العتاب عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال (لا ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس بن متى) إسناده جيد ولم يخرجوه *

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وكذا رواه مسلم من حديث شعبة به وفي البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن بن هرم عن الاعرج عن أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودي حين قال لا والذي اصطفى موسى على

العالمين . قال البخارى فى آخره (ولا أقول إن أحداً خير من يونس بن متى) أى ليس لاحد
أن يفضل نفسه على يونس * والقول الآخر لا يبنى لاحد أن يفضلنى على
يونس بن متى كما قد ورد فى بعض الأحاديث لا تفضلونى على الانبياء
ولا على يونس بن متى * وهذا من باب الهضم والتواضع منه صلوات
الله وسلامه عليه وعلى سائر انبياء الله والمرسلين

قصه موسى عليه السلام

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن سحق بن ابراهيم عليهم السلام
قال تعالى (واذا كر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور
الأيمن وقربناه نجيا . ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) وقد ذكره الله تعالى فى مواضع كثيرة
متفرقة من القرآن * وذكر قصته فى مواضع متعددة مبسطة مطولة وغير مطولة وقد تكلمنا على ذلك
كله فى مواضعه من التفسير وسنورد سيرته ههنا من إبتدائها الى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد
فى الآثار المنقولة من الاسرائيليات التى ذكرها السلف وغيرهم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان *
قال الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تلاو عليك من نبا موسى
وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
أبنائهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين . وزيد أن نحن على الذين أستضعفوا فى الأرض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحدرون) يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا فذكر أنه يتلو على نبيه خبر موسى وفرعون
بالحق أى بالصدق الذى كان سامعه مشاهد للامر معاين له (ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها
شيعا) أى تبجر وعتا وطنى وبنى وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعا
أى قسم رعيته الى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بنى اسرائيل الذين هم من سلالة
نبي الله يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض * وقد سلط عليهم
هذا الملك الظالم الفاسق الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم فى أخس الصنائع والحرف وارداها وأدناها
ومع هذا (يذبح أبنائهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين) وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح
أن بنى اسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأترونه عن ابراهيم عليه السلام من أنه سيخرج
من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارة امرأة الخليل
من ملك مصر من إرادته إياها على سوء وعصمة الله لها * وكانت هذه البشارة مشهورة فى بنى اسرائيل

فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت الى فرعون فذكرها له بعض امرائه واساورته وهم يسرون عنده
فامر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام ولن يبقى حذر من قدر .
وذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من
الصحابه أن فرعون رأى في منامه كأن فلأ قد أقبلت من نحو بيت المقدس فاحرقت دور مصر وجميع
القبط ولم تضر بني إسرائيل * فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألهم عن ذلك
فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلماذا أمر بقتل الغلمان وترك
النسوان ولهذا قال الله تعالى (وزيد أن نحن على الذين أستضعفوا في الأرض) وهم بنو إسرائيل
(ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) أى الذين يؤل ملك مصر وبلادها اليهم (ونمكن لهم في الأرض
ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أى سنجعل الضعيف قويا والمقهور قادراً
والذليل عزيزاً وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا الآية)
وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل) وسيأتى
تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله .

والمقصود أن فرعون احتراز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى حتى جعل رجالا وقوابل يدورون
على الجبال ويملون ميقات وضمن فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته * وعند
أهل الكتاب أنه إنما كان أمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبهم أو
قاتلهم . وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد بعثه موسى كما قال تعالى
(فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحبوا نساءهم) ولهذا قالت بنو
إسرائيل لموسى (أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان
أولاً حذراً من وجود موسى . هذا والقدر يقول يا أيها ذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة
بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذى لا يقالب ولا يمانع ولا يخالف أقداره ان هذا المولود الذى
تحترز منه وقد قتلت بسببه من النفوس مالا يعد ولا يحصى لا يكون مرماه إلا فى دارك وعلى فراشك
ولا ينفذ إلا بطعامك وشراكك فى منزلك وأنت الذى تتبناه وتربيه وتعداه ولا تطلع على سر معناه
ثم يكون هلاكك فى دنياك وأخراك على يديه لخالفتك ما جاءك به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى
إليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الغالب لما يريد وأنه هو القوى الشديد
ذو البأس العظيم والحول والقوة المشيئة التى لا مرد لها .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا الى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل

ولدانهم الذكور وخشى أن تتغافى الكبار مع قتل الصغار فيصبرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يمالجون فامسب فرعون قتل الأبناء عاما وأن يتركوا عاما فذكروا أن هرون عليه السلام ولد في عام المساحة عن قتل الأبناء وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاعت أمه به ذرعاً واحترزت من أول ما حبلت ولم يكن يظهر عليها مخاض الجبل. فلما وضعت الهمت أن اتخذت له تابوتاً فربطته في جبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التابوت فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الجبل عندها فإذا ذهبوا استرجعت إليها به . قال الله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) هذا الوحي وحى الهام وإرشاد كما قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً الآية) وليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة .

قال السهيلي واسم أم موسى أيارخا . وقيل أياذخت^(١) * والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي ذكرناه والتي في خلدها وروعتها أن لا تخافي ولا تحزني فإنه إن ذهب فإن الله سيرده إليك وإن الله سيجعله نبيا مرسلًا يعلى كلمته في الدنيا والآخرة فكانت تصنع ما أمرت به فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الجبل عندها فذهب مع النيل فر على دار فرعون (فالتقطه آل فرعون) قال الله تعالى (ليكون لهم عدواً وحزناً) قال بعضهم هذه لام العاقبة وهو ظاهر إن كان متعلقاً بقوله فالتقطه * وأما إن جعل متعلقاً بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قيصوا لالتقاطه ليكون لهم عدواً وحزناً صارت اللام مطلة كغيرها والله أعلم * ويقوى هذا التقدير الثاني قوله (إن فرعون وهامان) وهو الوزير السوء (وجنودهما) المتأبين لها (كانوا خاطئين) أي كانوا على خلاف الصواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة .

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطته من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف * وقيل أنها كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى * وقيل بل كانت عمته حكاه السهيلي فأنه أعلم .

وسمى متحجاً والثناء عليها في قصة مريم بنت عمران وأنها يكونان يوم القيامة من أزواج رسول

(١) والذي في تفسير القرطبي عن الثعلبي لوخا بنت هاند بن لاوا بن يعقوب . وفي بعض التفاسير

اسمها (يوجاند) .

صلى (س) في الجنة * فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلأأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فلما رآته ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً جداً * فلما جاء فرعون قال ما هذا وأسر بذبحه فاستوهبته منه ودفعت عنه (وقالت قرة عين لي ولك) فقال لها فرعون أما لك فنعيم وأمالى فلا أى حاجة لي به (والللاء موكل بالمنطق) . وقولها (عسى أن ينقنا) وقد أنلها الله مارجت من النفع أما في الدنيا فهداها الله به وأما في الآخرة فأسكنها جنته بسببه (أو تتخذه ولداً) وذلك أنها تبنياه لأنه لم يكن يولد لها ولد . قال الله تعالى (وهم لا يشعرون) أى لا يدرون ماذا يريد الله بهم أن يقيضهم لالتقاطه من النعمة العظيمة بفرعون وجنوده . (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمانا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي ترضعها ولا تحزن وتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أى من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى إن كادت لتبدي به أى لتظهر أمره وتسال عنه جبهة (لولا أن ربطنا على قلبها) أى صبرناها وثبتناها (لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته وهى ابنتها الكبيرة قصيه أى اتبعى أثره واطلبي له خبره فبصرت به عن جنب * قال مجاهد عن بد * وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريد * ولهذا قال (وهم لا يشعرون) وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن ينفذوه برضاعة فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً فحاروا في أمره واجتهدوا على تفديته بكل ممكن فلم يفعل . كما قال تعالى (وحرمانا عليه المراضع من قبل) فارسلوه مع القوايل والنساء إلى السوق لعل يجدون من يوافق رضاعته فينضمون وقوف به والناس عكوف عليه إذ بصرت به اخته فلم تظهر أنها تعرفه بل قالت (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) * قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لها ما يدريك بنصحهم وشفتهم عليه فقالت رغبة في صهر الملك ورجاء منفعة فاطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم فآخذته أمه فلما أرضعته النعم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى آسية يعلمها بذلك فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها وأن تحسن إليها فأبت عليها وقالت إن لي بملا وأولاداً ولست أقدر على هذا إلا أن ترسله معي فارسلته معها ورتبت لها رواتب وأجرت عليها النفقات والكساوى والهبات فرجعت به تحوزة إلى رحلها وقد جمع الله شمله بشلها . قال الله تعالى (فرددناه إلى أمه كي ترضعها ولا تحزن وتعلم أن وعد الله حق) أى كما وعدناها برده ورسالته فهذا رده وهو دليل على صدق البشارة برسالته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقد امتن الله على موسى بهذا ليلة كفه فقال له فيما قال له (ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ

أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقتذفيه في التابوت فاقتذبه في اليم فليقله اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدوه له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني) اذ قال قتادة وغير واحد من السلف أى تطعم وترفه ويتقذى بالطيب المأكول وتلبس أحسن الملابس بمرأى منى وذلك كله بمحضى وكلائتى لك فيما صنعت بك لك وقدرته من الأمور التى لا يقدر عليها غيرى (إذ تمشى أخذك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرددناك الى أمك كي تفر عينها ولا تحزن نفساً فتجيناك من النعم وفتناك فتوناً) وسنورد حديث القتون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى قضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين) لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده لها وإحسانه بذلك وإمتهانه عليها شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى وهو إحكام الخلق والخلق وهو سن الأربعين في قول الأكرمين آتاه الله حكماً وعلماً وهو النبوة والرسالة التى كان بشرها أمه حين قال (إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر وذهابه الى أرض مدين وإقامته هناك حتى كمل الأجل واقتضى الأمد وكان ما كان من كلام الله له وإكرامه بما أكرمه به كما سيأتى . قال تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة وقاتادة والسدى وذلك نصف النهار * وعن ابن عباس بين المشائين (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتضاربان ويتهاوشان (هذا من شيعته) أى إسرائيلي (وهذا من عدوه) أى قبضى قاله ابن عباس وقاتادة والسدى ومحمد بن اسحاق (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وذلك أن موسى عليه السلام كانت له بديار مصر صولة بسبب نسبته الى تبنى فرعون له وتربيته فى بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهاً وارتفعت رؤسهم بسبب أنهم أرضعوه وهم أخواله أى من الرضاة فلما استغاث ذلك الاسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك القبضى أقبل اليه موسى (فوكزه) * قال مجاهد أى طعنه بجميع كفه * وقال قتادة بمصا كانت معه (قضى عليه) أى فأت منها * وقد كان ذلك القبضى كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكلىة وإنما أزدجره وردعه ومع هذا (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت على) أى من العز والجاه (فلن أكون ظهيراً للمجرمين . فاصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لنوى مبين . فلما أراد ان يبطش بالذى هو عدو لها قال يا موسى .

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين

ينجرب تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً أى من فرعون وملائه أن يعلموا أن هذا القاتل الذى رفع اليه أمره إنما قتله موسى في نصره رجل من بنى إسرائيل فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم (خائفاً يترقب) أى يلتفت فينما هو كذلك إذا ذلك الرجل الاسرائيلي الذى استنصره بالأمس يستصرخه أى يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قاتله فعنه موسى ولما على كثرة شره ومخاصمته قال له إنك لغوى مبين * ثم أراد أن يبطش بذلك القبطى الذى هو عدو لموسى وللإسرائيلى فيردعه عنه ويخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطى (قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين) قال بعضهم إنما قال هذا الكلام الاسرائيلي الذى إطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكأنه لما رأى موسى مقبلاً الى القبطى إعتقد أنه جاء اليه لما عنفه قبل ذلك بقوله إنك لغوى مبين فقال ما قال لموسى وأظهر الأمر الذى كان وقع بالأمس فذهب القبطى فاستعدى موسى الى فرعون . وهذا الذى لم يذكر كثير من الناس سواء . ويحتمل أن قاتل هذا هو القبطى وأنه لما رآه مقبلاً اليه خافه ورأى من سجيته إنتصاراً جيداً للإسرائيلى فقال ما قال من باب الظن والفراصة إن هذا لعله قاتل ذاك القاتل بالأمس أولعله فهم من كلام الاسرائيلي حين أستصرنه عليه مادله على هذا والله أعلم .

والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فارسل في طلبه وسبقهم رجل ناصح عن طريق أقرب (وجاء من أقصى المدينة) ساعياً اليه مشقاً عليه فقال (ياموسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج) أى من هذه البلده (انى لك من الناصحين) أى فيما أقوله لك قال الله تعالى (فخرج منها خائفاً يترقب) أى فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدى الى طريق ولا يعرفه قائلاً (رب نجني من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسق حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لها ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) . ينجرب تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفاً يترقب أى بتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا الى أين يذهب وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها (ولما توجه تلقاء مدين) أى أتجه له طريق يذهب فيه (قال عسى ربى أن يهدينى

سواء السيل). أى عسى أن تكون هذه الطريق موصلة الى المقصود * وكذا وقع أو صلته الى مقصود وأى مقصود (ولما ورد ماء مدين) وكانت بئرا يستقون منها * ومدين هى المدينة التى أهلك الله فيها أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام * وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام فى أحد قولى العلماء * (ولما ورد الماء) المذكور (وجد عليه أمة من الناس يستقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أى تكفكفان غنمهما أن تختلط بغم الناس * وعند أهل الكتاب أنهم كن سبع بنات . وهذا أيضاً من الغلط وكأنه كن سبعا ولكن إنما كان تسقى إثنان منهن . وهذا الجمع ممكن ان كان ذاك محفوظا والا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بنتان (قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) أى لا تقدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء لضعفنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف أيتنا وكبره قال الله تعالى (فسقى لها) .

قال المفسرون وذلك أن الرعاء كانوا اذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة فتجى هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما فى فضل أغنام الناس فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده . ثم استقى لها وسقى غنمهما ثم رد الحجر . كما كان * قال أمير المؤمنين عمر وكان لا يرفعه إلا عشرة وإنما استقى ذنوبا واحدا فكفاهما . ثم تولى الى الظل قالوا وكان ظل شجرة من السم * روى ابن جرير عن ابن مسعود أنه رآها خضراء ترف (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) قال ابن عباس سار من مصر الى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا فسقطت فعلا قدميه من الحفاء وجلس فى الظل وهو صفوة الله من خلقه وان بطنه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل ترى من داخل جوفه وأنه محتاج الى شق ثمرة * قال عطاء بن السائب لما (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) اسمع المرأة (فجاءته احداها تمشي على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين . قالت احداها يا أبت إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الامين . قال إني أريد أن انكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن اتممت عשרا فني عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على الله وعلى ما هول وكيل) لما جلس موسى عليه السلام فى الظل و (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) سمعته المرأتان فيما قيل فذهبتا الى أبيهما فيقال إنه استنكر سرعة رجوعهما فاخبرناه ما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر احداها أن تذهب اليه فتدعوه فجاءته احداها تمشي على استحياء أى مشي الحرار قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا * صرحت له بهذا ثلاثا يوم كلامها ربية . وهذا من تمام حياتها وصيانتها فلما جاءه وقص عليه القصص وأخبره خبره وما كان من أمره فى خروجه من بلاد مصر فرارا من

فرعونها (قال له) ذلك الشيخ (لانتخب نجوت من القوم الظالمين) أى خرجت من سلطاتهم فلست في دولتهم

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو قصيل هو شعيب عليه السلام . وهذا هو المشهور عند كثيرين ومن نص عليه الحسن البصرى ومالك بن أنس . وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده نظر وصرح طائفة بان شعيبا عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته . وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين * وقيل إنه ابن أخى شعيب * وقيل ابن عمه * وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب * وقيل رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب أهل الكتاب يثرون كاهن مدين أى كبيرها وعالمها * قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله اسمه يثرون : زاد أبو عبيدة وهو ابن أخى شعيب . زاد ابن عباس صاحب مدين .

والمقصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجا فعند ذلك قالت إحدى البنين لا بها يا أبت إستأجره أى رعى غنمك ثم مدحته بأنه قوى أمين قال عمرو ابن عباس وشرح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ذلك قال لها أبوها وماءك بهذا فقالت إنه رفع صخرة لا يطبق رفسها إلا عشرة . وأنه لما جئت معه تقدمت امامه فقال كوني من ورأى فإذا اختلف الطريق فاخذ في لى بمحصة أعلم بها كيف الطريق .

قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة * صاحب يوسف حين قال لامرأته أكرمي مثواه * وصاحبة موسى حين قالت يا أبت إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الأمين * وأبو بكر حين أستخلف عمر بن الخطاب (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) استدل بهذا جماعة من أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على صحة ما اذا باعه أحد هذين البدين أو الثوين ونحو ذلك أنه يصح لقوله إحدى ابنتي هاتين * وفي هذا نظر لأن هذه مراوضة لاماقة والله أعلم .

واستدل أصحاب احمد على صحة الايجار بالطعمة والكسوة كما جرت به العادة وأستانسوا بالحديث الذى رواه ابن ماجه فى سننه مترجماً فى كتابه (باب إستيجار الاجير) على طعام بطنه حدثنا محمد ابن الصفى الحصى حدثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن على عن سعيد بن أبى أيوب عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح قال سمعت عتبة بن الدر يقول كنا عند رسول الله (ص) قرأ طس حتى اذا بلغ قصة موسى قال ان موسى عليه السلام آجر نفسه ثمانى سنين أو عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه وهذا من هذا الوجه لا يصح لأن مسلمة بن على الحنفى الدمشقى البلاطى ضعيف عند الأئمة لا يحتج بتفرده ولكن

قد روى من وجه آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثني ابن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن النضر السلمي صاحب رسول الله (ص) يحدث أن رسول الله قال إن موسى عليه السلام آجر نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه * ثم قال تعالى (ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما أقول وكيل) يقول إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت فليهما قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما قلنا سامع ومشاهد ووكيل عليّ وعليك ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكل الأجلين وأتمهما وهو العشر سنين كوامل تامله .

قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير قال سألت يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى فقلت لا أدري حتى أقدم على خبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكلهما وأطيهما إن رسول الله إذا قال فعل . تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه النسائي في حديث الفتون كما سيأتي من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد الطوسي وابن أبي حاتم عن أبيه كلاهما عن الحميدي عن سفيان بن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكلهما * وإبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث . وقد رواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن أعين عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي (ص) فذكره وقد رواه سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مرسل أن رسول الله سأل عن ذلك جبريل فسأل جبريل إسرائيل فسأل إسرائيل الرب عز وجل فقال أبرهما وأوفاهما . وبنحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرح مرسل ورواه ابن جرير من طريق محمد بن كعب أن رسول الله (ص) سأل أي الأجلين قضى موسى قال أوفاهما وأتمهما . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران الجوني وهو ضعيف عن أبيه عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله (ص) سأل أي الأجلين قضى موسى قال أوفاهما وأبرهما قال وإن سئلت أي المرأتين تزوج قتل الصغرى منهما . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح عن عتبة بن النضر أن رسول الله قال إن موسى آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه * فلما وفي الأجل قيل يا رسول الله أي الأجلين قال أبرهما وأوفاهما * فلما أراد فراق شعيب سأل امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ما ولدت من غنمه من قالبون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سودا حسانا فانطلق موسى عليه السلام

الى عصا قسمها من طرفها * ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى عليه السلام بازاء الحوض فلم يصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فاقمت وآثت (١) ووضعت كلها قلوب الوان إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثمول ولا كموش تفوت الكف قال النبي (ص) لو اقتمتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية . قال ابن لهيعة الفشوش واسعة السخب والضبوب طويلة الضرع تجمره والعزوز ضيقة السخب والثمول الصغيرة الضرع كاللحمتين والكموش التي لا يحكم الكف على ضرعها لصغره وفي صحة رفع هذا الحديث نظر * وقد يكون موقوفا كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال لما دعا نبي الله موسى صاحبه الى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فلك ولدها فعمد فوضع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجلت جولة فولدن كاهن بلقاً الاشاة واحدة فذهب باولادهن ذلك العام وهذا إسناد رجاله ثقات والله أعلم .

وقد تقدم عن قل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين فارق خاله لابان أنه أطلق له ما يولد من غنمه بلقا ففعل نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام فأنه أعلم . (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آفس من جانب الطور نارا قال لأهله أمكنوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يعقوب موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين) . تقدم أن موسى قضى أتم الأجلين وأكملها وقد يؤخذ هذا من قوله (فلما قضى موسى الأجل) وعن مجاهد أنه أكمل عشراً وعشراً بعدها . وقوله (وسار بأهله) أى من عند صهره ذاهبا فيما ذكره غير واحد من المفسرين وغيرهم أنه اشتاق الى أهله فقصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مخنف فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه قالوا واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة وناهوا في طريقهم فلم يهتدوا الى السلوك في الدرب المألوف وجعل يورى زلاده فلا يورى شيئا واشتد الظلام والبرد فينبأ هو كذلك اذ أبصر عن بعد نارا تأجج في جانب الطور وهو الجبل الغربى منه عن يمينه فقال لأهله أمكنوا إني آنست نارا وكأنه والله أعلم رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا يصلح رؤيتها لكل أحد (لعل آتيكم منها بخبر) أى لعل أستعلم من عندها عن الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة لقوله في الآية الأخرى (وهل أتاك

(١) هكذا بالنسخة الحلبيية . وفي النسخة المصرية فاغتت وانبتت فليححر

حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيتكم منها بقبس أو أجد على النار هدى (فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق * وجمع السكل في سورة النمل في قوله (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيتكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) . وقد أنام منها بخبر وأى خبر ووجد عندها هدى وأى هدى واقتبس منها نورا وأى نور . قال الله تعالى (فلما أتاه نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين) . وقال فى النمل (فلما جاءه نودى أن يورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) أى سبحان الله الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) وقال فى سورة طه (فلما أتاه نودى ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف لما قصد موسى الى تلك النار التى رآها فأنهى اليها وجدها تأجج فى شجرة خضراء من العوسج وكل ما لتلك النار فى اضطرام وكل ما لخضرة تلك الشجرة فى اذدياد فوقف متعجبا وكانت تلك الشجرة فى لحف جبل غربى منه عن يمينه كما قال تعالى (وما كنت بجانب الغربى اذ قضيتنا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) وكان موسى فى واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناده ربه بلواد المقدس طوى فأمر أولا بخلع عليه تعظيما وتكريما وتوقيرا لتلك البقعة المباركة ولا سيما فى تلك الليلة المباركة .

وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له (إني أنا الله رب العالمين * إني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) أى أنا رب العالمين الذى لا إله الا هو الذى لا تصلح العبادة واقامة الصلاة إلا له . ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة التى لا بد من كونها ووجودها (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى من خير وشر . وحضه وحثه على العمل لها وبجانبه من لا يؤمن بها ممن عصى مولاه واتبع هواه ثم قال له مخاطبا ومؤانسا ومبيناً له أنه القادر على كل شئ الذى يقول للشئ كن فيكون . (وما تلك يمينك ياموسى) أى أما هذه عصاك التى نعرفها منذ صحبتها (قال هى عصاى أنوكؤ عليها وأهش بها على غنى ولى فيها ما رب أخرى) . أى بل هذه عصاى التى أعرفها وأتحققها (قال القها ياموسى فلقاها فإذا هى حية تسمى) . وهذا خارق عظيم وبرهان قطع على أن الذى يكلمه يقول للشئ كن فيكون وأنه الفعال بالاختيار *

وعند أهل الكتاب أنه سأل برهانا على صدقه عند من يكذبه من أهل مصر فقال له الرب

عز وجل ماهذه التي في يدك قال عصاى قال القها الى الارض (فلقاها فاذا هي حية تسعى) فهرب موسى من قدامها فامرہ الرب عز وجل أن يسط يده ويأخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصا في يده وقد قال الله تعالى في الآية الاخرى (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب) أى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصك وهي مع ذلك في سرعة حركة الجان وهو ضرب من الحيات * يقال الجان والجان وهو لطيف ولكن سريع الاضطراب والحركة جدا فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة فلما عاينها موسى عليه السلام (ولى مدبراً) أى هاربا منها لان طبيعته البشرية تقتضى ذلك (ولم يعقب) أى ولم يلتفت (فناداه ربه) قائلا له (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) . فيقال إنه هابها شديدا فوضع يده في كم مدرعته ثم وضع يده في وسط فمها * وعند أهل الكتاب بذنبها فلما استمكن منها اذا هي قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين فسبحان القدير العظيم رب المشرقين والمغربين ثم أمره تعالى بادخال يده في جيبه . ثم أمره بنزعها فاذا هي تتلأأ كالقمر يابضا من غير سوء أى من غير برص ولا بهق . ولهذا قال (اسلك يدك في جيبك تخرج يابضا من غير سوء واضمم اليك جناحك من الهم) قيل معناه اذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك . وهذا وإن كان خاصا به الا أن بركة الايمان به حق بأن ينفع من استعمال ذلك على وجه الاقتداء بالانبياء وقال في سورة النمل (وأدخل يدك في جيبك تخرج يابضا من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين) أى هاتان الآيتان وهما العصا واليد وهما البرهانان المشار اليهما في قوله (فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملأه إنهم كانوا قوماً فاسقين) ومع ذلك سبع آيات أخر فذلك تسع آيات بينات وهي المذكورة في آخر سورة سبحان حيث يقول تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون إني لآظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والأرض بصائر وإني لآظنك يا فرعون مشبورا) وهي المبسوطة في سورة الاعراف في قوله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يبطروا بموسى ومن معه ألا إنما طأرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه وهذه التسع آيات غير العشر الكلمات فان التسع من كلمات الله القدرية والعشر من كلماته الشرعية وانما بينهما على هذا لانه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة فظن أن هذه هي هذه كما قررنا ذلك في تفسير آخر سورة بنى إسرائيل .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون (قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني . وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدقني إني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليك بآياتنا) (أنا ومن اتبعك الغالبون) . يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام في جوابه لربه عز وجل حين أمره بالذهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فراراً من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطي ولهذا (قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني . وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) . أي اجعله معي معينا وردأً ووزيراً يساعدي ويعينني على أداء رسالتك اليهم فإنه أفصح مني لساناً وأبلغ بيانا قال الله تعالى مجيباً له إلى سؤاله (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً) أي برهاناً (فلا يصلون اليك) أي فلا يتناولون منك مكروها بسبب قيامك بآياتنا . وقيل ببركة آياتنا (أنا ومن اتبعك الغالبون) وقال في سورة طه (أذهب إلى فرعون انه طغى . قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يقهوا قولي) قيل إنه أصابه في لسانه لثغة بسبب تلك الجرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله فخافت عليه آسية وقالت إنه طفل فاختبره بوضع ثمرة وجرة بين يديه فهم بأخذ الثمرة فصرف الملك يده إلى الجرة فأخذها فوضعها على لسانه فاصابه لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسأل زوالها بالكلية .

قال الحسن البصري والرسول إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت في لسانه بقية ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم إنه يعيب به الكلام (ولا يكاد يبين) أي يفصح عن مراده ويعبر عما في ضميره وفؤاده * ثم قال موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى أشد به أزدى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) إنك كنت بنا بصيراً . قال قد أوتيت . سؤالك يا موسى) أي قد أجبتك إلى جميع ما سألت وأعطيناك الذي طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفع أن يوحى الله إلى أخيه فأوحى إليه وهذا جاء عظيم قال الله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) وقال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلاً يقول لأنس وهم سائرون طريق الحج (أي أخ آمن على أخيه) فسكت القوم فقالت عائشة لمن حول هودجها هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هرون فأوحى إليه قال الله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) قال تعالى في سورة الشعراء (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون لا يتقون . قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلوني . قال كلا فاذهباً بآياتنا إنا معكم مستمعون . فأتيا فرعون قهولاً إنا رسول رب العالمين أن أرسل

معنا بنى إسرائيل . قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) تقدير الكلام فأتياه فقالا له ذلك وبلغاه ما أرسلابه من دعوته الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأن يفك أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته وتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا ويتفرغون لتوحيده ودعائه والتضرع لديه فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطفى ونظر الى موسى بعين الازدراء والتقص قائلا له (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) أى اما أنت الذى ربيناه فى منزلنا وأحسننا اليه وأنعمنا عليه مدة من الدهر وهذا يدل على أن فرعون الذى بعث اليه هو الذى فر منه خلافا لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذى فر منه مات فى مدة مقامه بمدين وأن الذى بعث اليه فرعون آخر . وقوله (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) أى وقتلت الرجل القبطى وفررت منا وجحدت نعمتنا (قال فعلها اذا وأنا من الضالين) أى قبل أن يوحى الى وينزل على (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكما وجعلنى من المرسلين) ثم قال مجيباً لفرعون عما امتن به من التربية والاحسان اليه وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل أى وهذه النعمة التى ذكرت من أنك أحسنت الى وأنا رجل واحد من بنى إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكاله واستعبدتهم فى أعمالك وخدمك وأشغالك (قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) .

يدكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المفاولة والحاجة والمناظرة وما أقامه الكلم على فرعون اللثيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية . وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى . وزعم أنه الاله (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى * وقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) . وهو فى هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مريبوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الاله الحق كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين) ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الانكار لرسائله والاعظام انه ما ثم رب ارسله (وما رب العالمين) لانهما قالاه (إنا رسول رب العالمين) فكانه يقول لهما ومن رب العالمين الذى ترعنان أنه أرسلكما وابتثكما فاجابه موسى قائلا (رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين) يعنى رب العالمين خالق هذه السموات والارض المشاهدة وما بينهما من الخلوقات المتجددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التى يعلم كل موقن انها لم تحدث بانفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق . وهو الله الذى لا إله إلا هو رب العالمين . (قال) أى فرعون لمن حوله من امرائه ومرأزبه ووزرائه

على سبيل التهمم والتنقص لما قرره موسى عليه السلام ألا تسمعون يعنى كلامه هذا قال موسى مخاطبا له ولهم (ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو الذى خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والاجداد والقرون السالفة فى الآباد فان كل احد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقه رب العالمين . وهذان المقامان هما المذكوران فى قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ومع هذا كله لم يستف فرعون من رقدته ولا تزع عن ضلالتة بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه (قال إن رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) أى هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة . المسير للأفلاك الدائرة . خالق الظلام والضياء . ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضياءه والكل تحت قهره وتسخيريه وتسييره سائرون وفلك يسبحون يتعاقبون فى سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف فى خلقه بما يشاء . فلما قامت الحجج على فرعون واقطعت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد عدل الى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته (قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجلنك من المسجونين . قال أولو جئتكم بشئ مبين . قال فأت به ان كنت من الصادقين) فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) وهذان هما البرهانان اللذان أيد بهما الله بهما وهما العصا واليد . وذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم الذى بهر به العقول والأبصار حين أتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين . أى عظيم الشكل بديع فى الضخامة والهول والمنظر العظيم الفظيع الباهر حتى قيل إن فرعون لما شاهد ذلك وعابنه أخذه رعب شديد وخوف عظيم بحيث أنه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة فى يوم وكان قبل ذلك لا يبرز فى كل أربعين يوما إلا مرة واحدة فانكس عليه الحال * وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده فى جيبه واستخرجها أخرجها وهى كفلقة القمر تتلألأ نورا بهر الأبصار فاذا أعادها إلى جيبه رجعت الى صفتها الاولى ومع هذا كله لم ينتفع فرعون لعنه الله بشئ من ذلك بل استمر على ما هو عليه وأظهر أن هذا كله سحر وأراد معارضته بالسحرة فارسل يجمعهم من سائر مملكته ومن فى رعيته وتحت قهره ودولته كما سيأتى بسطه وبيانه فى موضعه من اظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون وملائه وأهل دولته وملته والله الحمد والمنه . وقال تعالى فى سورة طه (قلبت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى إذ هب أنت وأخوك باأتى ولا تنيا فى ذكرى إذ هبنا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إنما نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنا معك أسمع وأرى) .

يقول تعالى مخاطبا لموسى فيما كله به ليلة أوحى اليه وأنعم بالنبوة عليه وكله منه اليه قد كنت مشاهداً

لك وأنت في دار فرعون وأنت تحت كنفى وحفظى ولطفى ثم أخرجتك من أرض مصر الى أرض
مدين بمشيتى وقدرتى وتديرى فلبث فيها سنين (ثم جئت على قدر) أى منى لذلك فوافق ذلك
تقديرى وتسيرى (واصطنعتك لنفسى) أى اصطفتيك لنفسى برسالتى وبكلامى (اذهب أنت وأخوك
بآياتى ولا تنيا في ذكرى) معنى ولا تقترأ في ذكرى اذ قديمتا عليه ووفدتما اليه فان ذلك عون لكما
على مخاطبته ومجاوبته وإهداء النصيحة اليه وإقامة الحجة عليه . وقد جاء في بعض الأحاديث يقول الله
تعالى (إن عبدى كل عبدى الذى يذكركنى وهو ملاق قرنه) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم
فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا الآية) ثم قال تعالى (اذهبوا الى فرعون إنه طغى قولا له قولا لينا لعله
يتذكر أو يخشى) وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبيره
وهو اذ ذاك أردى خلقه وقد بعث اليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان ومع هذا يقول لها ويأمرها أن
يدعوا اليه بالتي هي أحسن برفق ولين ويعامله معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى كما قال لرسوله « أذع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل
الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم الآية) قال الحسن البصرى (قولا له قولا لينا)
أعذرا اليه قولا له ان لك ربا ولك معاداً وإن بين يديك جنة ونارا . وقال وهب بن منبه قولا له إني
لى العفو والمغفرة أقرب منى الى الغضب والعقوبة . قال يزيد الرقاشى عند هذه الآية يامن يتجيب الى
من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه (قالوا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) وذلك أن فرعون
كان جباراً عنيداً وشيطانا مريداً له سلطان فى بلاد مصر طويل عريض وجاه وجنود وعساكروسطوة
فهاباه من حيث البشرية وخافا أن يسطوا عليهما فى بلادى الأمر فثبتهما تعالى وهو العلى الأعلى فقال
(لا تخافا إني ممكنا اسمع وأرى) كما قال فى الآية الأخرى (إنا معكم مستمعون . فاتياه قولا إنا
رسولا ربك فارسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع
الهدى . إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) يذكر تعالى أنه أمرها أن يذهبوا الى فرعون
فيدعوا الى الله تعالى أن يعبد وحده لا شريك له وأن يرسل معهم بنى إسرائيل ويطلقهم من أسره
وقهره ولا يعذبهم (قد جئناك بآية من ربك) وهو البرهان العظيم فى العصى واليد (والسلام على من
اتبع الهدى) تقييد مفيد بليغ عظيم . ثم تهداه وتوعدها على التكذيب قالوا (إنا قد أوحى الينا أن
العذاب على من كذب وتولى) أى كذب بلحق قلبه وتولى عن العمل بقاله .

وقد ذكر السدى وغيره أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هرون وهما يتعشيان
من طعام فيه الطفشيل وهو اللفت فأكل معهما ثم قال ياهرون إن الله أمرنى وأمرك أن ندعو
فرعون الى عبادته فقم معى فقاما يقصدان بلب فرعون فلذا هو مطلق فقال موسى للبوانيين والحجبة

أعلموه أن رسول الله بالباب فجعلوا يسخرون منه ويستهزئون به .

وقد زعم بعضهم أنه لم يؤذن لها عليه إلا بعد حين طويل . وقال محمد بن اسحق أذن لها بعد سنتين لأنه لم يك أحد يتجاسر على الاستئذان لها فإله أعلم * ويقال إن موسى تقدم الى الباب فطرقة بمصاه فانزعج فرعون وأمر باحضارها فوقفا بين يديه فدعواه الى الله عز وجل كما أمرهم .

وعند أهل الكتاب أن الله قال لموسى عليه السلام إن هرون اللاوى يعنى من نسل لاوى بن يعقوب سيخرج ويتلقاك وأمره أن يأخذ معه مشايخ بنى إسرائيل الى عند فرعون وأمره أن يظهر ما أتاه من الآيات * وقال له سأقضى قلبه فلا يرسل الشعب وأكثر آياتي وأعاجيبى بأرض مصر * وأوحى الله الى هرون أن يخرج الى أخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب فلما تلقاه أخبره موسى بما أمره به ربه * فلما دخلا مصر جمعا شيوخ بنى إسرائيل وذهبا الى فرعون فلما بلغاه رسالة الله قال من هو الله لا أعرفه ولا أرسل بنى إسرائيل . وقال الله مخبراً عن فرعون (قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وادعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

يقول تعالى مخبراً عن فرعون إنه أنكر اثبات الصانع تعالى قائلا (فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى هو الذى خلق الخلق وقدر لهم أعمالا وأرزاقا وآجالا * وكتب ذلك عنده فى كتابه اللوح المحفوظ ثم هدى كل مخلوق الى ما قدره له فطابق عمله فيهم على الوجه الذى قدره وعلمه لكامل علمه وقدرته وقدره وهذه الآية كقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) أى قدر قدرأ وهدى الخلائق اليه (قال فما بال القرون الأولى) يقول فرعون لموسى فاذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادى الخلائق لما قدره وهو بهذه المثابة من انه لا يستحق العبادة سواه فلم عبد الاولون غيره وأشركوا به من الكواكب والانداد ما قد علمت فهلا إهتدى الى ما ذكرته القرون الأولى (قال عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) أى هم وان عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة مثلك كل شئ فعلوه مستطير عليهم فى الزبر من صغير وكبير وسيجزئهم على ذلك ربى عز وجل ولا يظلم أحدا متقال ذرة لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده فى كتاب لا يضل عنه شئ ولا ينسى ربى شيئا . ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء وجعله الأرض مهادا والسماء سقفا محفوظا وتسخير السحاب والأمطار لرزق العباد ودأبهم وأنعامهم كما قال (كلوا وادعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لذوى العقول

الصحيحة المستقيمة والظفر القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرازق . وكما قال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ولما ذكر أحياء الأرض بالمطر واهتزازها باخراج نباتها فيه نبه به على المعاد فقال (منها) أى من الأرض خلقناكم (وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تلوّة أخرى) كما قال تعالى (كما بدأكم تعودون) وقال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ثم قال تعالى (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجبثنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسكر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى . قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى) .

يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله فى تكذيبه بآيات الله واستكباره عن إتباعها وقوله لموسى إن هذا الذى جئت به سحر ونحن نغارضك بمثله ثم طلب من موسى أن يواعده الى وقت معلوم ومكان معلوم وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهره بمحضرة الناس ولهذا قال (موعدكم يوم الزينة) وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم (وأن يحشر الناس ضحى) أى من أول النهار فى وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجلى ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً فى ظلام كيما يروج عليهم محالاً وباطلاً بل طلب أن يكون نهراً جهره لانه على بصيرة من ربه . ويقين أن الله سيظهر كلته ودينه وإن رغمت أنوف القبط . قال الله تعالى (فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا فتروا على الله كذباً فيسحقكم بمذاب وقد خاب من افتري فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا النجوى . قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم أثثوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى) .

يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان يبلده من السحرة وكانت بلاد مصر فى ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء فى قههم غاية فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير فقبل كانوا ثمانين ألفاً قاله محمد بن كعب * وقيل سبعين ألفاً قاله القاسم بن أبى بردة . وقال السدى بضعة وثلاثين ألفاً . وعن أبى أمامة تسعة عشر ألفاً وقال محمد بن اسحاق خمسة عشر ألفاً . وقال كعب الأجبّار كانوا إثني عشر ألفاً * وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس كانوا سبعين رجلاً وروى عنه أيضاً أنهم كانوا أربعين غلاماً من بنى إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا الى العراء فيتعلموا السحر ولهذا قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر وفى هذا نظر .

وحضر فرعون وأمرأؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم . وذلك أن فرعون نادى فيهم أن

يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا وهم يقولون لعلنا تتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وتقدم موسى عليه السلام الى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذى فيه معارضة لآيات الله وحججه فقال (ويلكم لا تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم بذاب وقد خاب من افترى فتنزعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم فقائل يقول هذا كلام نبى وليس بساحر وقائل منهم يقول بل هو ساحر فالله أعلم * وأسروا التناجى بهذا وغيره (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) يقولون إن هذا وأخاه هرون ساحران عليان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم أن يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستأصلاكم عن آخركم ويستأمرا عليكم بهذه الصناعة (فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى) * وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان . وهيهات كذبت والله الظنون واخطأت الآراء . أتى يمارض البهتان . والسحر والهديان . خوارق العادات التى أجزاها الديان . على يدى عبده الكريم المؤيد بالبرهان الذى يهر الا بصار وتحار فيه العقول والأذهان وقولهم (فاجمعوا كيدكم) أى جميع ما عندهم (ثم اتوا صفاً) أى جملة واحدة ثم حضوا بعضهم بعضا على التقدم فى هذا المقام لان فرعون كان قد وعدهم ومناهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل اتقوا فإذا جبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألقى ما فى يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) .

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهرون عليهما السلام تجاههم قالوا له إما أن تلقى قبلنا وإما أن نلقى قبلك (قال بل اتقوا) أنتم وكانوا قد عمدوا الى جبال وعصى فاودعوها الزئبق وغيره من الآلات التى تضطرب بسببها تلك الجبال والعصى اضطرابا يخيل للرأى أنها تسعى باختيارها * وإنما تتحرك بسبب ذلك . فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم وألقوا جبالهم وعصيهم وهم يقولون بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون . قال الله تعالى (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) . وقال تعالى (فإذا جبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقى ما فى يده فانه لا يضع شيئا قبل أن يؤمر فأوحى الله اليه فى الساعة الراهنة (لا تخف إنك أنت الأعلى وألقى ما فى يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال ماجئهم به السحران الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) . وقال تعالى (فألقى) موسى (عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون *)

فطلبوا هنالك واهلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون .
 وذلك أن موسى عليه السلام لما القاهما صارت حية عظيمة ذات قوائم (فما ذكره غير واحد من علماء
 السلف) وعنق عظيم وشكل هائل مزعج بحيث أن الناس انحازوا منها وهربوا سراعا وتأخروا عن
 مكائنها وأقبلت هي على مآلقوه من الجبال والمصى فجعلت تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من
 الحركة والناس ينظرون إليها ويتمجبون منها . وأما السحرة فاتهم رأوا ما لهم وحيرهم في أمرهم
 واطلعوا على أمر لم يكن في خلد ولا بالهم ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم . فعند ذلك وهنالك تحققوا
 بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعبذة ولا محلل ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال بل
 حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وأثارها بما
 خلق فيها من الهدى وازاح عنها القسوة وانابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين وقالوا جبهة للحاضرين ولم
 يخشوا عقوبة ولا بلوى (آمنّا برب موسى وهرون) كما قال تعالى (فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب
 هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل وتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى . قالوا لتؤثرن على ما جاءنا من
 البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
 أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى .
 ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها وذلك جزاء من تركوا)

قال سعيد بن جبيرة وعكرمة والقاسم بن أبي بردة والاوزاعي وغيرهم لما سجد السحرة رأوا منازلهم
 وقصورهم في الجنة تهيأ لهم وتزخرف لقدومهم ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده
 وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلخوا وأشبهوا ذكروا موسى وهرون في الناس على هذه
 الصفة الجميلة أفزعه ذلك ورأى أمرا بهره وأعمى بصيرته وبصره وكان فيه كيد ومكر وخداع وصنعة
 بليغة في الصد عن سبيل الله قال مخاطبا للسحرة بمحضرة الناس (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي هلا
 شاورتموني فيما صنعت من الأمر الفظيع بمحضرة رعيي ثم تهدد وتوعد وبارق واعد وكذب فابعد قاتلا
 (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقال في الآية الأخرى (إن هذا لمر مكرمه في المدينة
 لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) . وهذا الذي قاله من البهتان يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر
 والكذب والهديان بل لا يروج مثله على الصبيان فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن
 موسى لم يره هؤلاء يوما من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر* ثم هو لم يجمعهم ولا علم
 باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عميق وواد سحيق ومن حواضر بلاد

مصر والاطراف ومن المدن والأرياف . قال الله تعالى في سورة الأعراف (ثم بشنا من بعدهم موسى
 بآياتنا الى فرعون وملائته فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين . وقال موسى يا فرعون إني رسول من
 رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بنى إسرائيل
 قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين فأتني . عصاه فاذا هي ثعبان مبين . وترع يده
 فاذا هي بيضاء للناظرين . قال الملاء من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم
 فاذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المداائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة
 فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إما أن تلقى
 وإما أن نكون نحن الملقين . قال اتقوا فلما أتقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم
 وأوحينا الى موسى أن التقي عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقه الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا
 هنالك واهلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون قال فرعون
 أنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لا قطعن
 أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين . قالوا إنا الى ربنا منقلبون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات
 ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وقال تعالى في سورة يونس (ثم بشنا من بعدهم
 موسى وهرون الى فرعون وملائته بآياتنا فاستكبروا وكاثوا قوما مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا
 قالوا إن هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون . قالوا
 أجمعتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين . وقال
 فرعون إئتوني بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى
 ما جئتم به السحر إن الله سيظهر إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون)
 وقال تعالى في سورة الشعراء (قال لئن اتخذت إلها غيري لأجلنك من المسجونين . قال أولو جئتكم
 بشئ مبين . قال فات به إن كنت من الصادقين . فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين . وترع يده فاذا
 هي بيضاء للناظرين قال للملاء حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا
 تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأبث في المداائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم . فجمع السحرة لميقات
 يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا تتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . فلما جاء السحرة
 قالوا لفرعون إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى
 ألقوا ما أنتم ملقون . فآلقوا جبالهم وحصبهم وقالوا بركة فرعون إنا لنحن الغالبون . فأتني موسى عصاه
 فاذا هي تلقف ما يأفكون . فأتني السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون * قال أنتم
 له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون . لا تعذبن أيديكم وأرجلكم من

خلاف ولا صلبنكم أجمعين . قالوا لاضير إنا الى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) .

والمقصود أن فرعون كذب وافترى وكفر غاية الكفر في قوله إنه لكبيركم الذى علمكم السحر وأتى بهتان يعلمه العالمون بل العالمون في قوله (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) وقوله (لا قطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعنى يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه (ولا صلبنكم أجمعين) أى ليجعلهم مثله ونكالا لئلا يقتدى بهم أحد من رعيته وأهل ملته ولهذا قال (ولا صلبنكم في جذوع النخل) أى على جذوع النخل لأنها أعلى وأشهر (ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى) يعنى في الدنيا (قالوا لن نؤترك على ما جاءنا من البينات) أى لن نطيعك ونترك ما وقر في قلوبنا من البينات والدلائل القاطعات (والذى فطرنا) قيل معطوف . وقيل قسم (فاقض ما أنت قاض) أى فافعل ما قدرت عليه (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى إنما حكمك علينا في هذه الحياة الدنيا فإذا أتتقلنا منها الى الدار الآخرة صرنا الى حكم الذى أسلمنا له واتبعنا رسله (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) أى وثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب والترغيب وأبقى أى وأدوم من هذه الدار الفانية وفي الآية الأخرى (قالوا لاضير إنا الى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أى ما اجترمناه من المآثم والمحارم أن كنا أول المؤمنين) أى من القبط بموسى وهرون عليهما السلام * وقالوا له أيضاً (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) أى ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أى ثبتنا على ما أبتلينا به من عقوبة هذا الجبار العنيد والسلطان الشديد بل الشيطان المريد (وتوفنا مسدين) وقالوا أيضاً يظفونه ويخوفونه بأس ربه العظيم (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) يقولون له فإياك أن تكون منهم فكان منهم (ومن يأتهم مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أى المنازل العالية (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) فاحرص أن تكون منهم فخاليت بينه وبين ذلك الأقدار التى لا تقالب ولا تمنع وحكم العلى العظيم بأن فرعون لعنه الله من أهل الجحيم لياشر العذاب الأليم يصب من فوق رأسه الحميم * ويقال له على وجه التقريع والتوبيخ وهو المقبوح المنبوذ والذميمة (ذق إنك أنت العزيز الكريم) والظاهر من هذه السياقات أن فرعون لعنه الله صلبهم وعذبهم رضى الله عنهم . قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير كانوا من أول النهار سحرة فصاروا من آخره شهداء برة * ويؤيد هذا قولهم (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسدين .)

قصة نوح

ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو القلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل وأسلم
 السحرة الذين استنصروا ربهم لم يزدهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا وبعدًا عن الحق . قال الله تعالى بعد قصص
 ما تقدم في سورة الأعراف . (وقال الملأ من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض
 ويذكرك وآهلك . قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا
 بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أؤذينا من قبل أن
 تأتينا ومن بعد ما جئتنا . قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون)
 يخبر تعالى عن الملأ من قوم فرعون وهم الأمراء والكبراء أنهم حرضوا لمكهم فرعون على
 أذية نبي الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذى قالوا (أنذر
 موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذكرك وآهلك) يعنون قبحهم الله أن يدعوته إلى عبادة الله وحده
 لا شريك له والتيه عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط لعنهم الله . وقرأ بعضهم (ويذكرك
 وآهلك) أى وعبادتكم ويحتمل شيئين أحدهما ويذكر دينك وتقوية القراءة الأخرى . الثانى ويذكر أن
 يبعدك فإنه كان يزعم أنه إله لعنه الله (قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) أى لثلاثا يكثر مقاتلتهم (وإنا
 فوقهم قاهرون) أى غالبون (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من
 يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أى إذا هموا هم بأذيتكم والفتك بكم فاستعينوا أنتم بربكم واصبروا
 على بليتكم (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أى فكونوا أنتم المتقين لتكون
 لكم العاقبة كما قال في الآية الأخرى (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم
 مسلمين . فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)
 وقولهم (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) أى قد كانت الأبناء تقتل قبل مجيئك وبعد
 مجيئك البنا (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) وقال الله
 تعالى في سورة حم المؤمن (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا
 ساحر كذاب) وكان فرعون الملك وهامان الوزير . وكان قارون إسرائيليا من قوم موسى إلا أنه كان
 على دين فرعون وملائته وكان ذامال جزيل جدا كما ستأتى قصته فيما بعد إن شاء الله تعالى . (فلما
 جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في
 ضلال) وهذا القتل للعدان من بعد بثة موسى إنما كان على وجه الإهانة والاذلال والتقليل للملأ بنى
 إسرائيل لثلاثا يكون لهم شوكة يمتنعون بها ويصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يحذرون فلم

سلط

مر نوح
 مر موسى
 دعاوا
 إلى

سلط

بنفعهم ذلك ولم يرد عنهم قدر الذي يقول للشئ كن فيكون (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه
إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) . ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم
(صار فرعون مذكرا) وهذا منه فان فرعون في زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام .
(وقال موسى إني عنت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أي عنت بالله ولجأت إليه
بجنايه من أن يسطو فرعون وغيره على بسوء وقوله (من كل متكبر) أي جبار عنيد لا يرعوى ولا
يتهمى ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يعتقد مماداً ولا جزاء . ولهذا قال (من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب) . وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا
قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وهذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان
يكتم إيمانه من قومه خوفا منهم على نفسه * وزعم بعض الناس أنه كان اسراييليا وهو بعيد ومخالف لسياق
الكلام لفظا ومعنى والله أعلم * .

قال ابن جريج قال ابن عباس لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة
وامرأة فرعون . رواه ابن أبي حاتم * قال الدارقطني لا يعرف من اسمه شتمان بالشين المحبة إلا مؤمن
آل فرعون * حكاه السهيلي * وفي تلخيص الطبراني أن اسمه خير فأنه أعلم . والمقصود أن هذا الرجل
كان يكتم إيمانه فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك وشاور ملاء فيه خاف
هذا المؤمن على موسى فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب فقال على وجه
المشورة والرأى وقد ثبت في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر . وهذا من أعلى مراتب هذا المقام فان فرعون لأشد جوراً منه وهذا الكلام لا أعدل منه لأن
فيه عصاة نبي * ويحتمل أنه كاشرهم باظهار إيمانه وصرح لهم بما كان يكتمه والأول أظهر والله أعلم
قال (أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) أي من أجل أنه قال ربي الله فقتل هذا لا يقابل بهذا بل بالأكرام
والاحترام والمواذعة وترك الانتقام يعني لأنه (قد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بالخوارق التي دلت
على صدقه فيما جاء به عن أرسله فهذا إن وادعتموه كنتم في سلامة لأنه (إن يك كاذبا فعليه كذبه)
ولا يضركم ذلك (وإن يك صادقا) وقد تعرضتم له (يصبكم بعض الذي يعدكم) أي وأنتم تشفقون أن
ينالكم أيسر جزاء مما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم .

وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحتراز والعقل التام . وقوله (يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فانه ما تعرض الدول للدين

الا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزمهم وكذا وقع لآل فرعون مازالوا في شك وريب ومخالفة ومغايرة لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأُملاك والدور والقصور والنعمة والحبور ثم حولوا الى البحر مهانين وقتلت أرواحهم بعدالعلو والرفعة الى أسفل السافلين . ولهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق البار الراشد التابع للحق الناصح لقومه الكامل العقل (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أى عالين على الناس حاكمين عليهم (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من المدد والمدة والقوة والشدة لما فغتنا ذلك ولارد عنا بأس ملك الممالك . (قال فرعون) أى فى جواب هذا كله (ما أرىكم إلا ما أرى) أى ما أقول لكم إلا ما عندى (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) وكذب فى كل من هذين القولين وهاتين المقدمتين فانه قد كان يتحقق فى باطنه وفى نفسه أن هذا الذى جاء به موسى من عند الله لا محالة وإنما كان يظهر خلافه بغياً وعدواناً وعتواً وكفراً قال الله تعالى اخباراً عن موسى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر وإني لا أظنك يا فرعون مثبوراً فأراد أن يستغفرهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعاً . وقتلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جثتنا بكم لفيقاً) وقال تعالى (فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وأما قوله (وما أهدىكم الا سبيل الرشاد) . فقد كذب أيضاً فانه لم يكن على رشاد من الأمر بل كان على سفه وضلال وخبل وخيال فكان أولاً ممن يعبد الاصنام والامثال . ثم دعا قومه الجبهة الضلال الى أن اتبعوه وطاعوه وصدقوه فيما زعم من الكفر المحال فى دعواه أنه رب تعالى الله ذو الجلال . قال الله تعالى (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر . وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تتصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا ألتى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فالستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) وقال تعالى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسمي فخر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار وبئس الورد المورد . وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرشد المرفود) .

والمقصود بيان كذبه فى قوله (ما أرىكم الا ما أرى) وفى قوله (وما أهدىكم الا سبيل الرشاد) وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من

الله من عاصم ومن يضل الله فخاله من هاد. ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتب. الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبير مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) يحذرهم ولي الله إن كذبوا برسول الله موسى أن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم من النعمات والمثالات مما تواتر عندهم وعند غيرهم ما حل بقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم الى زمانهم ذلك مما أقام به الحجج على أهل الارض قاطبة في صدق ما جاءت به الانبياء لما انزل من النعمة بمكذبيهم من الاعداء وما أنجى الله من اتبعهم من الاولياء وخوفهم يوم القيامة وهو يوم التناد أي حين ينادى الناس بعضهم بعضاً حين يولون ان قدروا على ذلك ولا الى ذلك سبيل (يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر) وقال تعالى (بامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان. فأى آلاء ربكم تكذبان يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فأى آلاء ربكم تكذبان) وقرأ بعضهم (يوم التناد) بتشديد الدال أي يوم الفرار ويحتمل أن يكون يوم القيامة ويحتمل ان يكون يوم يحل الله بهم البأس فيودون الفرار ولات حين مناص (فما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون) لا تركضوا وارجعوا الى ما اترقم فيه ومسا كنكم لعلكم تسألون) ثم أخبرهم عن نبوة يوسف في بلاد مصر ما كان منه من الاحسان الى الخلق في دنياهم وأخراهم وهذا من سلالته وذريته ويدعو الناس الى توحيد الله وعبادته وأن لا يشركوا به أحدا من بريته وأخبر عن أهل الديار المصرية في ذلك الزمان أي من سجيتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ولهذا قال (فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي وكذبتم في هذا ولهذا قال (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتب. الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم) أي يريدون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيده بلا حجة ولا دليل عندهم من الله فان هذا أمر يقته الله غاية المقت أي يفيض من تلبس به من الناس ومن اتصف به من الخلق (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرئ بالإضافة وبالتعت وكلاهما متلازم أي هكذا اذا خالفت القلوب الحق ولا تخالفه الا بلا برهان فان الله يطبع عليها أي يختم عليها. (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذب) وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (كذب فرعون موسى عليه السلام في دعواه أن الله أرسله وزعم فرعون لقومه ما كذبه واقتراه في قوله لهم (ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني أطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذب) وقال ههنا (لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات) أي طرقها ومسالكها (فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذب) ويحتمل هذا معنيين أحدهما وإني لأظنه

كاذبا في قوله إن للعالم رباً غيري والثاني في دعواه أن الله أرسله . والاول أشبه بظاهر حال فرعون فانه كان ينكر ظاهر اثبات الصانع والثاني أقرب الى اللفظ حيث قال (فاطلع الى إله موسى) أى فأسأله هل أرسله أم لا (وإني لأظنه كاذبا) أى في دعواه ذلك . وإنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام وان يحثهم على تكذيبه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) وقرئ (وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب) قال ابن عباس ومجاهد يقول الا في خسر أى باطل لا يحصل له شيء من مقصوده الذي رامه فانه لا سبيل للبشر أن يتوصلوا بقوام الى نيل السماء أبداً أعنى السماء الدنيا فكيف بما بعدها من السموات العلى وما فوق ذلك من الارتفاع الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل . وذكر غير واحد من المفسرين أن هذا الصرح وهو القصر الذي بناه وزيره هامان له لم يربناه أعلى منه وان كان مبنيًا من الآجر المشوى بالنار ولهذا قال (فلو قد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا) .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل كانوا يسجرون في ضرب اللبن وكان مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون اليه فيه بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبنه وماءه ويطلب منهم كل يوم قسط معين إن لم يفعلوه والا ضربوا وأهينوا غاية الاهانة وأوذوا غاية الأذية . ولهذا قالوا لموسى (أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبط وكذلك وقع وهذا من دلائل النبوة * ولترجع الى نصيحة المؤمن وموعظته واحتجاجه قال الله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدعوهم رضي الله عنه الى طريق الرشاد والحق وهي متابعة نبي الله موسى وتصديقه فيما جاء به من ربه ثم زهدم في الدنيا الدنية الفانية المنقضية لاحالة ورجبهم في طلب الثواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل لديه . التقدير الذي ملكوت كل شيء بيديه الذي يعطى على القليل كثيرا ومن عدله لا يجازى على السيئة الا مثله . وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار التي من وافاها مؤمنا قد عمل الصالحات فلهم الجنات العاليات والغرف الآمات والخيرات الكثيرة الفاتحات والارزاق الدائمة التي لا تنبذ . والخير الذي كل ما لهم منه في مزيد .

ثم شرع في إبطال مام عليه وتخويفهم مما يصيرون اليه فقال (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب

النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد . ففواه الله سيئات ما مكروا وحق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) كان يدعوهم الى عبادة رب السموات والأرض الذى يقول للشئ كن فيكون وهم يدعونه الى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون ولهذا قال لهم على سبيل الإنكار (ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الأنداد والأوثان وأنها لا تملك من نفع ولا اضرار فقال (لا جرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) أى لا تملك تصرفا ولا حكما فى هذه الدار فكيف تملكه يوم القرار * وأما الله عز وجل فاته الخالق الرازق للابرار والفجار وهو الذى أحيا العباد ويميتهم ويدخل طائفتهم الجنة وعاصيهم الى النار .

ثم توعدهم إن هم استمروا على العناد بقوله (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد) قال الله (ففواه الله سيئات ما مكروا) أى بانكاره سلم مما أصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكرم فى صدم عن سبيل الله مما أظهروا للعامة من الخيالات والمخالات التى ألبسوا بها على عوامهم وطفاهم ولهذا قال (وحق) أى أحاط (بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) أى تعرض ارواحهم فى برزخهم صباحا ومساء على النار (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقد تكلمنا على دلالة هذه الآية على عذاب القبر فى التفسير والله الخد والمقصود أن الله تعالى لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم وارسال الرسول اليهم وإزاحة الشبه عنهم وأخذ الحجة عليهم منهم فبالترهيب قلة والترغيب أخرى كما قال تعالى . (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقصص من الثمرات لعلمهم يذكرون . فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) .

ينخبه تعالى أنه ابتلى آل فرعون وهم قومه من القبط بالسنين وهى أعوام الجلب التى لا يستغل فيها زرع ولا يتنفع بضرع وقوله (وقصص من الثمرات) وهى قلة الثمار من الأشجار (لعلمهم يذكرون) أى فلم ينتفعوا ولم يرعوا بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم (فاذا جاءتهم الحسنة) والخصب ونحوه (قالوا لنا هذه) أى هذا الذى نستحقه وهذا الذى يليق بنا (وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) أى يقولون هذا بشؤمهم أصابنا هذا ولا يقولون فى الأول أنه بركتهم وحسن مجاورتهم ولكن

قلوبهم منكراً مستكبرة نافرة عن الحق إذا جاء الشر أسندوه إليه وإن رأوا خيراً ادعوه لأنفسهم . قال الله تعالى (ألا إنما طأرهم عند الله) أى الله يجزيهم على هذا أوفر الجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أى مهما جئتنا به من الآيات وهى الخوارق للمعادات فلسنا نؤمن بك ولا تتبعك ولا نطيعك ولو جئتنا بكل آية . وهكذا أخبر الله عنهم فى قوله (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) أما الطوفان فعن ابن عباس هو كثرة الأمطار المتلفة للزروع والثمار . وبه قال سعيد بن جبيرة وقتادة والسدى والضحاك * وعن ابن عباس وعطاء هو كثرة الموت * وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال * وعن ابن عباس أمرطاف بهم * وقد روى بن جرير وابن مردويه عن طريق يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن مينا عن عائشة عن النبي (ص) : الطوفان الموت وهو غريب * وأما الجراد فعرف * وقد روى أبو داود عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال سئل رسول الله عن الجراد فقال أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه وترك النبي (ص) أكله إنما هو على وجه التقدير كما ترك أكل الضب وتنزه عن أكل البصل والثوم والكراث لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله (ص) سبع غزوات فأكل الجراد . وقد تكلمنا على ماورد فيه من الأحاديث والآثار فى التفسير . والمقصود أنه استاق خضراءهم فلم يترك لهم زرعاً ولا ثماراً ولا سبداً ولا لبداً . وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذى يخرج من الحطنة وعنه أنه الجراد الصغار الذى لا أجنحة له . وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة . وقال سعيد بن جبيرة والحسن هو دواب سود صفار * وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هى البراغيث * وحكى ابن جرير عن أهل العربية أنها الحنثان وهو صفار القردان (فرق القمامة) فدخل معهم البيوت والفرش فلم يقر لهم قرار ولم يمكنهم معه الغمض ولا العيش . وفسره عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف وقرأها الحسن البصرى كذلك بالتخفيف . وأما الضفادع فعروقة لبستهم حتى كانت تسقط فى أطعمتهم وأوانهم حتى إن أحدهم إذا فتح فيه لطماء أو شراب سقطت فى فيه ضفدعة من تلك الضفادع . وأما الدم فكان قد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئاً إلا وجدوه دماً عبيطاً ولا من نهر ولا بحر ولا شئ إلا كان دماً فى الساعة الزاهية . هذا كله لم ينل بنى إسرائيل من ذلك شئ بالكيفية . وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجة القاطعة أن هذا كله يحصل لهم من فعل موسى عليه السلام فينالهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لاحد من بنى إسرائيل وفى هذا أدل دليل . قال محمد بن اسحق فرجم عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مغلولاً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتلذذ فى الشر

تتابع الله عليه بالآيات فأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركد . لا يقدرّون على أن يخرجوا ولا أن يعموا شيئاً حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك (قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لننكشف عن الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل) فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلما لم يفوا له بشئ فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغنى حتى أن كان لياً كل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لى أن موسى عليه السلام أمر أن يمشى إلى كتيب حتى يضربه بعصاه فمشى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فأتال عليهم ففلا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلما لم يفوا له بشئ مما قالوا أرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلم يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلب عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر يغترفون من إناء إلا عاد دماً عبيطاً وقال زيد بن أسلم المراد بالدم الرعاف رواه ابن أبي حاتم . قال الله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لننكشف عن الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون . فاتقنا منهم فآفرقناهم في اليوم بأنهم كذبروا بآياتنا وكانوا عنها غافلين]

ينحبر تعالى عن كفرهم وعتوهم واستمرارهم على الضلال والجهل والاستكبار عن إتباع آيات الله وتصديق رسوله مع ما أيده من الآيات العظيمة الباهرة والحجج البليغة القاهرة التي أراهم الله إياها عياناً وجعلها عليهم دليلاً وبرهاناً وكلما شاهدوا آية وعابئوها وجهدهم وأضنكهم حلفوا وعاهدوا موسى لننكشف عنهم هذه ليؤمنن به وليرسان معه من هو من حربه فكلمهم ففعلت عنهم تلك الآية عادوا إلى شر مما كانوا عليه وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا إليه فيرسل الله عليهم آية أخرى هي أشد مما كانت قبلها وأقوى فيقولون فيكذبون . ويدعون ولا يفون لننكشف عن الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فيكشف عنهم ذلك العذاب الويل . ثم يعودون إلى جهلهم العريض الطويل هذا والمظلم الخليم القدير ينظرهم ولا يعجل عليهم ويؤخرهم ويقدم بالوعيد اليهم ثم أخذهم بعد إقامة الحجة عليهم والانداز اليهم أخذ عزيز مقتدر فجعلهم عبرة ونكلاً وسلفاً لمن أشبههم من الكافرين ومثلاً لمن اتعظ بهم من عباده المؤمنين كما قال تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين في سورة حم والكتاب المبين (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه فقال إني رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا إذا

هم منها يضحكون . وماتريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون . فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون . ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فحملناهم سلفاً ومثلاً للآخرين .

يذكر تعالى لإرساله عبده الكليم الكريم الى فرعون الخسيس اللئيم وأنه تعالى أيد رسوله بآيات بينات وانحطت تستحق أن تقابل بالتعظيم والتصديق وأن يرتدعوا عمام فيه من الكفر ويرجعوا الى الحق والصراط المستقيم فاذا هم منها يضحكون وبها يستهزئون وعن سبيل الله يصدون وعن الحق يصدون فارسل الله عليهم الآيات ترى يتبع بعضها بعضا وكل آية أكبر من التي تتلوها لأن التوكيد أبلغ مما قبله (وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) لم يكن لفظ الساحر في زمنهم قصا ولا عيبا لأن علماءهم في ذلك الوقت هم السحرة ولهذا خاطبوه به في حال احتياجهم اليه وضراعتهم لديه قال الله تعالى . (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) ثم أخبر تعالى عن تبجح فرعون بملكه وعظمة بلده وحسنها وتخرق الأنهار فيها * وهى الخلدجانات التى يكسرونها أمام زيادة النيل ثم تبجح بنفسه وحليته وأخذ يتنقص رسول الله موسى عليه السلام ويزدرجه بكونه (لا يكاد يبين) يعنى كلامه بسبب ما كان فى لسانه من بقية تلك اللثة التى هى شرف له وكال وجمال ولم تكن مافعة له أن كله الله تعالى وأوحى اليه وأنزل بعد ذلك التوراة عليه وتنقصه فرعون لعنه الله بكونه لأساور فى بدنه ولازينة عليه وانما ذلك من حلية النساء لا يليق بشهامة الرجال فكيف بالرسول الذين هم أكمل عقلا وأتم معرفة وأعلى همة وأزهد فى الدنيا وأعلم بما أعد الله لأوليائه فى الآخرة وقوله (أو جاء معه الملائكة مقترنين) لايحتاج الأمر الى ذلك إن كان المراد أن تعظمه الملائكة فالملائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير كما جاء فى الحديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الكليم عليه الصلاة والتسليم والتسليم * وان كان المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيد من المعجزات بما يدل قطعا لذوى الألباب ولمن قصد الى الحق والصواب ويعمى عما جاء به من البينات والحجج الواضحات من فطر الى القشور وترك لب اللباب وطبع على قلبه رب الأرباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتباب كما هو حال فرعون القبطى العمى الكذاب قال الله تعالى (فاستخف قومه فطاعوه) أى استخف خفوا لهم ودرجهم من حال الى حال الى أن صدقوه فى دعواه الربوبية لعنه الله وقبحهم (إنهم كانوا قوما فاسقين

فلما آسفونا (أي أغضبونا) انتقمنا منهم) أى بالفرق واللاهانة وسلب العز وانتبدل بالذل وبالغذاب بعد النعمة والهوان بعد الرفاهية والنار بعد طيب العيش عياداً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك (فجعلناهم سلفاً) أى لمن اتبعهم فى الصفات (ومثلاً) أى لمن اتعظ بهم وخاف من وييل مصرهم ممن بلغه جنسية خبرهم وما كان من أمرهم كما قال الله تعالى . (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مقترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين . وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون يا هامان ابن لى صر حالى أطلع الى الله موسى وانى لاظنه من السكاذيين واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم اليينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين) يخبر تعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل ووافقوه عليه واطاعوه فيه اشتد غضب الرب القدير العزيز الذى لا ينال ولا يمانع عليهم فاتقم منهم أشد الاتقام واغرقه هو وجنوده فى صبيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد ولم يبق منهم ديار بل كل قد غرق فدخل النار وأتبعوا فى هذه الدار لعنة بين العالمين ويوم القيمة بئس الرشد المرفود ويوم القيمة هم من المقبوحين .

هذه كفرة فرعون وجنوده

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوم وعنادهم متابعة لملكهم فرعون ومخالفة لنبى الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وأرام من خوارق العادات ما بهر الابصار وحير العقول وهم مع ذلك لا يرجعون ولا يتوبون ولا ينزعون ولا يرجون ولم يؤمن منهم إلا القليل . قيل ثلاثة وهم إسراء فرعون ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل فرعون الذى تقدم حكاية موعظته ومشورته وحجته عليهم والرجل الناصح الذى جاء يسى من أقصى المدينة فقال يا موسى إن الملا يأتون بك ليقتلوك فالخرج إلى لك من الناصحين قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم عنه ومراده غير السحرة فاتهم كانوا من القبط * وقيل بل آمن طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بنى إسرائيل . ويدل على هذا قوله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه أن يشتمهم وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين) فالضمير فى قوله (إلا ذرية من قومه) عائد على فرعون لان السياق يدل عليه . وقيل على موسى لقربه والأول أظهر كما هو مقرر فى التفسير وإيمانهم كان خفية لخباياهم من فرعون وسطوته

وجبروته وسلطته ومن ملائمتهم أن ينموا عليهم اليه فيفتنهم عن دينهم قال الله تعالى مخبرا عن فرعون
وكفى بالله شهيداً (وإن فرعون لعال في الأرض) أي جبار عنيد مستعل بغير الحق (وإنه لمن المسرفين)
أي في جميع أموره وشئون وأحواله ولكنه جرثومة قد حان إنجافها وثمره خيشة قد آن قطافها
ومهجة ملمونة قد حتم اتلافها. وعند ذلك قال موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم
مسلمين. فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)
يأمرهم بالتوكل على الله والاستعانة به والالتجاء إليه فأنموا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجاً
ومخرجاً. (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتركم قبلة وأقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين) أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذوا لقومهما بيوتاً
متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة في الرحيل إذا أمروا به ليعرف بعضهم بيوت
بعض وقوله (واجعلوا بيوتركم قبلة) قيل مساجد وقيل معناه كثرة الصلاة فيها قاله مجاهد وإبومالك
وأبراهيم النخعي والريعي والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وغيرهم. ومعناه على هذا الاستعانة
على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة كما قال تعالى (واستمعوا بالصبر والصلاة) وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى. وقيل معناه أنهم لم يكونوا حينئذ يقدرون على إظهار
عبادتهم في مجتمعاتهم ومعابدهم فأمروا أن يصلوا في بيوتهم عوضاً عما فاتهم من إظهار شعار الدين الحق
في ذلك الزمان الذي اقتضى حالهم إخفاء خوفاً من فرعون وملائته. والمعنى الأول أقوى لقوله (وبشر
المؤمنين) وإن كان لا ينافي الثاني أيضاً والله أعلم. وقال سعيد بن جبير (واجعلوا بيوتركم قبلة) أي متقابلة
وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
(اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم). قال قد أجيبت دعوتكما
فاستقيا ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) هذه دعوة عظيمة دعابها كليم الله موسى على عدو الله فرعون
غضباً لله عليه لتكبره عن اتباع الحق وصدده عن سبيل الله ومعاندته وعتوه وتمردده واستمراره على
الباطل ومكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي والبرهان القطعي فقال (ربنا إنك آتيت فرعون
وملائه) معنى قومه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه (زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك) أي وهذا يفتنه من يعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شيء لكون هذه الأموال وهذه
الزينة من اللباس والمراكب الحسنة الهنية والدور الأنيقة والقصور المبنية والمأكلة الشهية والمناظر البهية
والملك العزيز والتمكين والجاه العريض في الدنيا لا الدين (ربنا اطمس على أموالهم) قال ابن عباس
ومجاهد أي أهلكها وقال أبو العالية والريعي بن أنس والضحاك اجعلها حجارة متقوشة كهيفة ما كانت
وقال قتادة بلغنا أن زروعهم صارت حجارة. وقال محمد بن كعب جل سكرهم حجارة وقال أيضاً صارت

الدين

الصلاة
والعبادة إلى الله
والشرب منه

عاد موسى
عليهم

أموالهم كلها حجارة . ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز لفلان له قم ايتني بكيس فجاه بكيس فاذا فيه حمص ويض قد حول حجارة * رواه ابن أبي حاتم . وقوله (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال ابن عباس أى اطبع عليها وهذه دعوة غضب الله تعالى ولدينه ولبراهيمه فاستجاب الله تعالى لها وحقها وتقبلها كما استجاب لنوح في قومه حيث قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال تعالى مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون وملائته وأمن أخوه هارون على دعائه قتل ذلك منزلة الداعي أيضاً) قال قد أجبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب استأذن بنو اسرائيل فرعون في الخروج إلى غيبدهم فاذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له وإنما كان في نفس الامر مكيدة فرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم وامرهم الله تعالى فيما ذكره أهل الكتاب أن يستعيروا حلياً منهم فاعاروهم شيئاً كثيراً فخرجوا بلبيل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم وشرع في استحثاث جيشه وجمع جنوده ليحرقهم ويمحقهم قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون. فارسل فرعون في المدائن حاشرين. إن هؤلاء لشرذمة قليلون. وإنهم لنا لغاظون وإنا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعبود وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثنا ما بنى اسرائيل فاتبعهم مشرقين. فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا إن معي ربي سيهدين. فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. وأزلفنا ثم الآخرين. وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الآخرين. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك هو العزيز الرحيم) قال علماء التفسير لما ركب فرعون في جنوده طالبا بني اسرائيل يقفوا أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل كان في خيوله مائة ألف فخل آدم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وسبعمائة ألف فالتهم أعلم . وقيل إن بني اسرائيل كانوا نحواً من سبعمائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها صحبة أبيهم اسرائيل أربع مائة سنة وستة عشر سنة شمسية .

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فادركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعابن كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والحاماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون إنا لمدركون وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه. وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والرجال عن يسرهم وعن أيمانهم وهي شاهقة منيفة وفرعون قد غالفهم وواجههم وعابنوه في جنوده وجيوشه وعدده وعدده وهم مسته في غاية

محمل
القصة
من سورة
الشعراء

الخوف والذعر لما قاسوا في سلطانه من الالهانة والمنكر فشكروا الى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعاینوه فقال لهم الرسول الصادق المصدوق (كلا إن معي ربي سيهدين) وكان في الساقية فتقدم الى المدينة ونظر الى البحر وهو يتلاطم بامواجه ويتزايد زبد اجاجه وهو يقول ههنا أمرت ومعه أخوه هرون ويوشع بن نون وهو يومئذ من سادات بنى إسرائيل وعلمائهم وعبادهم الكبار وقد أوحى الله اليه وجعله نبيا بعد موسى وهرون عليهما السلام كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله * ومعهم أيضا مؤمن آل فرعون وهم وقوف وبنو إسرائيل بكاملهم عليهم عكوف * ويقال إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مرارا في البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ويقول موسى عليه السلام يا بني الله أهنا أمرت. فيقول نعم. فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتد الأمر واقترب فرعون وجنوده في جدم وحدهم وحديدتهم وغضبهم وحنقهم وزاغت الأبصار. وبلغت القلوب الحناجر فعند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير رب العرش الكريم الى موسى الكليم (أن اضرب بعصاك البحر) فلما ضربه يقال إنه قال له افلق باذن الله ويقال إنه كناه بابي خلد فله أعلم (قال الله تعالى فلوحيانا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فافلق فكان كل فرق كالطود العظيم) ويقال إنه افلق اثنتي عشرة طريقا لكل سبط طريق يسرون فيه) حتى قيل إنه صار أيضا شبائيك ليرى بعضهم بعضا وفي هذا نظر لأن الماء جرم شفاف اذا كان من ورائه ضياء حله . وهكذا كان ماء البحر قائما مثل الجبال مكفوفاً بالقدرة العظيمة الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون وأمر الله ريح الدبور فلقحت حال البحر فاذهبت حتى صار يابساً لا يعلق في سنايك الخيول والدواب . قال الله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى . فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى) والمقصود أنه لما آل أمر البحر الى هذه الحال باذن الرب العظيم الشديد الحال أمر موسى عليه السلام أن يجوزه بيني إسرائيل فأنحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبشرين وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ويهدي قلوب المؤمنين فلما جاوزوه وجاوزوه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون اليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول اليه. ولا سبيل عليه فامر القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق في المتال (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله إني لكم رسول أمين. وإن لاتعلموا على الله إني آتيكم بسلطان مبين. واني عدت بربي وربكم أن ترجحون. وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون . فدعاه ربه أن هؤلاء قوم مجرمون. فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مفرقون . كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. ولقد

وكره

نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهيّن . من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) قوله تعالى (وأترك البحر دهاً) أى ساكناً على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة . قاله عبدالله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقتادة وكعب الاحبار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم * فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون فرأى مارأى وعان ملأ عينه هاله هذا المنظر العظيم وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك من أن هذا من فعل رب العرش الكريم فاحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم لكنه أظهر لجنوده تجلداً وعاملهم معاملة العدا وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى باطله تابوه أنظروا كيف انحسر البحر لى لأدرك عبيدى الآبقيين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدى وجعل يورى في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيمات ويقدم تارة ويحجم تارات . فذكروا أن جبريل عليه السلام تبدي في صورة فارس راكب على رمكة حائل فر بين يدي نخل فرعون لعنه الله فخمم اليها وأقبل عليها وأسرع جبريل بين يديه فاقحم البحر واستبق الجواد وقد أجاد فبادر مسرعاً هذا وفرعون لا يملك من نفسه ضراً ولا نفعاً فلما رآه الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين فخصلوا في البحر أجمعين أكتمين أبصمين حتى هم أولهم بالخروج منه فشد ذلك أمر الله تعالى كليمه فيما أوحاه اليه أن يضرب البحر بعصاه فضربه فارتد عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان قال الله تعالى (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم) أى في انجائه أوليائه فلم يفرق منهم أحد واغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة وقال تعالى (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بنياء وعدواً حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وأن كثيراً من الناس عن آياتنا لنافلون) يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى وبنو اسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسم ليكون أقر لآعين بنى اسرائيل وأشفى لنفوسهم فلما عان فرعون الملكة وأحيط به وبأشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وهكذا دعا

←
الاستغفار من
السيئات
الباهرة
قدرة وإعجاز
مسلطاً بـ

موسى على فرعون وملائه أن يطمس على أموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم) أى حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال تعالى لهما أى لموسى وهرون حين دعوا
بهذا (قد أجيبت دعوتكما) فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كليهما وأخيه هرون عليهما السلام. ومن
ذلك الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) لما قال فرعون (آمنت أنه لا إله إلا الذى
آمنت به بنو إسرائيل) قال لى جبريل لو رأيته وقد أخذت من حال البحر فدسسته فى فيه مخافة
أن تناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم عند هذه الآية من حديث حماد بن سلمة
وقال الترمذى حديث حسن. وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن عدى بن ثابت وعطاء بن
السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) قال لى جبريل لو رأيته وأنا آخذ
من حال البحر فادسه فى فم فرعون مخافة أن يناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير من حديث شعبة
وقال الترمذى حسن غريب صحيح وأشار ابن جرير فى رواية الى وقفه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفى عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال لما أغرق الله فرعون أشار باصبعه ورفع صوته (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو
إسرائيل) قال لخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحال بمخاضه فيضرب به وجهه
فيرمسه * ورواه ابن جرير من حديث أبي خالد به. وقد رواه ابن جرير من طريق كثير بن زاذان
وليس بمعروف وعن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال لى جبريل يا محمد لو
رأيتنى وأنا أغطه وأدس من الحال فى فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له. يعنى فرعون. وقد أرسله
غير واحد من السلف كإبراهيم التيمي وقتادة وميمون بن مهران ويقال إن الضحاك بن قيس خطب
به الناس. وفى بعض الروايات إن جبريل قال ما بغضت احدا بغضى لفرعون حين قال أبارككم الاعلى
وقد جعلت أدس فى فيه الطين حين قال ما قال. وقوله تعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين) إستفهام إنكار ونص على عدم قبوله تعالى منه ذلك لأنه والله أعلم لو رد الى الدنيا لما كان
لعاد الى ما كان عليه كما أخبر تعالى عن الكفار اذا عاينوا النار وشاهدوها أنهم يقولون (يا ليتنا نرد
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) قال الله (بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله (فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية)
قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بنى إسرائيل فى موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت فامر
الله البحر فرفهه على مرتفع. قيل على وجه الماء وقيل على نجوة من الارض وعليه درعه التى يعرفونها
من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ويعلموا قدرة الله عليه. ولهذا قال (فاليوم ننجيك بيدك) أى

مصاحباً درعك المعروفة بك (لتكون) أى أنت آية (لمن خلقك) أى من بنى إسرائيل دليلاً على قدرة الله الذى أهلكه . ولهذا قرأ بعض السلف لتكون لمن خلقك آية (١) . ويحتمل أن يكون المراد نتيجك مصاحباً لتكون درعك علامة لمن وراءك من بنى إسرائيل على معرفتك وإنك هلكت والله أعلم . وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء . كما قال الامام البخارى فى صحيحه حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم أحق بموسى منهم فصوموا) . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم

أمر بنى إسرائيل بعرضك فرعون

قال الله تعالى (فأنتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أنبيسكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين . واذ أنجيناهم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده فى غرقهم وكيف سلبهم عزمهم ومالهم وأنفسهم وأورث بنى إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم كما قال (كذلك وأوردنا بنى إسرائيل) وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقال ههنا (وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) أى أهلك ذلك جميعه وسلبهم عزمهم العزيز العريض فى الدنيا وهلك الملك وحاشيته وأمرأؤه وجنوده ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والراعى . فذكر ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر أنه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب أن نساء الامراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة فكانت هن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر الى يومك هذا .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل لما أسروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم وأمرُوا أن يذبح كل أهل بيت حملاً من الغنم فإن كانوا لا يحتاجون الى حمل فليشترك الجار وجاره فيه

(١) باللقاف أى ولتكون لخالقك آية كسائر آياته .

فاذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على اعتاب أبوابهم ليسكون علامة لهم على أيوسهم ولا يأكلونه مطبوخا
 ولكن مشويا برأسه وأكارعه وبطنه ولا يبقوا منه شيئا ولا يكثرؤا له عظام ولا يخرجوا منه شيئا إلى
 خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيرا سبعة أيام ابتداءها من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم
 وكان ذلك في فصل الربيع فاذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصبتهم في
 أيديهم وليأكلوا بسرعة قياما. ومهما فضل عن عشايتهم فما بقي إلى الغد فليحرقوه بالنار وشرع لهم
 هذا عيدا لاعتابهم مادامت التوراة معمولا بها فاذا نسخت بطل شرعها وقد وقع. قالوا وقتل الله عز
 وجل في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم ليشغلوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين اتصف النهار
 وأهل مصر في مناحة عظيمة على أبكار أولادهم وأبكار أموالهم ليس من بيت الاوفيه عويل. وحين
 جاء الوحي إلى موسى خرجوا مسرعين فحملوا العجين قبل اختاره وحلوا الأزواد في الأردية والقوها
 على عواتقهم * وكانوا قد استعاروا من أهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى
 الذراري بما معهم من الانعام وكانت مدة مقامهم بمصر أربعائة سنة وثلاثين سنة. هذا نص كتابهم.
 وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد عيد الفسخ. ولهم عيد الفطير وعيد الحمل وهو أول السنة *
 وهذه الاعياد الثلاثة آكد أعيادهم منصوص عليها في كتابهم. ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت
 يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف. وكانوا في النهار يسرون والسحاب بين أيديهم
 يسير أمامهم فيه عامود نور وبالليل أمامهم عامود نار فاتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فزلوا هنالك
 وادركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على شاطئ اليم قلق كثير من بني إسرائيل
 حتى قال قائلهم كان بقاؤنا بمصر احب لنا من الموت بهذه البرية. وقال موسى عليه السلام لمن قال
 هذه المقالة لا تخشوا فان فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلادهم بعد هذا. قالوا وأمر الله موسى عليه السلام
 أن يضرب البحر بمصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس. وصار الماء من ههنا وههنا
 كالجليل وصار وسطه ييسا لان الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر واتبعهم
 فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بمصاه فرجع الماء كما كان عليهم. لكن
 عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلظهم وعدم
 فهمهم في تعريبهم والله أعلم. قالوا ولما أغرق الله فرعون وجنوده حينئذ سبح موسى وبنو إسرائيل
 بهذا التسبيح للرب وقالوا (نسبح الرب البهي الذي قهر الجنود ونبد فرسانها في البحر المنيع المحمود) وهو
 تسبيح طويل. قالوا وأخذت مريم النبية أخت هارون دفا يدها وخرج النساء في أثرها كلهن بدفوف
 وطبول وجلت مريم ترتل لمن وتقول سبحان الرب القهار الذي قهر الخيول وركبائها إلقاء في البحر
 هكذا رأيت في كتابهم. ولعل هذا هو من الذي حمل محمد بن كعب القرظي على زعمه أن مريم بنت

عمران أم عيسى هي أخت هرون وموسى مع قوله يا أخت هرون * وقد بينا غلطه في ذلك وإن هذا لا يمكن أن يقال ولم يتابعه أحد عليه بل كل واحد خالفه فيه ولو قدر أن هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى وهرون عليها السلام وأم عيسى عليها السلام واهتمتا في الأسم واسم الأب واسم الأخ لأنهم كما قال رسول الله (ص) للغيرة بن شعبة لما سأله أهل نجران عن قوله يا أخت هرون فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال أما علمت أنهم كانوا يسمون باسماء أنبيائهم وهواه مسلم . وقولهم النبوة كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الإمرة أميرة وإن لم تكن مباشرة شيئاً من ذلك فكذا هذه استمارة لها لا أنها نبوة حقيقة يوحى إليها وضربها بالدف في مثل هذا اليوم الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف في العيد * وهذا مشروع لنا أيضاً في حق النساء لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة يضربان بالدف في أيام منى ورسول الله (ص) مضطجع مولى ظهره إليهم ووجهه إلى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال ابمزموه الشيطان في بيت رسول الله (ص) فقال دعهن يا أبا بكر فإن لكل قوم عييداً وهذا عيدنا . وهكذا يشرع عندنا في الأعراس ولقدوم الغياب كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وذكرنا أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فشكروا من تسكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقاً اجاباً لم يستطيعوا شربه فامر الله موسى فأخذ خشبة فوضعا فيه غللاً وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسنن وصايا كثيرة . وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز المهيمن على ما عده من الكتب (وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى أجل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . قالوا هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به رسول ذي الجلال والاكرام وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناماً قيل كانت على صور البقر فكانهم سألهم لم يعبدونها فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضرورات فكان بعض الجهال منهم صدقهم في ذلك فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبيتاً لهم أنهم لا يعقلون ولا يهتدون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . ثم ذكروهم نعمة الله عليهم في تفضيله إياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به إليهم وما امتن به عليهم من أنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إياه وهم ينتظرون وتوريثه إياه ما كان فرعون وملاؤه يجمعونه من الأموال والسعادة وما كانوا يمشون وبينهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له لأنه الخالق الرازق القهار وليس كل بني إسرائيل سأل هذا السؤال بل هذا الضمير عائذ على الجنس في قوله (وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون

على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة (أى قال بعضهم كما فى قوله) وحشرناهم فلم نفاد
منهم أحدًا وعرضوا على ربك صفًا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً)
فالذين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري
عن سنان بن أبى سنان الدبلى عن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله (ص) قبل حنين فمررنا بسدرة
قلتنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة
ويعكفون حولها فقال النبي الله (ص) الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم
آلهة انكم تركبون سنن الذين من قبلكم . ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . ورواه
الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان بن عيينة عن الزهري به . ثم قال حسن صحيح . وقد
روى ابن جرير من حديث محمد بن اسحق ومعمر وعقيل عن الزهري عن سنان بن أبى سنان عن أبى
واقد الليثى أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله (ص) الى خيبر قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها
ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فررنا بسدرة خضراء عظيمة قال قلنا يا رسول الله
اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال قلم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل
لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . والمقصود
أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قومًا من الجبارين
من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فامرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم
واجلائهم اياهم عن بيت المقدس فان الله كتبهم لهم ووعدهم اياه على لسان ابراهيم الخليل او موسى
الكليم الجليل فابوا ونكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف والقاهم فى التيه يسرون ويحلون
ويرتحلون ويذهبون ويحيثون فى مدة من السنين طويلة هى من العدد اربعون كما قال الله تعالى (واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا
من العالمين . يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تردوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين
قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فادخلون قال رجلان
من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن
كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبدًا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال
رب إني لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة
يتيمون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين) . يذكرهم نبي الله نعمة الله عليهم احسانه عليهم بالنعم
الدينية والدنيوية ويأمرهم بالجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا تردوا على أديباركم) أى تنكصوا على أعقابكم وتنكلوا على قتال اعدائكم

(فتقبلوا خاسرين) أى فتخسروا بعد الربح وتقصوا بعد الكمال (قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين) أى عتاة كفره متبردين (وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا فانا داخلون) خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عابوا هلاك فرعون وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جماعاً وأعظم جنداً وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة ومذمومون على هذه الحالة من الذلة عن مصالاة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء .

وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا آثراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالا هائلة ضخاما جداً حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفهم في أكلمه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجلبهم ففترهم بين يدي ملك الجبارين فقال ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيان وخرافات لا حقيقة لها وأن الملك بث معهم عنبة تكفي الرجل وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالمهم وهذا ليس بصحيح . وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع هكذا ذكره البغوي وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله (ص) (إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن قالوا فعمد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق . ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع ويده عصاه وطولها عشرة أذرع فوصل إلى كعب قدمه فقتله . يروى هذا عن عوف البكالي وقوله ابن جرير عن ابن عباس وفي إسناده إليه نظر* ثم هو مع هذا كاه من الأسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل فإن الأخبار الكذبة قد كثرت عندهم ولا يميز لهم بين صحتها وباطلها . ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالأقدام ونهياهم عن الاحجام* ويقال إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد (قال رجلان من الذين يخافون) أى يخافون الله وقرأ بعضهم يخافون أى يهابون (أقسم الله عليهما) أى بالاسلام والايمان والطاعة والشجاعة (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون) وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (أى إذا توكلتم على الله واستعنتم به ولجأتم إليه نصركم على عدوك وأيدكم عليهم وأظفركم بهم . (قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فصمم ملاؤم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير . فيقال إن يوشع وكالب لما سمعا هذا

الكلام شقائيهما وإن موسى وهرون سجدا إعظاما لهذا الكلام وغضباً لله عز وجل وشفقة عليهم من وييل هذه المقالة (قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) قال ابن عباس (اقض بيني وبينهم) . (قال فاتها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسرون الى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً ويقال إنه لم يخرج احد من التيه من دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة ولم يبق إلا ذراريهم سوى يوشع وكالب عليهما السلام . لكن أصحاب محمد (ص) يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى بل لما استشارهم في الذهاب الى النضير تكلم الصديق فالحسن وغيره من المهاجرين ثم جعل يقول أشيروا علي حتى قال سعد بن معاذ كأنك تعرض بنا يارسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلتقي بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله (ص) بقول سعد وبسطه ذلك . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن مخرق ابن عبد الله الاحمسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله (ص) يوم بدر يارسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا نلعمكم مقاتلون * وهذا إسناد جيد من هذا الوجه وله طرق أخرى . قال أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن مخرق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله بن مسعود لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب الى مما عدل به أتى رسول الله (ص) وهو يدعو على المشركين قال والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكننا قاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول الله (ص) يشرق لذلك وسر بذلك رواه البخاري في التفسير والمغازي من طرق عن مخرق به . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسن بن علي حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله (ص) لما سار الى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ثم استشارهم فقالت الانصار يا معشر الانصار إياكم يريد رسول الله (ص) قالوا اذا لا نقول له (كما قال بنو إسرائيل لموسى) اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (والذي بعثك بالحق إن ضربت أكبادها الى برك الغماد لا تبغناك رواه الامام أحمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن أنس به ورواه النسائي عن محمد بن المثني عن خالد بن الحارث عن حميد عن أنس به نحوه وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن عبد الاعلى بن حماد عن متمر عن حميد عن أنس به نحوه *

وقول نبى الله صلى الله عليه وسلم وعافيه من الله عز وجل

قد ذكرنا نكول بنى اسرائيل عن قتال الجبارين وأن الله تعالى عاقبهم بالتية وحكم بأنهم لا يخرجون منه الى أربعين سنة ولم ار فى كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين ولكن فيها أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وأن موسى وهرون وخور جلسوا على رأس أكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفعها امصر يوشع عليهم وكلما مالت يده بها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك وجعل هرون وخور يدعان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم الى غروب الشمس فانتصر حزب يوشع عليه السلام وعندما أن يثرون كهن مدين وختن موسى عليه السلام بلغه ما كان من أمر موسى وكيف أظفروه الله ببدوه فرعون قدام على موسى مسلما ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها منه جرشون وعازر فلقاه موسى وأكرمه واجتمع به شيوخ بنى اسرائيل وعظموه وأجلوه . وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بنى اسرائيل على موسى فى الخصومات التى تقع بينهم فاشار على موسى أن يجعل على الناس رجالا أمناء أقياء أعفاء يفضون الرشاء والخيانة فيجعلهم على الناس رؤس ألوف ورؤس مئين ورؤس خمسين ورؤس عشرة فيقضوا . بين الناس فاذا أشكل عليهم أمر جازوك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم ففعل ذلك موسى عليه السلام . قالوا ودخل بنو اسرائيل البرية عند سيناء فى الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم فى أول السنة التى شرعت لهم وهى أول فصل الربيع فكانهم دخلوا التية فى أول فصل الصيف والله اعلم . قالوا ونزل بنو اسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بنى اسرائيل ما أفعم الله به عليهم من انجائه إياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحى نسر من يده وقبضته وأمره أن يأمر بنى اسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدوا الى اليوم الثالث فاذا كان فى اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقترب أحد منهم اليه فمن دأمنه قتل حتى ولا شئ من البهائم ماداموا يسمعون صوت القرن فاذا سكن القرن فقد حل لكم أن ترقوه فسمع بنو اسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيّبوا فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شديد جداً ففرج بنو اسرائيل من ذلك فرعا شديداً وخرجوا قداموا فى سفح الجبل وغشى الجبل دخان عظيم فى وسطه عود نورد وتزلزل الجبل كله زلزلة شديدة واستمر صوت الصور وهو البوق واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويناجيه وأمر الرب عز وجل موسى أن ينزل فأمر بنى اسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصية الله ويأمر الاحبار وهم علمائهم أن يدنو فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب وهذا نص فى كتابهم على وقوع

النسخ لا محالة قال موسى يارب إنهم لا يستطيعون أن يصمدوه وقد نهيتهم عن ذلك فأمره الله تعالى أن يذهب فيأتي معه باخيه هرون وليكن الكهنة وهم العلماء والشعب وهم بقية بني إسرائيل غير بعبد ففعل موسى وكله ربه عز وجل فأمره حينئذ بالعشر كلمات .

وعندهم أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى بلغنا أنت عن الرب عز وجل فانا نخاف أن نموت فبلغهم عنه فقال هذه العشر الكلمات وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والنهي عن الحلف بالله كاذباً . والأمر بالمحافظة على السبت . ومعناه تفرغ يوم من الاسبوع للعبادة * وهذا حاصل يوم الجمعة الذي نسخ الله به السبت . أكرم أباك وأمالك ليطول عمرك في الأرض الذي يعطيك الله ربك . لا تقتل . لا تزني . لا تسرق . لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تتمد عينك الى بيت صاحبك . ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من الذي لصاحبك . ومعناه النهي عن الحسد . وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الانعام (قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تفلحون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه الآية) وذكروا بعد العشر الكلمات وصايا كثيرة وأحكاماً متفرقة عزيزة كانت فزالت وعلمت بها حيناً من الدهر * ثم طرأ عليها عصيان من المكافين بها ثم عدوا اليها فبدلوها وحرفوها وأولوها . ثم بعد ذلك كله سلبوها فصارت منسوخة مبدلة بد ما كانت مشروعة مكملة فله الأمر من قبل ومن بعد وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الإله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين . وقد قال الله تعالى (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى . وإني لغفار لمن ظلم وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) يذكر تعالى منته وإحسانه الى بني إسرائيل بما أتجأهم من أعدائهم وخلصهم من الضيق والخرج وأنه وعدم صحة نبيهم الى جانب الطور الايمن أي منهم لينزل عليه أحكاماً عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضرورتهم في سفرهم في الأرض التي ليس فيها زرع ولا ضرع مناً من السماء يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى مثله من القند ومن ادخر منه لا أكثر من ذلك فسد . ومن أخذ منه قليلاً كفاه أو كثيراً لم يفضل عنه فيصنعون منه مثل الخبز وهو

فى غاية البياض والحلاوة فاذا كان من آخر النهار غشيهم طير السلوى فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون
 اليه حسب كفايتهم لعشام* واذا كان فصل الصيف ظل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذى يستر عنهم
 حر الشمس ويخففها الباهر . كما قال تعالى فى سورة البقرة (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى اُنعمت
 عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدى وياى فارهبون . وآمنوا بما اُنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا اول
 كافر به ولا تشتروا بايآتى ثمننا قليلاً وياى فائقون) الى ان قال (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
 سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم . واذ فرقنا بكم البحر
 فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون . واذا وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده
 وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون . واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
 تهتدون . واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم
 ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم . واذا قلمت يا موسى لن تؤمن لك حتى
 نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظللنا عليكم
 الغمام واُنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)
 الى ان قال (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم
 كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تمثوا فى الارض مفسدين . واذا قلمت يا موسى لن
 نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
 قال اُستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرأ فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة
 والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما
 عصوا وكانوا يعتدون) فذكر تعالى انعامه عليهم وإحسانه اليهم بما يسر لهم من المن والسلوى طعامين
 شهيين بلا كلفة ولا سعى لهم فيه بل ينزل الله المن باكر ا ويرسل عليهم طير السلوى عشيأ وأنبع الماء لهم
 بضرب موسى عليه السلام حجراً كانوا يحملونه معهم بالعصا فتفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين
 منه تنبجس* ثم تفجر ماء زلالا فيستقون ويسقون دولبهم ويدخرون كفايتهم . وظلل عليهم الغمام من
 الحر* وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فارعوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها وحق
 عبادتها ثم ضجر كثير منها وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوا منها بيدلها مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها
 وفومها وعدسها وبصلها . قرعهم الكليم ووبخهم وأنهم على هذه المقالة وعنفهم قاتلاً (اُستبدلون
 الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرأ فان لكم ما سألتم) أى هذا الذى تطلبونه وتريدونه بدل
 هذه النعم التى أنتم فيها حاصل لأهل الأمصار الصغار والكبار موجود بها واذا هبطتم اليها أى وزلتم
 عن هذه المرتبة التى لا تصلحون لمنصبها فجدوا بها ما تشتهون وما ترومون مما ذكرتم من المآكل الدنية

والاغذية الرديئة ولكنى لست أجيبكم الى سؤال ذلك ههنا ولا أبلغكم ما تمنتم به من المنى وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على أنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه كما قال تعالى (ولا تظنوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحل عليه غضبي فقد هوى) أى فقد هلك وحق له والله الهلاك والدمار وقد حل عليه غضب الملك الجبار ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد بالرجاء لمن أناب وتاب ولم يستمر على متابعة الشيطان المريد فقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)

سورة الروية

قال تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين . قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوها بحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الفساد لا يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون) . قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة بكمالها واثمت أربعين ليلة بمشردى الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر وفي مثله أكل الله عز وجل لحمد (ص) دينه وأقام حجته وبراهينه . والمقصود أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صائما يقال إنه لم يستطع الطعام فلما كمل الشهر أخذ لحا شجرة فضغه لطيب ريح فيه فامر الله أن يمسك عشرا أخرى فصارت أربعين ليلة . ولهذا ثبت فى الحديث أن خلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بنى اسرائيل أخاه هرون المحب المبجل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره فى الدعوة الى مصطفىه فوصاه وأمره وليس فى هذا لعل منزلته فى نبوته منافاة قال الله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى فى الوقت الذى أمر بالمحجى فيه (وكلمه ربه) أى كلمه الله من وراء حجاب الا أنه أسمعه الخطاب فناداه ونجاه وقربه وأدناه وهذا مقام رفيع وممقل منيع ومنصب شريف ومنزل منيف فصولات الله عليه تترى وسلامه عليه فى الدنيا والآخرة * ولما أعطى هذه المنزلة

العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب سأل رفع الحجاب فقال للعظيم اننى لا تدركه الابصار القوى البرهان (ربى ارنى انظر اليك قال لن ترانى) . ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لان الجبل الذى هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الانسان لا يثبت عند التجلى من الرحمان ولهذا قال (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى)

وفى الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال له يا موسى إنه لا يرانى حتى إلامات ولا يابس إلا تدهده وفى الصحيحين عن أبى موسى عن رسول الله (ص) انه قال حجاب النور . وفى رواية النار لو كشفه لاحت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه . وقال ابن عباس فى قوله تعالى (لا تدركه الابصار) ذاك نوره الذى هو نوره اذا تجلى لشيء لا يقوم له شيء ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) . قال مجاهد (ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا * وقد ذكرنا فى التفسير ما رواه الامام احمد والترمذى وصححه ابن جرير والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت . زاد ابن جرير وليث عن أنس أن رسول الله (ص) قرأ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا باصبعه ووضع النبى (ص) الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل لفظ ابن جرير . وقال السدى عن عكرمة وعن ابن عباس ما تجلى يعنى من العظمة الا قدر الخنصر فجعل الجبل دكا قال ترابا (وخر موسى صعقا) أى منشيا عليه وقال قتادة ميتا . والصحيح الأول لقوله (فلما أفاق) فان الافاقة انما تكون عن غشى قال (سبحانك) تنزيه وتعظيم واجلال أن يراه بعظمته أحد (تبت اليك) أى فلست أسأل بعد هذا الرؤية (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك حتى إلامات ولا يابس إلا تدهده . وقد ثبت فى الصحيحين من طريق عمرو بن يحيى بن عمار بن ابى حسن المازنى الأنصارى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص) (لا تخيرونى من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلى أو جوزى بصعقة الطور) لفظ البخارى وفى أوله قصة اليهودى الذى لطم وجهه الانصارى حين قال لا والذى اصطفى موسى على البشر فقال رسول الله (ص) لا تخيرونى من بين الانبياء) . وفى الصحيحين من طريق الزهري عن أبى سلمة وعبد الرحمن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه (لا تخيرونى على موسى) وذكر تمامه . وهذا من باب الهضم والتواضع أو نهى عن التفضيل بين الانبياء على وجه الغضب والعصية أو ليس هذا إليكم بل الله هو الذى رفع بعضهم فوق بعض درجات وليس ينال هذا بمجرد الرأى بل بالتوقيف . ومن قال ان هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل ثم نسخ باطلاعه على افضليته

عليهم كلهم ففي قوله نظر لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة الاعام حنين متأخرا فيبعد أنه لم يعلم بهذا الابد هذا والله أعلم ولا شك أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر بل الخليفة . قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وما كلوا الا بشرف نبهم وثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) ثم ذكر اختصاصه بالمقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرين الذي تحيد عنه الانبياء والمرسلون حتى أولو العزم الا كلون نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . وقوله (س) : (فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش) أى أخذاً بها (فلا أدري أفلق قبلى أم جوزى بصعقة الطور) دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للخلائق فى عرصات القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده فيصعقون من شدة الهيبة والعظمة والجلال فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الانبياء ومصطفى رب الأرض والسماء على سائر الانبياء فيجد موسى باطشا بقائمة العرش قال الصادق المصدوق (لا أدري أصعق فافلق قبلى) أى كانت صعقته خفيفة لأنه قد ناله بهذا السبب فى الدنيا صعق أو جوزى بصعقة الطور يعنى فلم يصعق بالكيفية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحثية . ولا يلزم تفضيله بها مطلقا من كل وجه * ولهذا نبه رسول الله (س) على شرفه وفضيلته بهذه الصفة لان المسلم لما ضرب وجه اليهودى حين قال (لا والذى اصطفى موسى على البشر) قد يحصل فى نفوس المشاهدين لذلك هضم بجانب موسى عليه السلام فبين النبي (س) فضيلته وشرفه . وقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) أى فى ذلك الزمان لاما قبله لأن ابراهيم الخليل أفضل منه كما تقدم بيان ذلك فى قصة ابراهيم ولا ما بعده لأن محمداً (س) أفضل منهما كما ظهر شرفه ليلة الاسراء على جميع المرسلين والانبياء وكما ثبت أنه قال (سأقوم مقامى يرغب الى الخلق حتى ابراهيم) وقوله تعالى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (أى فخذ ما أعطيتك من الرسالة والكلام ولا تسأل زيادة عليه وكن من الشاكرين على ذلك . قال الله تعالى (وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ) وكانت الألواح من جوهر نفيس فى الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواعظ عن الآثم وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام (فخذها بقوة) أى بمزم ونية صادقة قوية (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى يضعوها على أحسن وجوها وأجل محاملها (ساريكم دار الفاسقين) أى ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتى المخالفين لا مرمى المكذبين لرسلى . (سأصرف عن آياتى) عن فهمها وتدبرها وتعقل معناها الذى أريد منها ودل عليه مقتضاها (الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى ولو شاهدوا مما شاهدوا من الخوارق والمعجزات لا يتقادوا لاتباعها (وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا) أى لا يسلكوه ولا يتبعوه (وإن يروا سبيل الفى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أى صرفناهم

عن ذلك لتكذبهم بآياتنا وتغافلهم عنها واعراضهم عن التصديق بها والتفكير في معناها وترك العمل بمقتضاها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يميزون إلا ما كانوا يعملون) .

قصة عبادهم العجل في غيبة موسى

قال الله تعالى (وانخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجع ربنا ويفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بشما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم والقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين . إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسخها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم قدفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعا * ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى . قال ياهرون مامنك إذ رأيتم ضلوا أن لا تتبعن أفصيت أمرى قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن نخلفه وانظر الى آلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفن في اليم نسفاً إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً) يذكر تعالى ما كان من أمر بنى اسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام الى ميقات ربه فكث على الطور يتاجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن اشياء كثيرة وهو تعالى يجيبه عنها فبعد رجل منهم يقال له هرون السامري فاخذ ما كان استعاره من الخلى فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما القاها فيه خارقاً

بخور العجل الحقيقي . ويقال إنه استحال عجلا جسدا أى لحما ودما حيا يخور . قاله قتادة وغيره
وقيل بل كانت الريح اذا دخلت من دبره خرجت من فيه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله
ويفرحون (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى قنسى) أى قنسى موسى ربه عندما ذهب يتطلبه وهو هنا
تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدس أسماؤه وصفاته وتضاعفت آلاؤه وعداته . قال الله تعالى
مبيناً بطلان ما ذهبوا اليه وما عولوا عليه من الهية هذا الذى قصاره أن يكون حيواناً بهياً وشيطاناً
رجياً (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقال (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا
يديهم سيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جواباً ولا يملك ضرا
ولا نفعا ولا يهتدى الى رشد اتخذوه وهم ظالمون لانفسهم عالمون فى انفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل
والضلال (ولما سقط فى أيديهم) أى ندموا على ما صنعوا (ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحننا ربنا
ويفر لنا لنكونن من الخاسرين) . ولما رجع موسى عليه السلام اليهم ورأى ما هم عليه من عبادة
العجل ومعه الألواح المتضمنة التوراة القاها فيقال إنه كسرها . وهكذا هو عند أهل الكتاب وإن الله
أبدله غيرها وليس فى اللفظ القرآنى ما يدل على ذلك إلا أنه القاها حين عاين ما عاين . وعند أهل الكتاب
أنهما كانا لوحين وظاهر القرآن أنها الواح متعددة ولم يتأثر بمجرد الخبر من الله تعالى عن عبادة العجل
فأمره بمعاينة ذلك . ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان عن ابن عباس قال قال
رسول الله (ص) (ليس الخبر كالمعاينة) ثم أقبل عليهم فنصفهم ووبخهم وهجنهم فى صنيعهم هذا القبيح
فاعتذروا اليه بما ليس بصحيح (قالوا إنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامرى)
تخرجوا من تملك حلى آل فرعون وهم أهل حرب وقد أمرهم الله بأخذه وأباحه لهم ولم يتخرجوا بجملهم
وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذى له خوار مع الواحد الاحد الفرد الصمد القهار . ثم
أقبل على أخيه هرون عليهما السلام قائلاً له (ياهرون مامنك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن) أى هلا لما
رأيت ما صنعوا اتبعنى فاعلمتنى بما فعلوا فقال (إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى
تركهم وجئتني وأنت قد أستخلفتني فيهم (قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم
الراحمين) وقد كان هرون عليه السلام نهام عن هذا الصنيع الفظيع أشد النهى وزجرهم عنه أتم الزجر
قال الله تعالى (ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنم به) أى إنما قدر الله أمر هذا العجل وجعله
يخور فتنة واختباراً لكم (وإن ربكم الرحمن) أى لا هذا (فاتبعوني) أى فيما أقول لكم (وأطيعوا
أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) يشهد الله لهرون عليه السلام (وكفى بالله
شهيداً أنه نهام وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه ثم أقبل موسى على السامرى (قال ما خطبك
باسامرى) أى ما حملك على ما صنعت (قال بصرت نالماً يصمروا به) أى رأيت جبرائيل وهو راكب

فرساً (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من أثر فرس جبريل . وقد ذكر بعضهم أنه رآه وكلا وطئت بحوافرها على موضع اخضر وأعشب فأخذ من أثر حافرها فلما القاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان ولهذا قال (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى . قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) وهذا دعاء عليه بأن لا يمس أحداً معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه . هذا معاقبة له فى الدنيا ثم توعدته فى الآخرة فقال (وإن لك موعداً لن تخلفه) وقرئ لن نخلفه (واقظر الى إهلك الذى ظلت عليه كفاً لنحرقته ثم لننفسنه فى اليم نسفاً) قال فعبد موسى عليه السلام الى هذا العجل فخرقه بالنار كما قاله قتادة وغيره . وقيل بالبارد كما قاله على وابن عباس وغيرهما وهو نص أهل الكتاب ثم خذاه فى البحر وأمر بنى اسرائيل فشربوا فمن كان من عابديه علق على شفاهم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه وقيل بل اصفرت ألوانهم ثم قال تعالى اخباراً عن موسى أنه قال لهم (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً) وقال تعالى (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) وهكذا وقع وقد قال بعض السلف (وكذلك نجزي المفترين) مسجلة لكل صاحب بدعة الى يوم القيمة . ثم أخبر تعالى عن حله ورحمته بخلقه وإحسانه على عبيده فى قبوله توبة من تاب اليه بتوبته عليه فقال (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) لكن لم يقبل الله توبة عابدى العجل إلا بالقتل كما قال تعالى (وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكنم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) فيقال إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل فى أيديهم السيوف والقي الله عليهم ضباباً حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه . ثم مالوا على عابديه فقتلوه وحصدوهم فيقال إنهم قتلوا فى صبيحة واحدة سبعين ألفاً . ثم قال تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) إستدل بعضهم بقوله وفى نسختها على أنها تكسرت وفى هذا الاستدلال نظر وليس فى اللفظ ما يدل على أنها تكسرت والله أعلم . وقد ذكر ابن عباس فى حديث الفتنون كما سيأتى أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر وما هو يبعد لأنهم حين خرجوا (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) .

وهكذا عند أهل الكتاب فان عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك أنهم لما أمروا بقتل من عبد العجل قتلوا فى أول يوم ثلاثة آلاف . ثم ذهب موسى يستغفر لهم فغفر لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة . (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة

إنا هدانا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ذكر السدي وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهرون ويوشع وناداب وإيهو ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتدروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل وكانوا قد أمروا أن يتطيبوا ويتطهروا ويفتسلوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه الغمام وعمودان نور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بنو إسرائيل أنهم سمعوا كلام الله وهذا قد وافقهم عليه طائفة من المفسرين وحلوا عليه قوله تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وليس هذا بلازم لقوله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) أي مبلغاً وهكذا هؤلاء سمعوه مبلغاً من موسى عليه السلام وزعموا أيضاً أن السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لأنهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفة كما قال تعالى (واذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) وقال ههنا (فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي الآية) قال محمد بن اسحق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير . وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بأذن منه وعلم فطلب منه السبعون أن يسموا كلام الله فقال أفعلم فلما دعا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تمشى الجبل كله ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم أذنوا وكان موسى إذا كله الله وقع على جبينه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى بأمر وينهاه أفضل ولا تفعل * فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم قالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتفت أرواحهم فأتوا جميعاً فقام موسى فيناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا) أي لا تأخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا فإبراء مما علموا . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل وقوله (إن هي إلا فتنتك) أي اختبارك وابتلاؤك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والريعي بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف . يعني أنت الذي قدرت هذا وخلق ما كان من أمر العجل إختباراً تختبرهم

به كما (قال لهم هزّون من قبل يا قوم إنما فتنتم به) أي اختبرتم ولهذا قال (تفضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) أي من شئت أضلّته باختبارك إياه ومن شئت هديته * لك الحكم والمشئمة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت (أنت ولينا فاعفّر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة (إنا هدانا إليك) أي تبنا إليك ورجعنا وأنبأنا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيمي والضحاك والسدي وقطادة وغير واحد وهو كذلك في اللغة . (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) أي أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التي أخلقها وأقدرها (ورحمتي وسعت كل شيء) كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض كتب كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي) (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي فسأوحها حتماً لمن يتصف بهذه الصفات (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية) وهذا فيه تنويه بذكر محمد (ص) وامته من الله لموسى عليه السلام في جملة ما أنجاه به وأعلمه وأطلعه عليه * وقد تكلمنا على هذه الآية وما بعدها في التفسير بما فيه كفاية ومقنع والله الحمد والمنة . وقال قتادة قال موسى يارب أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وإن الله اعطاكم آيتها الأمانة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً عن الأمانة قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاؤون فصول الضلالة حتى يقاؤوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة قبلت منه بمش الله عليها ناراً فأكلتها وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال رب فإني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد * قال قتادة فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد . وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام وأوردوا أشياء كثيرة لأصل لها ونحن نذكر ما تيسر ذكره من الأحاديث والآثار بنون الله وتوفيقه وحسن هدايته ومعونته وتأييده .

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حاتم بن حبان في صحيحه (ذكر سؤال كليم الله ربه عز وجل عن ادى
أهل الجنة وأرفعهم منزلة) أخبرنا عمر بن سعيد البطائي بمسج حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان
حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن ابجر شيخان صالحان سمعنا الشعبي يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول
على المنبر عن النبي (ص) : إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أى أهل الجنة أدنى منزلة فقال رجل
يحيى بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال أدخل الجنة فيقول كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم
واخذوا إخاذاتهم فيقال له ترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان ملك من ملوك الدنيا . فيقول فهم
أى رب فيقال لك هذا ومثله ومثله فيقول أى رب رضيت فيقال له لك مع هذا ما اشتيت نفسك ولذت
عينك وسأل ربه أى أهل الجنة أرفع منزلة قال ساجدك عنهم غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها
فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم
نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية) وهكذا رواه مسلم والترمذي كلاهما عن ابن أبي عمر عن سفيان
وهو ابن عينة به ولفظ مسلم (فيقال له اترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول
رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فيقول فى الخامسة رضيت رب فيقال هذا لك
وعشرة أمثاله ولك ما اشتيت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلام منزلة قال أولئك
الذين اردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصادقه
من كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال الترمذي حسن صحيح .
قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة فلم يرفعه والمرفوع أصح . وقال ابن حبان (ذكر سؤال الكليم
ربه عز وجل عن خصال سبع) حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم بيت المقدس حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب
أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السرح حدثه عن ابن حجريرة عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال (سأل
موسى ربه عز وجل عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة والسابعة لم يكن موسى يحبها . قال يارب أى
عبادك اتقى . قال الذى يذكر ولا ينسى قال فأى عبادك أهدى قال الذى يتبع الهدى قال فأى عبادك
أحكم قال الذى يحكم للناس كما يحكم لنفسه . قال فأى عبادك أعلم قال عالم لا يشيع من العلم يجمع علم الناس
الى علمه . قال فأى عبادك أعز . قال الذى اذا قدر غفر قال فأى عبادك أغنى قال الذى يرضى بما يؤتى
قال فأى عبادك أقفر قال صاحب منقوص . قال رسول الله (ص) : (ليس الغنى عن ظهر إنما الغنى غنى
النفس) وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل غناه فى نفسه وتقاه فى قلبه . وإذا أراد بعبده شراً جعل فقره بين
عينيه . قال ابن حبان قوله صاحب منقوص يريد به منقوص حاله يستقل ما أوتى ويطلب الفضل . وقد
رواه ابن جرير فى تاريخه عن ابن حميد عن يعقوب التميمي عن هرون بن عبيرة عن أبيه عن ابن عباس
قال سأل موسى ربه عز وجل فذكر نحوه وفيه قال (أى رب فأى عبادك أعلم قال الذى يتتقى علم الناس

الى علمه عسى أن يجد كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى . قال أى رب فهل فى الارض أحد أعلم
منى قال نعم انخفض فسال السبيل الى لقيه فكان ماسند كره بعد إن شاء الله وبه الثقة

حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد
الخدري عن النبى (ص) أنه قال إن موسى قال أى رب عبدك المؤمن مقتر عليه فى الدنيا . قال ففتح له
باب من الجنة فنظر اليها قال ياموسى هذا ما أعددت له . قال موسى يارب وعزتك وجلالك لو كان مقطع
اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير بوءاً قط قال
ثم قال أى رب عبدك الكافر موسع عليه فى الدنيا . قال ففتح له باب الى النار فيقول ياموسى هذا
ما أعددت له فقال أى رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا
مصيره لم ير خيراً قط . تفرد به احمد من هذا الوجه . وفى صحته فظروا الله أعلم . وقال ابن حبان (ذكر
سؤال كليم الله ربه جل وعلا أن يعلمه شيئاً يذكره به) حدثنا ابن سلعة حدثنا حرمة بن يحيى حدثنا ابن
وهب أخبرنى عمرو بن الحارث إن دراجاً حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى (ص) أنه قال قال
موسى (يارب علمنى شيئاً أذكرك به وأدعوك به) قال قل ياموسى (لا إله إلا الله) قال يارب كل
عبادك يقول هذا . قال قل لا إله إلا الله . قال إنما أريد شيئاً يخصنى به . قال ياموسى لو أن أهل السموات
السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهم لا إله إلا الله . ويشهد لهذا الحديث
حديث البطاقة . وأقرب شئ الى معناه الحديث المروى فى السنن عن النبى (ص) أنه قال أفضل الدعاء
دعاء عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شئ قدير) وقال ابن أبى حاتم عند تفسير آية الكرسي حدثنا احمد بن القاسم بن عطية . حدثنا
احمد بن عبد الرحمن الدسكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بنى إسرائيل قالوا لموسى هل ينام ربك قال أتقوا الله فناداه ربه
ياموسى سألوك هل ينام ربك فخذ زجاجتين فى يديك قم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث
نفس فوق لركبته ثم أتمش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل نفس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا .
فقال ياموسى لو كنت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان فى يديك . قال
وانزل الله على رسوله آية الكرسي . وقال ابن جرير حدثنا اسحق بن أبى إسرائيل حدثنا هشام بن
يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن إبان عن عكرمة عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله (ص)
يحكى عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع فى نفس موسى عليه السلام هل ينام الله عز وجل فارسل

الله اليه ملكا فارقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وكادت يداه تلتقيان فيستقيظ فيحبس إحداها على الأخرى حتى نام نومة فاصططقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلاً أن لو كان ينام لم يستمسك السماء والأرض . وهذا حديث غريب رفعه . والأشبه أن يكون موقوفاً . وأن يكون أصله إسرائيليا . وقال الله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليت من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وقال تعالى (واذ تقننا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) قال ابن عباس وغير واحد من السلف لما جاءهم موسى بالأنوار فيها التوراة أمرهم بقبولها والاخذ بها بقوة وعزم فقالوا أنشرها علينا فإن كانت أوامرنا ونواهيها سهلة قبلناها فقال بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مراراً فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤسهم حتى صار كأنه ظلة أي غمامة على رؤسهم وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم قبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة لليهود إلى اليوم يقولون لاسجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب . وقال سنيد بن داود عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال فلما نشرها لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض

لها رأسه . قال الله تعالى (ثم توليت من بعد ذلك) أي ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق

العظيم والأمر الجسم نكثتم عهودكم ومواثيقكم (فلولا فضل الله عليكم ورحمته)

بأن تدارككم بالارسل اليكم وانزال الكتب عليكم (لكنتم من الخاسرين)

قصة بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى (واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا اتخذنا هزوا قال أعوذ بالله إن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها . قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . واذ قتلتم نفساً فادار أثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون) قال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو الثالية ومجاهد والسدي وغير واحد من السلف كان رجل في بني إسرائيل كثير المال وكان شيخاً كبيراً وله

بنوا أخ وكاثوا يتمنون موته ليرثوه فعمد أحدهم قتلته في الليل وطرحه في مجمع الطرق ويقال على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم فقالوا مالكم تختصمون ولا تأتون نبي الله فجاء ابن أخيه فشكى أمره إلى رسول الله موسى (ص) فقال موسى عليه السلام أشد الله رجلا عنده علم من أمر هذا القتل إلا أعلننا به فلم يكن عند أحد منهم علم منه وسأله أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل فسأل ربه عز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة فقال (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتل وأنت تقول هذا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلى . وهذا هو الذي أجابني حين سألتني عنه أن أسأله فيه . قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد وعكرمة والسدي وأبو العالية وغير واحد فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ولكنهم شددوا فشدد عليهم وقد ورد فيه حديث مرفوع . وفي إسناده ضعف فسألوا عن صفتها ثم عن لونها ثم عن سننها فاجيبوا بما عز وجوده عليهم وقد ذكرنا في تفسير ذلك كله في التفسير . والمقصود أنهم أسروا بذبح بقرة عوان وهي الوسط بين النصف الفارض وهي الكبيرة والبكر وهي الصغيرة قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والحسن وقتادة وجماعة . ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها فأمروا بصفراء فاقع لونها أي مشرب بحمرة تسر الناظرين * وهذا اللون عزيز . ثم شددوا أيضاً (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه لولا أن بنى إسرائيل إستثنوا لما أعطوا وفي صحته نظر والله أعلم (قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) وهذه الصفات أضيق مما تقدم حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذلول وهي المذلة بالحرارة وسقى الأرض بالسانية مسلة وهي الصحيحة التي لا عيب فيها قاله أبو العالية وقتادة . وقوله (لاشية فيها) أي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلة من العيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها فلما حددها بهذه الصفات وحصرها بهذه النعوت والأوصاف (قالوا الآن جئت بالحق) ويقال إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان بلواً بابه فطلبوها منه فإبى عليهم فارتغبوه في ثمنها حتى أعطوه فيما ذكره السدي بوزنها ذهباً فإبى عليهم حتى أعطوه بوزنها عشر مرات فباعها منهم فأمرهم نبي الله موسى بذبحها (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي وهم يترددون في أمرها . ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتل ببعضها . قيل بلحم فخذها . وقيل بالعظم الذي يلي الفخروف . وقيل بالبطة التي بين الكتفين فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى مقام وهو يشخب أوداجه فسأله نبي الله من قتلك قال قتلني ابن أخي . ثم عاد ميتاً كما كان قال الله تعالى

(كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون) أى كما شاهدتم إحياء هذا القاتل عن أمر الله له كذلك أمره فى سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياءهم فى ساعة واحدة كما قال (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة الآية)

قصّة موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا . فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتَ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا . فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا . قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَبَّكَ . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا . قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا . قَالَ أَخَرْتُمَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسِرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نَكِرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُزْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَأُتَّخَذْتُ عَلَيْهِ آجْرًا . قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا . وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا . وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)

قال بعض أهل الكتاب إن موسى هذا الذى رحل الى الخضر هو موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم منهم نوف بن فضالة الحميرى الشافى البكالى . ويقال إنه دمشق وكانت أمه زوجة كعب الأخبار* والصحيح الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران صاحب بنى إسرائيل . قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمر بن دينار أخبرنى سعيد بن

جبر قال قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله . حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله (ص) يقول إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فمثل أي الناس أعلم فقال أنا فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب وكيف لي به . قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكثل فخيا فقتلت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتا فجعله بمكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر وأخذ سبيله في البحر سرى . وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كان من الغد (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به (قال) له فتاه (أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وتأخذ سبيله في البحر عجبا (قال فكان للحوت سرى ولموسى ولفتاه عجبا) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال فرجما يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمته الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمه الله لا أعلمه فقال (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) قال له الخضر فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا) يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم ان يحملوم فمرقوا الخضر فحملوم بغير نول . فلما ركبوا في السفينة لم ينجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالتقدم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفيتهم فخرقتها (لتغرق اهلها) قد جئت شيئا امرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا . قال لا تأخذني بمانسيت ولا ترهقني من أمري عسر قال وقال رسول الله (ص) وكانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر فقرة فقال له الخضر ما على وعلمك في علم الله الا مثل ما قص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فينباها يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر غلاما يلعب مع التلنان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتله بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس) قد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الأولى (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطاعوا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن يتقض (قال مائل فقال الخضر بيده (فأقامه) فقال موسى قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل

مالم تستطع عليه صبراً) قال رسول الله (ص)، وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها
 قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما
 الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين . ثم رواه البخاري أيضاً عن قتيبة عن سفيان بن عيينة بإسناده
 نحوه . وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهى إلى الصخرة فزلا عندها
 قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة
 لا يصيب من مائها شيء إلا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين قال فتحرك وانسل من المكمل ودخل
 البحر فلما استيقظ (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا) وساق الحديث وقال ووقع عصفور على حرف
 السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى ماعلمى وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس
 هذا العصفور منقاره وذكر تمام الحديث . وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن
 يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما
 على صاحبه . وغيرها قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني
 قلت أى أبا عباس جعلنى الله فداك بالكوفة رجل قاص يقول له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى
 إسرائيل أما عمرو فقال لى قال قد كذب عدو الله وأما يعلى فقال لى قال ابن عباس حدثنى أبى بن كعب
 قال قال رسول الله (ص)، موسى رسول الله قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب
 ولى فأدركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك قال لا فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم
 إلى الله * قيل بلى قال أى رب فأين قال بجميع البحرين قال أى رب اجعل لى علماً أعلم ذلك به قال لى
 عمرو قال حيث يفارقك الحوت وقال لى يعلى قال خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح فاخذ حوتاً فجعله فى
 مكمل فقال لفتاه لا أكفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال
 موسى لفتاه) يوشع بين نون . ليست عن سعيد ابن جبير قال فيينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان إذ
 تضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقفه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره وتضرب الحوت حتى
 دخل البحر فامسك الله عنه جريه البحر حتى كأن أثره فى حجر قال لى عمرو هكذا كان أثره فى حجر
 وحلق بين ابهاميه واللتين تليان (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه
 عن سعيد أخبره فرجما فوجدا خضرا قال لى عثمان بن أبى سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال
 سعيد مسجى ثوبه قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه
 وقال هل بارض من سلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال فماشأئك قال جئتك
 (لتعلمنى ماعلمت رشداً) قال أما يكفينك أن التوراة بيدك وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لى علماً لا ينبغى
 لك أن تعلمه وإن لك علماً لا ينبغى لى أن أعلمه فاخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ماعلمى وعلمك

في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر (حتى إذا ركباً في السفينة) وجدا معابر صفاراً
تحمّل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح. قال فقلنا لسعيد (خضر)
قال نعم. لا نحمّله بأجر (فخرها) ووتد فيها وتدا (قال) موسى (أخرقها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إسرائاً)
قال مجاهد منكراً (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة
عمداً (قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) قال يعلى
قال سعيد وجد غلاماً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فاضجمه ثم ذبحه بالسكين (قال أقتلت نفساً زكية)
لم تعمل بالخير * ابن عباس قرأها زكية زكية مسلعة كقولك غلاماً زكياً (فانطلقا فوجدا فيها جداراً
يريد أن ينتقض فأقامه) قال يده هكذا ورفع يده فاستقام قال يعلى حسبت أن سعيداً قال فسحبه يده
فاستقام (قال لو شئت لانتحيت عليه أجراً) قال سعيد أجراً أنا كله (وكان وراءهم) وكان أمامهم قرأها ابن
عباس أمامهم. ملك يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد والغلام المقتول يزعمون جيسور (ملك يأخذ
كل سفينة غصبا) فإذا هي مرت به يدعها بيعها فإذا جاوزوا أصلحها فانتفخوا بها. منهم من يقول
سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار (كان أبواه مؤمنين) وكان كافراً (فخشينا أن يرهقهما طغيانا
وكفرا) أي يحملهما حبه على أن يتأبها على دينه (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة) لقوله أقتلت
نفساً زكية (وأقرب رحماً) هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر * وزعم سعيد بن جبير أنه ابن
لا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد إنها جارية * وقد رواه عبدالرزاق عن معمر عن أبي
اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بن إسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره
منى فأمر أن يلقى هذا الرجل. فذكر نحوه ما تقدم وهكذا رواه محمد بن اسحق عن الحسن بن عمار عن
الحكم بن عينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) كنحو ما تقدم
أيضاً ورواه العوفي عنه موقوفاً * وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه تمارى
هو والحربن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فربهما أبي بن كعب
فدعاه ابن عباس فقال إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه فهل
سمعت من رسول الله فيه شيئاً قال نعم وذكر الحديث وقد تقصينا طرق هذا الحديث والفاظه في تفسير
سورة الكهف والله الحمد. وقوله (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قال السهيلي وهما
أصرم وصريم ابنا كاشح. (وكان تحته كنز لهما) قيل كان ذهباً قاله عكرمة وقيل علماً قاله ابن عباس
والأشبه أنه كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه علم قال البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر
ابن المنذر حدثنا الحرث بن عبد الله اليمصبي عن عياش بن عباس النخعي عن ابن حجرية عن أبي ذر رفته
قال إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من الذهب مصمت. عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب وعجبت

لمن ذكر النار لم نضحك وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل لا إله إلا الله . وهكذا روى عن الحسن البصري وعمر مولى عفرة وجعفر الصادق نحو هذا وقوله (وكان أبوها صالحا) وقد قيل إنه كان الأب السابع وقيل العاشر . وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته فالله المستعان . وقوله (رحمه من ربك) دليل على أنه كان نبيا وأنه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي وقيل رسول وقيل ولي واغرب من هذا من قال كان ملكا قلت وقد اغرب جدا من قال هو ابن فرعون وقيل إنه ابن نوحك الذي ملك الدنيا ألف سنة . قال ابن جرير والذي عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في زمن أفريدون ويقال إنه كان علي مقدمة ذى القرنين الذي قيل إنه كان أفريدون وذو الفرس هو الذي كان في زمن الخليل . وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باق الى الآن . وقيل إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من ارض بابل وقيل اسمه ملكان وقيل أرميا بن خلتيا وقيل كان نبيا في زمن سباسب بن لهراسب قال ابن جرير وقد كان بين أفريدون وبين سباسب دهور طويلة لا يجملها أحد من أهل العلم بالأنساب قال ابن جرير والصحيح أنه كان في زمن أفريدون واستمر حيا إلى أن أدركه موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى في زمن منو شهر الذي هو من ولد ابرج بن أفريدون أحد ملوك الفرس وكان اليه الملك بعد جده أفريدون لعهده وكان عادلا وهو أول من خندق الخنادق وأول من جعل في كل قرية دهقانا وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال إنه كان من سلالة اسحاق بن إبراهيم وقد ذكر عنه من اخطب الحسان والكليم البليغ النافع الفصيح ما يبهز العقل ويحير السامع وهذا يدل على أنه من سلالة الخليل . والله أعلم . وقد قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم الآية)

فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يبعث بعده من الانبياء وينصره فلو كان الخضر حيا في زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيا وهو الحق أورشولا كما قيل أو ملكافيا ذكر وأياما كان فجبريل رئيس الملائكة وموسى أشرف من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الايمان بمحمد ونصرته فكيف ان كان الخضر ولما كما يقوله طوائف كثيرون فأولى أن يدخل في عموم البعثة وأخرى ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضعيف يمتد أنه جاء يوما واحدا الى رسول الله (ص) ولا اجتمع به وما ذكر من حديث الترمذي فيه وان كان الحاكم قد رواه فاستاده ضعيف والله أعلم وسنفرد لخضر ترجمة على حدة بعد هذا

حَدِيثُ الْفَتُونِ وَالْمَقْتَمِ مَوْسَى مِنْ أُولَاهَا إِلَى آخِرِهَا

قال الامام ابو عبد الرحمن النسائي في كتاب التفسير من سننه عند قوله تعالى في سورة طه (وقتل نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) (حديث الفتون) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا اصبح بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب اخبرني سعيد بن جبيرة قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى (وفتناك فتونا) فسأله عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبيرة فان لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت الى ابن عباس لا متجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم إن بني اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون فأتهموا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم الصغار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني اسرائيل يموتون بأجلهم والصغار يذبحون قالوا توشكون أن تفتنوا بني اسرائيل فتصيروا الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فقتل بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائرتهم اياكم ولن تفتنوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان فولدته علانية آمنة . فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوق في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبيرة ما دخل عليه في بطن أمه مما يراد فوحي الله اليها أن لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فامرها اذا ولدت أن تجمله في تابوت وتلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنها أنالها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من أن اقيه الى دواب البحر وحيثانه فانتهى الماء به حتى أوفى عند فريضة تستقي منها جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فهمن أن يشتحن التابوت فقال بعضهن ان في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج منه شيئا حتى دفعته اليها فلما فتحت رأت فيه غلاما فاتت عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا . ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشغارهم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبيرة فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتى فرعون

فاستوهبه منه فان وهبه منى كنتم قد أحستم وأجلم وان أمر بذبحه لم ألكم فأنت فرعون فقالت (قرة
 عين لى ولك) فقال فرعون يكون لك فأما لى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله (ص) (والذى يحلف به
 لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك) فارسلت
 الى من حولها الى كل امرأة لها لأن تختار ظئرا فجعلت كلأ أخذته امرأة منهن لترضه لم يقبل على ثديها
 حتى أشقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فامرت به فأخرج الى السوق وجمع
 الناس ترجو أن تجد له ظئرا يأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والها فقالت لاخته قصى أثره
 واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحيى أبني أم قد أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدا فيه فبصرت به
 أخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسمو بصرا الانسان الى شئ بعيد وهو الى جنبه لا يشعر به
 فقالت من الفرح حين أعيام الظهورات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فقالوا
 ما يدريك ما نصحهم هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك . وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له
 وشققهم عليه ورغبهم فى صهر الملك ورجاء منفعة الملك فأرسلوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر
 فجاءت أمه فلما وضعته فى حجرها نزا الى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا وانطلق البشير الى امرأة
 فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فأنت بها وبه . فلما رأت ما يصنع بها قالت
 أ مكئى ترضى ابني هذا فانى لم أحب شيئا جبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أترك بتي وولدى
 فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينه فأذهب به إلى بتي فيكون معى لا آلوه خيرا ففعلت فانى غير تاركة
 بتي وولدى وذكرت أم موسى ما كان الله وعدا فتعاسرت على امرأة فرعون وايقنت أن الله منجز
 مووعده فرجعت الى بيتها من يومها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظ لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم
 فى ناحية القرية متمتعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى أربنى ابني
 فوعدها يوما تريها اياه فيه وقالت امرأة فرعون لخزانها وظهورها وقهارتها لا يقين أحد منكم إلا استقبل
 ابني اليوم بهدية وكرامة لارى ذلك فيه وأنا باعثة أمينا يحصى كل ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا
 والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون . فلما دخل عليها
 نحلته وأكرمه فرحت به ونحلت أمه بحسن أثرها عليه . ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلته وليكرمه
 فلما دخلت به وعليه جعله فى حجره فتناول موسى لحية فرعون ففدها الى الارض فقال الغواة من أعداء الله
 لفرعون ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل الى الذباحين
 ليذبحوه . وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به نجاة امرأة فرعون تسمى الى
 فرعون فقالت ما بدالك فى هذا الغلام الذى وهبته لى فقال ألا تريه يزعم أنه يصرعنى ويعلوئى فقالت
 اجل بتي وبينك أمرا تعرف فيه الحق أنت بمجمرتين ولؤلؤتين قهرهن اليه فان بطش باللؤلؤتين

واجتنب الجرتين عرفت أنه يعقل وان تناول الجرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل يقرب اليه فتناول الجرتين فأنزعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما كان هم به وكان الله بالغافيه أمره . فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع . فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعونى والآخر اسرائيلى فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني اسرائيل وحفظه لم يطلع عليه غيره فوكل موسى الفرعونى قتلته وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب) الاخبار فأتى فرعون قتيلا له إن بني اسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بمحتنا ولا ترخص لهم فقال ابغوى قاتله من يشهد عليه فان الملك وان كان صفوه مع قومه لا ينبغي له أن يقتل بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحكمكم فيينا هم يطوفون لا يجدون بينة اذا موسى من الغد قد رأى ذلك الاسرائيلى يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذى رأى فغضب الاسرائيلى وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالامس واليوم (انك لغوى مبين) فنظر الاسرائيلى الى موسى بعد ما قال له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالامس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوى مبين أن يكون اياه أراد ولم يكن أراداه انما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى * وقال موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وانما قال له مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقته فتاركا وانطلق الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فارسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون الطريق الاعظم يمشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون ان يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من اقصى المدينة فاخصر طريقا حتى سبقهم الى موسى فأخبره . وذلك من الفتون يا ابن جبير فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراة تزدودان) يعنى بذلك حابستين غنمهما فقال لهما (ما خطبكما) معترلتين لاتسقيان مع الناس قالتا ليس لنا قوة تراحم القوم وإنما ننظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يفر من الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء وانصرفتا بنفسهما الى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة (وقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) واستنكر أبوها سرعة صدورهما بنفسهما حفا بطا فقال ان لكما اليوم لشأنا فاخبرناه بما

صنع موسى فامر احدهما أن تدعوه فانت موسى فدعته فلما كله قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا قومه علينا من سلطان ولسنا في مملكته (قتالت احدهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أماته فقالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه . وأما الامانة فانه نظر الى حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغت رسالتك . ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك (أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت السنتان عدة منه فقصى الله عنه عدته فأتىها عشرا . قال سعيد هو ابن جبير فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أى الأجلين قضى موسى قلت لا وأنا يومئذ لا أدري فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال أما علمت أن ثمانية كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التى وعده فانه قضى عشر سنين فلقيت النصرانى فاخبرته ذلك فقال الذى سألته فاخبرك أعلم منك بذلك قلت أجل وأولى فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصى ويده ماقص الله عليك في القرآن فشكا الى الله تعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه باخيه هرون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه الله عز وجل وحل عقدة من لسانه وأوحى الله الى هرون فامرته أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هرون فانطلقا جميعا الى فرعون فاقاما على بابه حين لا يؤذن لهما . ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك فقال فمن ربك فاخبره بالذى قص الله عليك في القرآن قال فأتريدان وذكره القتل فاعتذر بما قد سمعت قال أريدان تؤمن بالله وترسل معي بنى إسرائيل فابى عليه وقال أنت بآية إن كنت من الصادقين فالتقى عصاه فاذا هى ثعبان عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما رأى فرعون قاصدة اليه خافها وأقحم عن سريره وأستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل . ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص . ثم ردها فمادت الى لونها الأول فاستشار الملاء حوله فيما رأى فقاتلوا له (هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهبا بطريقتهما المثلى) يعنى مملكتهم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له إجمع السحرة فانهم بارضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما فارسل الى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا هم يعمل السحر قالوا يعمل بالحيات قالوا فلا والله ما احد من الارض يعمل السحر بالحيات والحبال والعصى الذى نعمل وما أجرا إن نحن غلبنا قال لهم أنتم أقاربى وخاصتى وأنا صانع

اليكم كل شئ أحببتهم فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحي) قال سعيد خذني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض اطلقوا فلنحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهرون استهزاء بهما فقالوا يا موسى بعد تريتهم بسحرم (إما أنت تلتني وإما أن نكون نحن الملقين. قال بل ألقوا فلقوا أحبا لهم وعصيتهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله اليه أن الق عصاك فلما القاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالخيال حتى صارت جرزا على الثعبان أن تدخل فيه حتى ما أبت عصا ولا خيلا إلا ابتلعت فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم تبلع من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله تعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى وتوب الى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك واقلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة مبتذلة تدعوا لله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتدأت للشقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهما لموسى فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فاذا مضت أخلف من غده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب اليه أن يكفها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فاذا كف ذلك عنه أخلف بوعدة ونكث عهده حتى أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله الى البحر اذا ضربك موسى عبدي بعصاه فانلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقى على من بقى بعد من فرعون وأشياعه فتسى موسى أن يضرب البحر بالعصى وانهى الى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله عز وجل فلما ترائى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون إفل ما أمرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربى اذا أتيت البحر افترق اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى ف ضرب البحر بعصاه حين ذأ أوائل جند فرعون من أوخر جند موسى فانفرك البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا تؤمن بهلاكه فدعا ربه فاخرجه له بيده حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) قد رأيتم من العبر وسمعت ما يكفيكم ومضى فازلهم موسى منزلا

وقال أطيعوا هارون فإن الله قد استخلفه عليكم فاني ذاهب الى ربي واجلهم ثلاثين يوماً أن يرجع اليهم فيها فلما أتى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه ويرج فيه ربح فم الصائم فتناول موسى شيئاً من نبات الارض فمضغه فقال له ربه حين أناه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يارب إني كرهت أن أكلمك الا وفي طيب الريح . قال او ماعلت يا موسى ان ربح فم الصائم أطيب من ري المسك إرجع فصم عشرًا ثم ائتني ففعل موسى ما أمره به ربه فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع اليهم في الاجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم فقال إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولستم فيها مثل ذلك وانا أرى ان تحتسبوا مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولست ابرادين اليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكية لا نفسنا فخر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير . ثم أوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم • وكان السامري من قوم يصبون البقرجيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا قضي له أن رأى اثر قبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون يا سامري الاتقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا اقيها لشيء الا أن تدعو الله اذا أقيتها أن يكون ما أريد فالتقاها ودعا له هارون فقال أريد أن تكون عجلاً فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس لا والله ما كان فيه صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك ففترق بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ماهذا وأنت أعلم به قال هذا ربكم ولكن موسى اضل الطريق وقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حتى رايناه وان لم يكن ربنا فانا تتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا تؤمن به ولا نصديق واشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون عليه السلام يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن ليس هذا قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم اخلفنا . هذه أربعمون يوماً قد مضت قال سفهاؤهم خطأ ربه فهو يطلبه ويبتغيه فلما كلم الله موسى وقال له ما قال سبره بما لقي قومه من بعده فرجع الى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم ما في القرآن (وأخذ برأس أخيه يجره) اليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بذره واستغفر له فانصرف الى السامري فقال له ما حاكك على ما صنعت (قال قبضت قبضة من أثر الرسول) وفطنت لها وعميت عليكم فصدقها (وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر الى الهلك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننفسنه في اليم نسياً) ولو كان إلها لم يخلص الى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغبط

الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هرون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر عنا ماعملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألو الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في الحق فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا بني الله عليه السلام من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال لوشئت لاهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال (رحمى وسعت كل شئ فسا كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) فقال يارب سألتك التوبة لقومى قتلتي إن رحمى كتبها لقوم غير قومى فليتك أخرتنى حتى تخرجنى في أمة ذلك الرجل المرحوم فقال له إن توبتهم أن يقتل كل رجل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن . وتاب أولئك الذين كان خفى على موسى وهرون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب فأمرهم بالذى أمر به من الوظائف فتقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرأوا بها وتيق الله عليهم الجبل كانه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم وأخذوا الكتاب بإيمانهم وهم مصفون ينظرون الى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلق منكر وذكر من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قراه قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجنا اليه فقالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون من بني إسرائيل (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فغضبوا موسى فدعا عليهم وساماً فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله لهم وساماً كما ساءهم فاسقين فحرمها عليهم أربعين سنة يتنهبون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجراً مربباً وأمر موسى فضربه بعصاه فافجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينتهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من محله إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان فيه بالأمس * رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي (ص) وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس هذا الحديث فانكر عليه أن يكون الفرعونى الذى أفشى على موسى أمر القتل الذى

قتل قتال كيف يقتل عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فاخذ بيد معاوية فانطلق به الى سعد بن مالك الزهري فقال له ياأبا اسحق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله (ص) عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون . الاسرائيلي الذي أفتى عليه ام الفرعوني قال إنما أفتى عليه الفرعوني بما سمع الاسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره هكذا ساق هذا الحديث الامام النسائي وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هرون والاشبه والله أعلم أنه موقوف وكونه مرفوعا فيه نظر وغالبه متلقى من الاسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفعه في أثناء الكلام وفي بعض ما فيه نظر ونكارة والاغلب أنه كلام كعب الاحبار وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك والله أعلم

بناء قبّة الزمان

قال أهل الكتاب وقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشار وجلود الانعام وشعر الاغنام وأمر بزينتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولها عشر سرادقات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعا وعرضه أربعة أذرع ولها أربعة أبواب وأطنا ب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفوف وصفائح من ذهب وفضة ولكل زاوية بابان وأبواب أخر كبيرة وستور من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره وبعمل تابوت من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين ونصفا وعرضه ذراعين وأرتفاعه ذراعا ونصفا ويكون مضيقا بذهب خالص من داخله وخارجه وله أربع حلق في أربع زواياه ويكون على حافته كرويان من ذهب يعنون صفة ملكين باجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه بصليال وأمره أن يعمل مائدة من خشب الشمشار طولها ذراعا وعرضها ذراع ونصف لها ضباب ذهب واكيل ذهب بشقة مرتفعة باكيل من ذهب واربع حلق من نواحيها من ذهب معندة في مثل الرمان من خشب ملبس ذهباً واعمل صحافاً ومصافى وقصاعاً على المائدة واصنع منارة من الذهب دلى فيها ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاثة . على كل قصبة ثلاث سرج وليسكن في المنارة أربع قناديل ولتكن هي جميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصليال أيضا وهو الذي عمل المذبح أيضا ونصب هذه القبة أول يوم من سنتهم وهو أول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله أعلم المذكور في قوله تعالى (ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جداً وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قرباتهم وكيفيته وفيه ان قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم المعجل الذي هو متقدم على مجيئ بيت المقدس وانها كانت لهم كالكنبة

يصلون فيها واليها ويتقربون عندها وأن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل
عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود
الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه ويأمره ويهاه وهو واقف عند التابوت صامدا الى ما بين السكروين
فاذا فصل الخطاب يخبر بنى اسرائيل بما أوحاه الله عز وجل اليه من الاوامر والنواهي وإذا تحاكموا اليه
في شئ ليس عنده من الله فيه شئ يجي الى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذينك السكروين
فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة وقد كان هذا مشروعاً لهم في زمانهم أعنى استعمال الذهب
والحرير المصبغ والآلات في معبدهم وعند مصلاهم فاما في شريعتنا فلا بل قد نهينا عن زخرفة المساجد وترزينها
لثلاث تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد رسول الله (ص) للذي وكاه
على عمارته ابن للناس ما يكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس وقال ابن عباس لنزخرقها كما
زخرقت اليهود والنصارى كئناسهم وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه فهذه الامة غير مشابهة
من كان قبلهم من الأمم اذ جمع الله همهم في صلاتهم على التوجه اليه والاقبال عليه وصان ابصارهم
وخواطرهم عن الاشتغال والتفكير في غير ما هم بصدد من العبادة العظيمة فله الحمد والمنة وقد كانت قبة
الزمان هذه مع بنى اسرائيل في التيه يصلون اليها وهي قبلتهم وكتبهم وإمامهم كايم الله موسى عليه
السلام ومقدم القربان أخوه هارون عليه السلام فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو
هارون في الذي كان يليه أبوم من أمر القربان وهو فيهم الى الان وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتدير
الأمر بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سيأتي بيانه والمقصود هنا
أنه لما استقرت يده على البيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون اليها فلما بادت
صلوا الى محلها وهي الصخرة فلماذا كانت قبلة الانبياء بعده الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
صلى اليها رسول الله (ص) قبل الهجرة وكان يحمل الكعبة بين يديه فلما هاجر أمر

بالصلاة الى بيت المقدس فصلى اليها ستة عشر * وقيل سبعة عشر شهرا * ثم حوت

القبلة الى الكعبة وهي قبلة ابراهيم في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر

وقيل الظهر كما بسطنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى سيقول السفهاء

من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها الى قوله قد نرى

قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول

وجهك شطر المسجد الحرام . الآيات



قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنْصِرِينَ . وَاصْبِرْ لِمَا كَانَ مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) قَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ سَعِيدٍ عَنْ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ قَارُونُ بْنُ عَمِّ مُوسَى وَكَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرْثِ بْنُ نُوْفَلٍ وَسِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ وَقَتَادَةُ وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَزَادَ فَقَالَ هُوَ قَارُونُ بْنُ يَصْهَرَ بْنِ قَاهِثٍ وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ هَافِثٍ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ عَمِّ مُوسَى . وَرَدَّ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ كَانَ عَمُّ مُوسَى قَالَ قَتَادَةُ وَكَانَ يُسَمَّى النُّورَ لِحَسَنِ صَوْتِهِ بِالْتَّوْرَةِ وَلَكِنْ عَدُوُّ اللَّهِ نَافِقٌ كَمَا نَافَقَ السَّامِرِيُّ فَاهْلِكْهُ الْبَغْيُ لِكَثْرَةِ مَالِهِ . وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ زَادَ فِي ثِيَابِهِ شَبْرًا طَوِيلًا تَرَفُّعًا عَلَى قَوْمِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى كَثْرَةَ كُنُوزِهِ حَتَّى أَنْ مَفَاتِحُهَا كَانَ يَتَّقِلُ حَمْلُهَا عَلَى الْقِيَامِ مِنَ الرِّجَالِ الشَّدَادَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْجُلُودِ وَإِنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ عَلَى سَتِينَ بَغْلًا فَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ وَعَظَهُ النَّصْحَاءُ مِنْ قَوْمِهِ قَائِلِينَ لَا تَفْرَحْ أَيْ لَا تَبْطُرْ بِمَا أُعْطِيتَ وَتَفْخَرْ عَلَى غَيْرِكَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) يَقُولُونَ لَتَكُنْ هَمَّتْكَ مَسْرُوقَةٌ لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَانْهَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَمَعَ هَذَا (لَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أَيْ وَتَتَنَاوَلْ مِنْهَا بِمَالِكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ فَتَمْتَعْ لِنَفْسِكَ بِالْمَلَاذِ الطَّيِّبَةِ الْحَلَالِ (وَاحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) أَيْ وَاحْسِنْ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ خَلْقَهُمْ وَبَارَأَهُمْ إِلَيْكَ (وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) أَيْ وَلَا تَسْئَرْ إِلَيْهِمْ وَلَا تَفْسُدْ فِيهِمْ فَتَقَابِلَهُمْ ضِدَّ مَا أَمَرْتَ فِيهِمْ فَيَعَاقِبُكَ وَيَسْلُبُكَ مَا وَهَبَكَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ . هَلْذِهِ النَّصِيحَةُ الصَّحِيحَةُ الْفَصِيحَةُ إِلَّا أَنْ (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) يَعْنِي أَنَّا لَا أَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا ذَكَرْتُمْ وَلَا إِلَى مَا إِلَيْهِ أَشْرَفْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أُعْطَانِي هَذَا لَعَلَّهُ أَتَى أَسْتَحِقُّهُ وَأَتَى أَهْلَ لَهُ وَلَوْلَا أَنِّي حَيِيبٌ إِلَيْهِ وَحَظِي عِنْدَهُ لَمَا

أعطاني ما أعطاني قال الله تعالى ردا عليه ما ذهب اليه (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أي قد أهلكنا من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا فلو كان ما قال صحيحا لم مناقب أحدا من كان أكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا به كما قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا لنفّي إلا من آمن وعمل صالحا) وقال تعالى (أئحسبون أننا نمدّمهم به من مال وبنيّن . فسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا إليه من معنى قوله (إنما أوتيته على علم عندى) وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله في جمع الأموال فليس بصحيح لأن الكيمياء تخيل وصنعة لا تحيل الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن مناققا في الظاهر . ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير ولا يبقى بين الكلامين تلازم وقد وضحنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى (فخرج على قومه في زينته) ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى قال الله تعالى ولا يلقاها إلا الصابرون أي وما يلتقي هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده وأيد له وحق مراده وما أحسن ما قال بعض السلف إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات . قال الله تعالى فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فتنة ينصرونه من دون الله وما كان من المتصرّين . لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وفخره على قومه بها قال فحسبنا به وبداره الأرض كما روى البخاري من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي (ص) قال ينار رجل يحرق أزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة . ثم رواه البخاري من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي (ص) نحوه . وقد ذكر ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة بني مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملا من الناس إنك فعلت بي كذا وكذا فيقال إنها قالت له ذلك فأرعد من الفرق وصلى ركعتين . ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه فذكرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت إليه فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون فأوحى الله إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبتله وداره فكان ذلك فالتهم أعلم وقد قيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته مر

بجحفله وبغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بإيام الله فلما رآه الناس انصرف
وجوه كثير من الناس ينظرون اليه فدعا موسى عليه السلام فقال له ما حملك على هذا فقال يا موسى أما
لئن كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بالمال ولئن شئت لتخرجن فلتدعون على ولا تدعون
عليك فخرج قارون في قومه فقال له موسى تدعو أو أَدْعُو قال ادعو أنا فدعى قارون فلم يجب في
موسى فقال موسى أَدْعُو قال نعم فقال موسى اللهم سر الأرض فلتطلى اليوم فأوحى الله إليه إني قد فعلت
فقال موسى يا أرض خذيهم فآخذيهم إلى أقدامهم ثم قال خذيهم فآخذيهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم
قال اقبلي بكنوزهم وأموالهم فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى ييده فقال اذهبوا بني لاوى
فاستوت بهم الأرض . وقد روى عن قتادة أنه قال يخسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة . وعن ابن
عباس أنه قال خسف بهم إلى الأرض السابعة . وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا إسرائيليات كثيرة
أضربنا عنها صفحاً وتركناها قصداً . وقوله تعالى (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان
من المنتصرين) لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره كما قال (فإله من قوة ولا ناصر) ولما حل به ما حل
من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار واهلاك النفس والأهل والمقارندم من كان تمنى مثل
ما أوتى وشكروا الله تعالى الذى يدير عباده بما يشاء من حسن التدبير المحزون ولهذا قالوا (لولا أن
من الله علينا لخسف بنا ويك أنه لا يفلح الكافرون) وقد تكلمنا على لفظ ويك في التفسير وقد قال
قتادة ويكأن بمعنى ألم تران وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم . ثم أخبر تعالى (أن الدار
الآخرة) وهى دار القرار وهى الدار التى يغبط من أعطيها ويمزى من حرمها إنما هى سمعة للذين
لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً . فالعلو هو التكبر والفخر والاشتر والبطر والفساد هو عمل
المعاصى اللازمة والمتعمدة من أخذ أموال الناس وإفساد معاشهم والإساءة إليهم وعدم النصيح لهم ثم
قال تعالى (والعاقبة للمتقين) وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله فخسفنا به
وبداره الأرض فان الدار ظاهرة فى البنيان وقد تكون بعد ذلك فى التيه وتكون الدار عبارة عن
المحلة التى تضرب فيها الخيام كما قال عنتره .

يادَارُ عِبْلَةً بِالْجَوَائِرِ تَكْلِي * * * وَيَعِي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةٍ وَأَسْلِي

والله أعلم . وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون فى غير ما آية من القرآن . قال الله (ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) وقال تعالى فى سورة العنكبوت
بعد ذكر عاد وثمود . وقارون وفرعون وهامان (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات فاستكبروا فى الأرض
وما كانوا سابقين فكلاً اخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من
خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فالذى خسف به

الارض قارون كما تقدم والذي أغرق فرعون وهامان وجنودهما أنهم كانوا خاطئين . وقد قال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدقي عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وإبي بن خلف . انفرده احمد رحمه الله .

باب فضائل موسى عليه السلام وشمائله وصفاته ووفائه

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) . وقال تعالى قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) . وتقدم في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فاكون أول من يفيق فاجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري أصمق فافاق قبلي أم جوزى بصمقة الطور . وقدمنا أنه من رسول الله (ص) من باب الهضم والتواضع وإلا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم في الدنيا والاخرة قطعا جزما لا يحتل النقيض . وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأنساب) الى أن قال (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكفوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) قال الامام أبو عبد الله البخاري حدثنا اسحق بن ابراهيم بن روح بن عباد عن عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) إن موسى كان رجلا حيا سيرا لا يرى جلده شيء استحياء منه فأذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده إما برص أو أذرة أو آفة وأن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر * ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو خمسا قال فذلك قوله عز وجل باليهما الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) . وقد رواه الامام احمد من حديث عبد الله بن شقيق وهام بن منبه عن أبي هريرة به وهو في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عنه به ورواه مسلم من حديث عبد الله بن شقيق القيلي عنه *

قال بعض السلف كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله وطلب منه أن يكون معه وزيراً فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجعله نبياً كما قال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) ثم قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة حدثنا الأعمش سألت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال قسم رسول الله (ص) قسماً فقال رجل إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فابت النبي (ص) فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه * ثم قال يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر . وكذا رواه مسلم من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الامام أحمد حدثنا أحمد بن حجاج سمعت اسراييل ابن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لهمدان عن زيد بن أبي زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (ص) لأصحابي لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر قال واتي رسول الله (ص) مال قسسه قال فررت برجلي وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة فثبت حتى سمعت ما قالاً . ثم اتيت رسول الله فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً واتي مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله (ص) وشق عليه . ثم قال دعنا منك فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر . وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث اسراييل عن الوليد بن أبي هاشم به وفي رواية للترمذي ولأبي داود من طريق ابن عبد عن اسراييل عن السدي عن الوليد به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين في أحاديث الاسراء أن رسول الله (ص) مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره . ورواه مسلم عن أنس . وفي الصحيحين من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي (ص) أنه مر ليلة أسرى به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل هذا موسى فسلم عليه قال فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبي الصالح والآخر الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . وذكر ابراهيم في السماء السابعة . وهذا هو المحفوظ وما وقع في حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس من أن ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقد ذكر غير واحد من الحفاظ أن الذي عليه الجادة أن موسى في السادسة و ابراهيم في السابعة وأنه مسند ظهره الى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم . وانقثت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد (ص) وأمه خمسين صلاة في اليوم والليلة فر بموسى قال ارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك فإني قد عاجلت بني اسراييل قبلك أشد المعالجة وإن امتك اضعف اسما عا وبصارا واقدة فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت الى خمس صلوات في اليوم والليلة وقال الله تعالى هي خمس وهي خمسون أي بالمضاعفة فجزي الله عنا محمداً (ص) خيراً وجزي الله عنا موسى عليه السلام خيراً . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا حصين

ابن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله (ص) يوماً فقال عرضت على الأمم ورأيت سواداً كثيراً أسد الافق قبيل هذا موسى في قومه . هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا مختصراً وقد رواه الامام أحمد مطولاً فقال حدثنا شريح حدثنا هشام حدثنا حصين بن عبد الرحمن . قال كنت عند سعيد بن جبير فقال أياكم رأى الكوكب الذي اقض البارحة قلت أنا ثم قلت إني لم أكن في صلاة ولكن لدغت . قال وكيف فعلت قلت استرقيت . قال وما حملك على ذلك قال قلت حديث حدثناه الشعبي عن بريدة الاسلمى أنه قال لا رقية الا من عين أو حمة فقال سعيد يعني ابن جبير قد أحسن من انتهى الى ما سمع ثم قال حدثنا ابن عباس عن النبي (ص) قال عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع لي سواد عظيم فقلت هذه أمي قبيل هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فاذا سواد عظيم ثم قيل انظر الى هذا الجانب فاذا سواد عظيم قبيل هذه أمك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض رسول الله (ص) فدخل فحاض القوم في ذلك فقالوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلمهم الذين صحبوا النبي (ص) . وقال بعضهم لعلمهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشرکوا بالله شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج اليهم رسول الله (ص) فقال ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه فأخبروه بمقاتلتهم فقال هم الذين لا يكتنون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محيصن الاسدي فقال أنا منهم يا رسول الله قال أنت منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة . وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً وهو في الصحاح والحسان وغيرها وسنوردها إن شاء الله تعالى في باب صفة الجنة عند ذكر احوال القيامة وأهوالها . وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيراً واثني عليه واورد قصته في كتابه العزيز مراراً وكررها كثيراً مطولة ومبسوطة ومختصرة واثني عليه بليغاً . وكثيراً ما يقرنه الله ويذكره ويذكر كتابه مع محمد (ص) وكتابه كما قال في سورة البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) وقال تعالى (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) وقال تعالى في سورة الانعام (وما تمذروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباءكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولننذر ام القرى ومن خولها والذين يؤمنون بآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فاثني تعالى على التوراة ثم مدح

القرآن العظيم مدحاً عظيماً وقال تعالى في آخرها ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بَلَقَاءً رَبِّهِمْ يَؤْمِنُونَ . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واطقوا لأحكامه
ترحمون﴾ وقال تعالى في سورة المائدة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ
وَإَخْشَوْنَ اللَّهَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِنَا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ إلى أن قال
﴿وَلِيُحْكَمْ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمناً عَلَيْهِ (الْآيَةُ) لِنُجْعَلَ الْقُرْآنَ حَاسِباً عَلَى سَائِرِ
الْكِتَابِ غَيْرِهِ وَجَعَلَهُ مُصَدِّقاً لَهَا وَمُهَيِّمناً مَوْقِعَ فِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اسْتَحْفَظُوا
عَلَى مَا بِيَدِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حِفْظِهَا وَلَا عَلَى ضَبْطِهَا وَصَوْنِهَا فَلِهَذَا دَخَلَهَا مَا دَخَلَهَا مِنْ تَغْيِيرِهِمْ
وَتَبْدِيلِهِمْ لِسُوءِ فَهْمِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي عُلُومِهِمْ وَرَدَائَةِ قُصُودِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ لِعِبَادَتِهِمْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ الْمُتَابِعَةُ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ الْبَينِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ مَا لَا يُوجَدُ وَمَا لَا يُوْجَدُ
مِثْلُهُ وَلَا يَعْرِفُ . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرَى
لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ . وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ﴾ وقال الله تعالى في سورة القصص ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ . قُلْ فَأْتُوا
بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . فإني الله على السكتائين وعلى الرسولين
عليهما السلام . وقالت الجن لقومهم إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ . وَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ
نُوفْلٍ لَمَّا قُصَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : خَيْرٌ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْأَوَّلِ الْوَحْيِ وَتَلَا عَلَيْهِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَلَمَّ﴾ قَالَ سُبُوحٌ سُبُوحٌ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ .
وَبِالْجَمَلَةِ فَشَرِيعَةُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ عَظِيمَةً وَامَّتُهُ كَانَتْ أُمَّةً كَثِيرَةً
وَوُجِدَ فِيهَا أَنْبِيَاءٌ وَعُلَمَاءٌ وَعِبَادٌ وَزُهَادٌ وَأَبَاءٌ وَمُلُوكٌ وَأَمْرَاءٌ وَسَادَاتٌ
وَكِبْرَاءٌ . لَكِنْهُمْ كَانُوا فَبَادُوا وَتَبَدَّلُوا كَمَا بَدَلَتْ شَرِيعَتُهُمْ
وَمَسَخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَهُمْ نَسَخَتْ بَعْدَ كُلِّ حِسَابٍ مِلَّتَهُمْ
وَجُرَتْ عَلَيْهِمْ خُطُوبٌ وَأُمُورٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا
وَلَكِنْ سَنُورِدُ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَهُ
خَبَرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ التَّيَقُّنُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ

حجّة عليه السلام الى البيت الحرام

قال الامام احمد حدثنا هشام حدثنا داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس أن رسول الله (ص) مر بوادي الأزرق فقال أيّ واد هذا . قالوا وادي الأزرق . قال كافي أنظر الى موسى وهو هابط من الثنية وله جوار الى الله عز وجل بالتلبية حتى أتى على ثنية هرشاء . فقال أي ثنية هذه قالوا هذه ثنية هرشاء قال كافي أنظر الى يونس بن متى على ناقه حمراء عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة . قال هشيم يعني ليفاً وهو يلي . أخرجه مسلم من حديث داود بن أبي هند به . وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً إن موسى حج على ثور أحمر وهذا غريب جداً . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال ما يقولون قال يقولون مكتوب بين عينيه (ك ف ر) فقال ابن عباس لم أسمعه قال ذلك ولكن . قال أما إبراهيم فانظروا الى صاحبكم . وأما موسى فرجل آدم جعد الشعر على جل أحمر مخطوم بخلبة كافي أنظر اليه وقد انحدر من الوادي يلي قال هشيم الخلبة الليف ثم رواه الامام احمد عن أسود عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) رأيت عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم فلما عيسى فايض جعد عريض الصدر . وأما موسى فآدم جسيم . قالوا فإبراهيم قال أنظروا الى صاحبكم . وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا شيخان قال حدث قتادة عن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس قال قال نبي الله (ص) رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنؤة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس وأخرجاه من حديث قتادة به . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) حين أسرى به لقيت موسى فنعته فقال رجل قال حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنؤة . ولقيت عيسى . فنعته رسول الله (ص) فقال ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني حمّاما قال ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولد . به الحديث . وقد تقدم غالب هذه الاحاديث في ترجمة الخليل

ذكر وفاته عليه السلام

قال البخاري في صحيحه (وفاة موسى عليه السلام) حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه

صكه فرجع الى ربه عز وجل فقال أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه قل له يضع يده على
متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال أى رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فلا آن قال فسأل
الله عز وجل أن يدينه من الارض المقدسة رمية بحجر . قال أبو هريرة فقال رسول الله (ص) فلو
كنت سمع لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكتيب الاحمر . قال وأبنا معاير عن همام عن أبي هريرة
عن النبي (ص) نحوه . وقد روى مسلم الطريق الاول من حديث عبد الرزاق به ورواه الامام أحمد
من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعاً وسيأتى . وقال الامام أحمد
حدثنا الحسن حدثنا ابن طهية حدثنا أبو يونس يعنى سليم بن جبير عن أبي هريرة قال الامام أحمد لم
يرفسه . قال جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال أجب ربك فطم موسى عين ملك الموت
فقأها . فرجع الملك الى الله فقال إنك بمتنى الى عبد لك لا يريد الموت . قال وقد قأ عيني قال فرد
الله عينه وقال ارجع الى عبدى قتل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فسا
وارت يدك من شعره فانك تمشي بها سنة قال ثم مه قال ثم الموت قال فلا آن يارب من قريب . تفرد
به أحمد وهو موقوف بهذا اللفظ . وقد رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق معاير عن ابن طاووس
عن أبيه عن أبي هريرة قال معاير وأخبرنى من سمع الحسن عن رسول الله فذكره ثم استشكاه ابن
حبان وأجاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمحيته له على غير صورة يعرفها موسى
عليه السلام كما جاء جبريل فى صورة أعرابى وكما وردت الملائكة على إبراهيم ولوط فى صورة شباب
فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً وكذلك موسى لعله لم يعرفه لذلك ولطمه فقأ عينه لانه دخل داره بغير
أذنه وهذا موافق لشرعتنا فى جواز فق عين من نظر اليك فى دارك بغير إذن * ثم أورد الحديث من
طريق عبد الرزاق عن معاير عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) جاء ملك الموت الى
موسى ليقبض روحه قال له أجب ربك فطم موسى عين ملك الموت فقأ عينه وذكر تمام الحديث كما
أشار اليه البخارى ثم تأوله على أنه لما رفع يده ليطمه قال له أجب ربك وهذا التأويل لا يتشبه على
ماورد به اللفظ من تعقيب قوله أجب ربك بلطمه ولو أستر على الجواب الاول لتشبه له وكأنه لم يعرفه
فى تلك الصورة ولم يحمل قوله هذا على أنه مطابق اذ لم يتحقق فى الساعة الراهنة أنه ملك كريم لانه كان
يرجو أموراً كثيرة كان يجب وقوعها فى حياته من خروجه من التيه ودخولهم الارض المقدسة وكان قد
سبق فى قدرة الله أنه عليه السلام يموت فى التيه بعد هرون أخيه كما سنبينه إن شاء الله تعالى . وقد زعم
بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذى خرج بهم من التيه ودخل بهم الارض المقدسة . وهذا خلاف
ما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين . وبما يدل على ذلك قوله لما اختار الموت رب أدنى الى الارض
المقدسة رمية حجر . ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ولكن لما كان مع قومه بالتية وحانت وفاته عليه

السلام أحب أن يتقرب الى الارض التي هاجر اليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها القدر رمية بمحجر ولهذا قال سيد البشر . ورسول الله الى أهل الوبر والمدر . فلو كنت ثم لاريتم قبره عند الكتيب الاحمر . وقال الامام حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وسليمان التيمي عن أنس بن مالك إن رسول الله (ص) قال لما أسرى بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحى الى موسى إني متوف هرون فأتته به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هم بشجرة لم تر شجرة مثلها واذا هم بيت مبني واذا هم بسريز عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السريز قال له موسى قم عليه قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له لا ترهب أنا أ كفيك رب هذا البيت قم . قال يا موسى نعم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً . فلما نلما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السريز به الى السماء فلما رجع موسى الى قومه وليس معه هرون قالوا فان موسى قتل هرون وحسده حب بنى إسرائيل له وكان هرون أكف عنهم والبن لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظة عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كن أخى أفتروني أقتله . فلما أ كثروا عليه قام فضلى ركبتين ثم دعا الله فنزل السريز حتى نظر وأكاليه بين السماء والأرض . ثم إن موسى عليه السلام بينما هو يمشى ويوشع فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع . فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا قتلت نبي الله . فقال لا والله ما قتلت له ولكنه أستل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله . قال فاذا لم تصدقوني فآخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وإنما قد رفضناه الينا فتركوه ولم يبق احد ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى الامات ولم يشهد الفتح وفي بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله أعلم . وقد قدمنا أنه لم يخرج احد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهو زوج مريم أخت موسى وهرون وهما الرجلان المذكوران فيما تهدم اللذان أشارا على ملائكة بني إسرائيل بالدخول عليهم وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملاً من الملائكة يحفرون قبراً فلم يرا حسن منه ولا أنضر ولا أبهج فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد من عباد الله كريم فان كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه الى ربك وتنفس أسهل تنفس ففعل ذلك فأتت صلوات الله

وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه* وذكروا أهل الكتاب وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة وقد قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال يونس رفع هذا الحديث الى النبي (ص) قال كان ملك الموت يأتي الناس عيانا قال فأتى موسى عليه السلام فلطمه فقفا عينه فأتى ربه فقال يا رب عبدك موسى قفا عيني ولولا كرامته عليك لميت عليه . وقال يونس لشققت عليه . قال له اذهب الى عبدى . فقل له فليضع يده على جلد (أو) أمسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فاتاه فقال له فقال ما به هذا قال الموت قال فلان قال فشبه شمة قبض روحه . قال يونس فرد الله عليه عينه وكان يأتي الناس خفية* وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن مصعب بن المقدم عن حماد بن سلمة به فرضه أيضا

نبوة يوسع وقبيله باجبا، نبي (يسر) يسيل بعد موسى وهرون

هو يوشع بن نون بن أفرائيم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام واهل الكتاب يقولون يوشع بن عم هود وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم من قوله (واذ قال موسى لفتهاه* فلما جاوزا قال لفتهاه) وقدمنا ثابت في الصحيح من روايته أبي ابن كعب رضى الله عنه عن النبي (ص) من أنه يوشع بن نون وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب فان طائفة منهم وهم السامرة لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى الا يوشع بن نون لانه مصرح به في التوراة ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم فمليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة .

واما ملحكا ابن جرير وغيره من المفسرين عن محمد بن اسحق من أن النبوة حوت من موسى الى يوشع في آخر عمر موسى فكان موسى يلقي يوشع فيسأله ما احدث الله من الاوامر والنواهي حتى قال له يا كليم الله اني كنت لا اسألك عما يوحى الله اليك حتى تخبرني انت ابتداء من تلقاء نفسك فعند ذلك كره موسى الحياة واحب الموت ففى هذا نظر لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر والوحى والتشريع والكلام من الله اليه من جميع أحواله حتى توفاه الله عز وجل ولم يزل معززا مكرما مدلا وجيها عند الله كما قدمنا في الصحيح من قصة قتله عين ملك الموت ثم بعثه الله اليه ان كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها قال ثم ماذا قال الموت قال فلان يا رب وسأل الله أن يديه الى بيت المقدس رمية بحجر وقد اجيب الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه

فهذا الذي ذكره محمد بن اسحق إن كان إنما يقوله من كتب أهل الكتاب ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة أن الوحي لم يزل ينزل على موسى في كل حين يحتاجون إليه إلى آخر مدة موسى كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تابوت الشهادة في قصة الزمان . وقد ذكروا في السفر الثالث أن الله أمر موسى وهاورن أن يعدا ابني إسرائيل على أسباطهم وأن يجعلوا على كل سبط من الاثني عشر أميراً وهو النقيب وما ذاك إلا ليتأهبوا للقتال قتال الجبارين عند الخروج من التيه وكان هذا عند اقتراب اقضاء الاربعين سنة . ولهذا قال بعضهم إنما قفا موسى عليه السلام عين ملك الموت لانه لم يعرفه في صورته تلك ولأنه كان قد أمر بأمر كان يرتجى وقوعه في زمانه ولم يكن في قدر الله أن يقع ذلك في زمانه بل في زمان فناء يوشع بن نون عليه السلام كما أن رسول الله (ص) كان قد أراد غزو الروم بالشام فوصل إلى تبوك ثم رجع عامه ذلك في سنة تسع . ثم حج في سنة عشر ثم رجع فجهز جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه ثم كان على عزم الخروج اليهم امثالاً لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ولما جهز رسول الله جيش أسامة توفي عليه الصلاة والسلام واسامة تخيم بلجرف فقتله صديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم لما لم تشع جزيرة العرب وما كان دهي من أمر أهلها وعاد الحق إلى نصابه جهز الجيوش يمنة ويسرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس وإلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم ففتح الله لهم ومكن لهم وبهم وملسكم نواصي أعدائهم كما سنورده عليك في موضعه إذا انتهينا إليه مفصلاً إن شاء الله بعونه وتوفيقه وحسن إرشاده * وهكذا موسى عليه السلام كان الله قد أمره أن يجند بني إسرائيل وأن يجعل عليهم قباء كما قال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبشنا منهم اثني عشر نبياً) وقال الله (إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سياكم ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) يقول لهم لئن قمتم بما أوجبت عليكم ولم تنكروا عن القتال كما نكلتم أول مرة لاجل ثواب هذه مكفراً لما وقع عليكم من عقاب تلك كما قال تعالى لمن تخلف من الأعراب عن رسول الله (ص) في غزوة الحديبية « قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد فقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً » وهكذا قال تعالى لبني إسرائيل (فن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم ذمهم تعالى على سوء صنيعهم وقضهم موافقهم كما ذم من بدم من النصارى على اختلافهم في دينهم وأديانهم . وقد ذكرنا ذلك في التفسير مستقصى والله الحمد .

والمقصود أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل بمن يحمل

السلح وقاتل ممن بلغ عشرين سنة فصاعدا وأن يجعل على كل سبط قريبا منهم . السبط الاول سبط
رويل لانه بكر يعقوب كان عدة المقاتلة منهم ستة وأربعين الفا وخمسةائة . وقيهم منهم وهو اليصور
ابن شديثورا . السبط الثاني سبط شمعون وكانوا تسعة وخمسين الفا وثلاثمائة . وقيهم شلوميئيل بن
هوريشداى . السبط الثالث سبط يهوذا وكانوا أربعة وسبعين الفا وستائة . وقيهم نحشون بن عمناداب .
السبط الرابع سبط ايساخرو كانوا أربعة وخمسين الفا وأربعمائة وقيهم نشائيل بن صوغر . السبط الخامس
سبط يوسف عليه السلام وكانوا أربعين الفا وخمسمائة وقيهم يوشع بن نون . السبط السادس سبط ميثا
وكانوا أحدا وثلاثين الفا ومائتين وقيهم جليئيل بن فدهصور . السبط السابع سبط بنيامين وكانوا خمسة
وثلاثين الفا وأربعمائة وقيهم أيدين بن جدعون . السبط الثامن سبط حاد وكانوا خمسة وأربعة الفا وستائة
وخمسين رجلا وقيهم الياساف بن رعوييل . السبط التاسع سبط أشير وكانوا أحدا وأربعين الفا وخمسمائة
وقيهم فجعيثيل بن عكرن . السبط العاشر سبط دان وكانوا إثنين وستين الفا وسبعائة وقيهم أخيعزر
ابن عمشداى . السبط الحادى عشر سبط نفتالى وكانوا ثلاثة وخمسين الفا وأربعمائة . وقيهم أخيرع بن عين
السبط الثانى عشر سبط زبولون وكانوا سبعة وخمسين الفا وأربعمائة وقيهم الباب بن حيلون . هذا نص
كتابهم الذى بأيديهم والله أعلم . وليس منهم بنو لاوى فامر الله موسى أن لا يعدم معهم لانهم موكلون
بحمل قبة الشهادة وضربها ونصبها وحملها اذا ارتحلوا وهم سبط موسى وهرون عليهما السلام وكانوا
اثنتين وعشرين الفا من ابن شهر فافا فوق ذلك * وهم فى أنفسهم قبائل الى كل قبيلة طائفة من قبة
الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحها ونصبها وحملها وهم كلهم حولها ينزلون ويرتحلون أمامها
ويمنتها وشمالها ووراءها . وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بنى لاوى خمسمائة الف وأحد وسبعون الفا وستائة
وسنة وخمسون لكن قالوا فكان عدد بنى إسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن حمل
السلح ستمائة الف وثلاثة الآف وخمسمائة وخمسة وخمسين رجلا سوى بنى لاوى وفى هذا نظر فان
جميع الجمل المتقدمة إن كانت كما وجدنا فى كتابهم لا تطابق الجملة التى ذكروها والله أعلم . فكان
بنو لاوى الموكلون بحفظ قبة الزمان يسرون فى وسط بنى إسرائيل وهم القلب ورأس الميمنة بنو رويل
ورأس الميسرة بنوران وبنو نفتالى يكونون ساقه * وقرر موسى عليه السلام بأمر الله تعالى له الكهانة فى
بنى هرون كما كانت لا يهيم من قبلهم وهم ناداب وهو بكره وأيهو والعاذر ويشر . والمقصود أن بنى
إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا (فاذهب أنت وربك
قتاتلا إنا ههنا قاعدون) قاله الثورى عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس وقاله قتادة وعكرمة ورواه
السدى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة حتى قال ابن عباس وغيره من علماء السلف
وانخلف ومات موسى وهرون قبله كلاهما فى التيه جميعا وقد زعم ابن اسحق أن الذى فتح بيت المقدس

هو موسى وإنما كان يوشع على مقدمته وذكر في سروره إليها قصة بلعام بن باعور الذي قال تعالى فيه (وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فثله كمثل الكلب ان يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فانقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) وقد ذكرنا قصته في التفسير وأنه كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما ألحوا عليه ركب حمارة له . ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها ضرباً أشد من الأول فقامت ثم ربضت فضربها فقالت له يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسيان . ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فاخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك فاعتذر إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا واندلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة . ثم أمر قومه أن يزينا النساء ويمشوهن بالامتنع يبعن عليهم ويتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فانه متى زفي دخل منهم كفيتموهم ففعلوا وزينا نساءهم وبعثوهن إلى المعسكر ففرت امرأة منهم اسمها كسقي برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمرى بن شلوم . يقال إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها فقتله فلما خلاها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فجعل يحوس فيهم فلما بلغ الخبر إلى فتخاص بن العزار بن هرون أخذ حريقه وكانت من حديد فدخل عليهما القبة فانتظمهما جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفضهما نحو السماء وجعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين ألفاً والمقلل يقول عشرين ألفاً وكان فتخاص بكر أبيه العزار ابن هرون فلماذا يجعل بنو إسرائيل لولد فتخاص من الذبيحة اللية والذراع واللقى ولهم البكر من كل أموالهم وأنفسهم . وهذا الذي ذكره ابن اسحق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء السلف لكن لعله لما أراد موسى دخول بيت المقدس أول مقدمه من الديار المصرية ولعله مراد ابن اسحاق ولكنه ما فهمه بعض الناقلين عنه وقد قدمنا عن نص التوراة ما يشهد لبعض هذا والله أعلم . ولعل هذه قصة أخرى كانت في خلال سيرهم في التيه فان في هذا السياق ذكر حسيان وهي بيعة عن أرض بيت المقدس أو لعله كان هذا جيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصداً بيت المقدس كما صرح به السدي . والله أعلم . وعلى كل تقدير فالذي عليه الجمهور أن هرون توفي بالتيه

قبل موسى أخيه بنحو من سنتين . وبعده موسى في التيه أيضا كما قدمنا وانه سأل ربه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك فكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع بنى اسرائيل نهر الاردن واتي الى اريحا وكانت من أحصن المدائن سوراً واعلاها قصوراً واكثرها أهلاً فحاصرها ستة أشهر . ثم إنهم أحاطوا بها يوماً وضربوا بالقرون يعنى الابواق وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكا كثيرة . ويقال إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام . وذكروا أنه انتهى محاصرته لها إلى يوم جمعة بعد العصر . فلما غربت الشمس أو كادت تنزرب ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال لها إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على غيبها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد وأمر القمر فوقف عند الطلوع وهذا يقتضى أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر والاول وهو قصة الشمس المذكورة في الحديث الذى ساذكره . وأما قصة القمر فن عند أهل الكتاب ولاينا في الحديث بل فيه زيادة تستفاد فلا تصدق ولا تكذب ولكن ذكرهم أن هذا فى فتح اريحا فيه نظر والاشبه والله أعلم أن هذا كان فى فتح بيت المقدس الذى هو المقصود الأعظم وفتح اريحا كان وسيلة اليه والله أعلم .

قال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع لىالى سار إلى بيت المقدس . انفرده به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخارى . وفيه دلالة على أن الذى فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى وان حبس الشمس كان فى فتح بيت المقدس لا اريحا كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام فبدل على ضعف الحديث الذى روينا أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبي طالب صلاة العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبي (ص) على ركبته فسأل رسول الله أن يردّها عليه حتى يصلى العصر فرجعت . وقد صححه على بن صالح المصرى ولكنه منكر ليس فى شئ من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعى على قتله وفردت بنقله امرأة من أهل البيت بمجهولة لا يعرف حالها والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : غرأ نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل قد ملك بضم امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين . ولا آخر قد بنى بناها ولم يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها ففزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله فابت أن تطعمه

فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول ولتبايعني
 قبيلتك فبايعته قبيلته فلصق بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غلاتهم فأخرجوا له مثل رأس بقرة
 من ذهب قال فوضعوه بالمال وهو بالصعيد فاقبلت النار فأكلته فلم تحمل الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بأن الله
 رأى ضعفنا وعجزنا فطبعها لنا . افرد به مسلم من هذا الوجه . وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة
 عن عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (ص) نحوه . قال ورواه محمد بن عجلان عن
 سعيد المقبري قال ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي (ص) . والمقصود أنه لما
 دخل بهم باب المدينة أسروا أن يدخلوها سجدا أي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به
 عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدم إياه وإن يقولوا حال دخولهم حطة أي خطبنا خطيانا التي
 سلفت من نكولنا الذي تقدم منا . ولهذا لما دخل رسول الله (ص) مكة يوم فتحها دخلها وهو
 راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر حتى أن عثونه وهو طرف لحيته ليس مورك رحله مما يطأطئ
 رأسه خضعنا لله عز وجل ومعه الجنود والجيوش ممن لا يرى منه إلا الحدق ولا سيما الكتيبة الخضراء
 التي فيها رسول الله (ص) ثم لما دخلها اغتسل وصلى ثمانى ركعات وهي صلاة الشكر على النصر على
 المنصور من قولى العلماء . وقيل إنها صلاة الضحى وما حمل هذا القائل على قوله هذا إلا لأنها وقعت
 وقت الضحى . وأما بنو إسرائيل فأنهم خالفوا ما أسروا به قولاً وفعلادخلوا الباب يزحفون على
 استاهم يقولون حبة في شعرة وفي رواية حنطة في شعرة . وحاصله أنهم بدلوا ما أسروا به واستهزؤا به
 كما قال تعالى حاكياً عنهم في سورة الاعراف وهي مكية (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
 حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفَرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلُمُونَ) وقال في سورة البقرة
 وهي مدنية مخاطباً لهم (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفَرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
 الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) . وقال الثوري عن الأعشى عن المنهال بن عمرو عن
 سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجداً قال ركعاً من باب صغير . رواه الحاكم وابن جرير
 وابن أبي حاتم وكذا روى الباقون عن ابن عباس وكذا روى الثوري عن ابن إسحاق عن البراء . قال
 مجاهد والسدى والضحاك والباب هر باب حطة من بيت إيلياء بيت المقدس . قال ابن مسعود فدخلوا
 مقنعي رؤوسهم ضد ما أسروا به وهذا لا ينافي قول ابن عباس أنهم دخلوا يزحفون على استاهم . وهكذا
 في الحديث الذي سنورده بعد فأنهم دخلوا يزحفون وهم مقنعوا رؤوسهم . وقوله وقولوا حطة الواو هنا
 حالية لا عاطفة أي ادخلوا سجداً في حال قولكم حطة . قال ابن عباس وعطاء والحسن وقاتدة والربيع

أمرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا * قَالَ الْبَخَارِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَنْبُهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (ص) قَالَ قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى اسْتَاغْفِرِهِمْ فَبَدَلُوا وَقَالُوا حِطَّةٌ حِطَّةٌ فِي شَعْرَةٍ . وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الْمُبَارَكِ يَبْعُضُهُ وَرَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ بِهِ مَوْقُوفًا . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَا وَمَعْمَرٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَنْبُهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : قَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ فَغَفَرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ فَبَدَلُوا فَدَخَلُوا الْبَابَ يَرْحَفُونَ عَلَى اسْتَاغْفِرِهِمْ فَقَالُوا حِطَّةٌ فِي شَعْرَةٍ . وَرَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ كَانَ يُبَدِّلُهُمْ كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنْ لَا أَتُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي أَمَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ سَجْدًا يَرْحَفُونَ عَلَى اسْتَاغْفِرِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ حِطَّةٌ فِي شَعْرَةٍ . وَقَالَ إِسْبَاطُ عَنْ السُّدِّيِّ عَنْ مَرَّةٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ (فَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) قَالَ قَالُوا (هَطِي سَقَاتًا أِزْمَةً مَرْبَا) فَهِيَ فِي الْعَرَبِيَّةِ (حِطَّةٌ حِطَّةٌ حَمْرَاءُ مُتَقَوِّبَةٌ فِيهَا شَعْرَةٌ سَوْدَاءُ) وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَاقَبَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ بِأَرْسَالِ الرَّجَزِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الطَّاعُونَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ وَمِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ وَسَلَامِ بْنِ النَّضْرِ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَنَّهُ قَالَ إِنْ هَذَا الْوَجْعُ (أَوْ) السَّقَمُ رَجَزٌ عَذَبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ وَرَى النَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَهَذَا لَفْظُهُ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَخَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتٍ قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : الطَّاعُونَ رَجَزٌ عَذَابٌ عَذَبَ بِهِ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الرَّجَزُ الْعَذَابُ . وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو مَالِكٍ وَالسُّدِّيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ هُوَ الْغَضَبُ . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الرَّجَزُ إِمَّا الطَّاعُونَ وَإِمَّا الْبَرْدُ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هُوَ الطَّاعُونَ . وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ يَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَتِ الْمَقْدَسِ اسْتَمَرُّوا فِيهِ وَبَيْنَ أَظْهَرِهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ يَوْشَعَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ التَّوْرَةِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً فَكَانَ مَدَّةَ حَيَاتِهِ بَعْدَ مُوسَى سَبْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً

فَصَا الْخَضِرُ وَالْإِسْلَامُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

أَمَّا الْخَضِرُ فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحَلَ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي وَقَصَّ اللَّهُ مِنْ خَبَرِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ هُنَا وَأُورَدْنَا هُنَا ذِكْرَ الْحَدِيثِ

المصرح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذي رحل اليه هو موسى بن عمران بنى إسرائيل عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة .

وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته وحياته الى الآن على أقوال ساذ كرها لك ههنا إن شاء الله وبحوله وقوته * قال الحافظ ابن عساكر يقال إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ثم روى من طريق الدار قطنى حدثنا محمد بن الفتح القلانسي حدثنا العباس بن عبد الله الرومى حدثنا رواد بن الجراح حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسبه له في أجله حتى يكذب الدجال وهذا منقطع وغريب . وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني سمعت مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا إن أطول بنى آدم عمراً الخضر وإسمه خضرون بن قاييل بن آدم قال وذكر ابن اسحق أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقع بالناس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسده معهم في السفينة وأن يدفنوه في مكان عينه لهم . فلما كان الطوفان حملوه معهم فلما هبطوا الى الأرض أمر نوح بنيه أن يذهبوا يدينه فيدفنوه حيث أوصى فقالوا إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة فخرضهم وحثمهم على ذلك . وقال إن آدم دعا لمن يلي دفنه بطول العمر فهابوا المسير الى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسده عندهم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأنجز الله ما وعده فهو يحى الى ما شاء الله له أن يحيى . وذكر ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بلياً ويقال ايليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وقال اسماعيل بن أبي أويس اسم الخضر فيما بلغنا والله أعلم المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن لاذر . وقال غيره هو خضرون بن عياييل بن اليفز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل . ويقال هو أرميا بن خلتيا فله أعلم . وقيل إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جدا . قال ابن الجوزى رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة وهما ضعيفان . وقيل إنه ابن مالك . وهو أخو الياس قاله السدي كما سيأتى . وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين . وقيل كان ابن بعض من آمن بابراهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان نبياً في زمن بشتاسب بن هراسب

قال ابن جرير والصحيح أنه كان متقدماً في زمن أفريدون ابن اثنيان حتى أدركه موسى عليهما السلام . وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال الخضر أمه رومية وأبوه فارسي وقد ورد ما يدل على أنه كان من بنى إسرائيل في زمان فرعون أيضاً . قال أبو زرعة في دلائل النبوة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) أنه ليلة أسرى به وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة قال هذه ريح قبر الماشطة وأبنتها وزوجها وقال وكان بدء ذلك أن الخضر كان من

أشرف بنى إسرائيل وكان عمره براهب في صومعته فطلع عليه الراهب فعلمه الاسلام فلما بلغ الخضر زوجه أبوه امرأة فعلمها الاسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحدا وكان لا يقرب النساء ثم طلقها ثم زوجه أبوه باخرى فعلمها الاسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحداً ثم طلقها فكتمت إحداهما وأفشت عليه الاخرى فانطلق هاربا حتى أتى جزيرة في البحر فاقبل رجلان يخطبان فرأياه فكتم أحدهما وأفشى عليه الاخر قال قد رأيت العزقييل ومن رآه معك قال فلان فسئل فكتم وكان من دينهم انه من كذب قتل فقتل وكان قد تزوج الكاتمة المرأة الكاتمة قال فينهاى تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تس فرعون فاخبرت أباهما وكان للمرأة ابنان وزوج فارس اليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فايها فقال إني قاتلكما قتالا احسان منك الينا إن أنت قتلتنا أن نجعلنا في قبر واحد فجعلهما في قبر واحد فقال وما وجدت رجلا أطيب منهما وقد دخلت الجنة وقد تقدمت قصة مائلة بنت فرعون وهذا المشط في أمر الخضر قد يكون مدرجا من كلام أبي بن كعب أو عبد الله بن عباس والله أعلم . وقال بعضهم كنيته أبو العباس والاشبه والله أعلم أن الخضر لقب غلب عليه . قال البخارى رحمه الله حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال إنما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهنز من خلفه خضراء تفرد به البخارى وكذلك رواه عبد الرزاق عن معمر به . ثم قال عبد الرزاق الفروة الحشيش الابيض وما أشبهه يعنى المشيم اليابس . وقال الخطابي وقال أبو عمر الفروة الأرض البيضاء التى لا نبات فيها وقال غيره هو المشيم اليابس شبهه بالفروة ومنه قيل فروة الرأس وهى جلده بما عليها من الشعر كما قال الراعى .

وَلَقَدْ تَرَى الْحَبَشَى حَوْلَ يُونَنَّا جَذِلًا إِذَا مَاتَ يَوْمًا مَا كَلَّا
جَعْدًا أَصْلَكَ كُلَّ فُرُوعَ رَأْسِهِ بُذِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهُ فَلَفَلَا

قال الخطابي إنما سمي الخضر خضرا لحسنه واشراق وجهه * قلت هذا لا ينافى ما ثبت في الصحيح فان كان ولا بد من التعليل باحدهما فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت الى ما عدها وقد روى الحافظ ابن عساكر هذا الحديث أيضاً من طريق اسماعيل بن حفص بن عمر الايلي حدثنا عثمان وأبو جزى وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن النبي (ص) قال إنما سمي الخضر خضرا لانه صلى على فروة بيضاء فاهتزت خضراء . وهذا غريب من هذا الوجه وقال قبيصة عن الثورى عن منصور عن مجاهد قال إنما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله وتقدم أن موسى ويوشع عليهما السلام لما رجعا يقصان الاثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر وهو مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه فلم عليه السلام فكشف عن وجهه فرد وقال أنى بارضك السلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم فكان من أمرهما ما قصه

الله في كتابه عنهما .

وقد دل سباق القصة على نبوته من وجوه . أحدها قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من من لدنا علما) الثاني قول موسى له (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير نبي لم يكن معصوما ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولى غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب اليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقا من الزمان قيل ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى اليه كما يوحى اليه وقد خص من العلوم اللدنية والاسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بنى إسرائيل الكريم وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرمائي (١) على نبوة الخضر عليه السلام . الثالث أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحى اليه من الملك العلام * وهذا دليل مستقل على نبوته . وبرهان ظاهر على عصمته لان الولي لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلد له لان خاطره ليس بواجب العصمة اذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق . ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علما منه بانه اذا بلغ يكفر ويحمل أبويه عن الكفر لشدة محبتهما له فيتأبانه عليه ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته دل ذلك على نبوته وانه مؤيد من الله بعصمته . وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه . وحكى الاحتجاج عليه الرمائي أيضا . الرابع أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الافاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى قال بعد ذلك كله (رحمة من ربك وما فعلته من أمرى) يعنى ما فعلته من تلقاء نفسى بل أمرت به وأوحى الى فيه فدل ذلك هذه الوجوه على نبوته * ولا ينافى ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون . وأما كونه ملكا من الملائكة فغريب جدا . واذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وان الولي قد يطلع على حقيقة الامور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون اليه ولا معتمد يعتمدون عليه .

وأما الخلاف في وجوده الى زماننا هذا فالجمهور على انه باق الى اليوم . قيل لانه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة . وقيل لانه شرب من عين الحياة فحي .

وذكروا أخباراً استشهدوا بها على بقائه إلى الآن وسنوردها إن شاء الله تعالى وبه الثقة وهذه
 وصيته لموسى حين (قال هذا فراق بيني وبينك سأبنيكم بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) روى في ذلك
 آثار منقطعة كثيرة. قال البيهقي أنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أبو بكر
 ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا جرير حدثني أبو عبد الله الملقى قال لما أراد موسى أن
 يفارق الخضر قال له موسى أوصني قال كن فاعاً ولا تكن ضاراً. كن بشاشاً ولا تكن غضباناً. ارجع
 عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة. وفي رواية من طريق أخرى زيادة (ولا تضحك إلا من عجب). وقال
 وهب بن منبه قال الخضر يا موسى ان الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها وقال بشر بن الحارث
 الخافى قال موسى للخضر أوصني فقال يسر الله عليك طاعته. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه
 ابن عساكر من طريق ذكره ابن أبي عمير إلا أنه من الكذابين الكبار. قال قرئ على عبد الله بن
 وهب وأنا أسمع قال الثوري قال مجالد قال أبو الوداك قال أبو سعيد الخدري قال عمر بن الخطاب قال
 قال رسول الله (ص)، قال أخى موسى يارب ذكر كلمته فاتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض
 الثياب مشرهما فقال السلام عليك ورحمة الله يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام. قال موسى
 هو السلام واليه السلام والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصى نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته
 ثم قال موسى أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك. فقال الخضر يا طالب العلم ان القائل اقل
 ملامة (١) من المستمع فلا تمل جلساءك اذا حدثتهم واعلم ان قلبك وعاء فانظر ماذا تحشوه وعاءك. واغرف
 من الدنيا وانبذها ورايك. فانها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار. وانما جعلت بلغة للعباد والتزود منها
 ليوم المعاد. ورض نفسك على الصبر تخلص من الائم* يا موسى تفرغ للعلم ان كنت تريد انما العلم لمن تفرغ
 له* ولا تكن مكثراً للعلم مهذاراً فان كثرة المنطق تشين العلماء وتبدى مساوى السخفاء. ولكن عليك
 بالاعتقاد فان ذلك من التوفيق والسداد* وأعرض عن الجهال وما ظلمهم واحلم عن السفهاء فان ذلك فعل
 الحكماء وزين العلماء اذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً. وجانبه حزماً. فان ما بقى من جهله عليك
 وسبه نيك أكثر وأعظم* يا ابن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً* فان الاندلاث والتعسف
 من الاقتحام والتكاف* يا ابن عمران لا تفتحن باباً لا تدرى ما غلقه ولا تغلقن باباً لا تدرى ما فتحه* يا ابن
 عمران من لا ينتهى من الدنيا نهمة ولا تنتفضي منها رغبته ومن يحقر حاله ويتم الله فيما قضى له كيف
 يكون زاهداً. هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه. أو ينغمه طلب العلم والجهل قد حواه لان
 سعيه الى آخرته وهو مقبل على دنياه* يا موسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك
 بواره ولنيرك نوره* يا موسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر
 من الحسنات فانك مصيب السيئات وزرع بالخوف قلبك فان ذلك يرضى ربك واعمل خيراً فانك لا بد

عامل سوء . قد وعظتُ أن حفظتُ * قال فتولى الخضر وبقي موسى محزوناً مكروباً يبكي .

لا يصح هذا الحديث وأظنه من صنعة ذكرى بن يحيى الوقاد المصري كذبه غير واحد من الأئمة والعجب أن الحافظ بن عساكر سكت عنه * وقال الحافظ أبو فعيم الاصبهاني حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ثنا عمرو بن اسحاق بن ابراهيم بن الملاء الحمصي حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي حدثنا بقية بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبي امامة أن رسول الله (ص) قال لأصحابه ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا هو ذات يوم يمشي في سوق بني اسرائيل ابصره رجل مكاتب فقال تصدق على بارك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندي من شيء أعطيك فقال المسكين أسألك بوجه الله لما تصدقت على فاني نظرت الى السماء في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر آمنت بالله ما عندي من شيء أعطيك إلا أن تأخذني فتبيخني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق أقول لك لقد سألتني بأمر عظيم أما أني لا أخيك بوجه ربي يعني قال قدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له انك ابتعتني التماس خير عندي فأوصني بعمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف . قال ليس يشق علي . قال فانقل هذه الحجارة وكان لا يتقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد قل الحجارة في ساعة . فقال أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه . ثم عرض للرجل سفر فقال إني أحسبك أميناً فاخلقني في أهلي خلافة حسنة قال فأوصني بعمل قال إني أكره أن أشق عليك قال ليس تشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك ففضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناؤه فقال أسألك بوجه الله ماسبيك وما أمرك فقال سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية سأخبرك من أنا أنا الخضر الذي سمعت به سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه فسألتني بوجه الله فلمكنته من رقبتي فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو بقدر وقف يوم القيامة جلده لالحم له ولا عظم يتقمع . فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا بني الله ولم أعلم فقال لا بأس أحسنت وأقيت . فقال الرجل بأبي وأمي يا بني الله أحكم في أهلي ومالي بما أراك الله أو أخيرك فاخلني سبيك فقال أحب أن تخلني سبيلي فاعبد ربي فخلني سبيله * فقال الخضر الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نبأني منها . وهذا حديث رفته خطأ والأشبه أن يكون موقوفاً وفي رجاله من لا يعرف فالحق أعلم .

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر من طريق عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك عن بقية . وقد روى الحافظ بن عساكر بإسناده الى السدي أن الخضر والياس كانا أخوين وكان أبوهما ملكاً فقال الياس لايه إن أخى الخضر لا رغبة له في الملك فلو أنك زوجته لعله يحيى منه ولد يكون الملك له فزوجه أبوه بامرأة حسنة بكر فقال لما الخضر إنه لا حاجة لي في النساء فان

شئت اطلقت سراحك وان شئت أقت معي تعبدن الله عز وجل وتكتمين على سري فقالت نعم وأقامت معه سنة. فلما مضت السنة دعاها الملك فقال إنك شابة وابني شاب فإن الولد قتالت إنما الولد من عند الله ان شاء كان وان لم يشأ لم يكن فامرہ أبوه فطلقها وزوجه بأخرى ثيبا قد ولد لها فلما زفت اليه قال لها كما قال للتي قبلها فاجابت الى الاقامة عنده. فلما مضت السنة سأها الملك عن الولد فقالت إن ابنتك لا حاجة له بالنساء فتطلبه أبوه فهرب فارسل وراءه فلم يقدروا عليه. فيقال إنه قتل المرأة الثانية لكونها أشت سره فهرب من أجل ذلك وأطلق سراح الاخرى فاقامت تعبد الله في بعض نواحي تلك المدينة فمر بها رجل يوما فسمعه يقول بسم الله فقالت له أني لك هذا الاسم فقال إني من أصحاب الخضر فتزوجته فولدت له أولاداً. ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون فيبينا هي يوماً تمشطها إذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي فقالت لا ربى وربك ورب أيك الله فأعلمت أباه فامر بنقرة من نحاس فاحميت ثم أمر بها فألقيت فيه فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع فيها فقال لها ابن معها صغير يا أمه أصبري فانك على الحق فالتقت نفسها في النار فماتت رحمها الله * وقد روى ابن عساکر عن أبي داود الاعمى نفع وهو كذاب وضاع عن أنس بن مالك ومن طريق كثير ابن عبد الله بن عمرو بن عوف وهو كذاب أيضاً عن أبيه عن جده أن الخضر جاء ليللة فسمع النبي (ص) وهو يدعو ويقول اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفني وارزقني شوق الصالحين الى ماشوقتهم اليه فبعث اليه رسول الله أنس بن مالك فلم عليه فرد عليه السلام وقال قل له ان الله فضلك على الانبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على غيره الحديث وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متناً كيف لا يتمثل بين يدي رسول الله (ص) ويحيى بنفسه مسلماً ومتعلماً وهم يذكرون في حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم أن الخضر يأتي اليهم ويسلم عليهم ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالمهم وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف اليه بأنه موسى بن اسرائيل. وقد قال الحافظ أبو الحسين بن المنادي بعد ابراده حديث أنس هذا وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الاسناد سقيم المتن يتبين فيه أثر الصنعة. فلما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي قائلًا أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال لما قبض رسول الله (ص) أحرق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكي ثم التفت الى أصحاب رسول الله (ص) فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظر اليكم في البلاء فافظروا فان المصاب من لم يحبر وانصرف فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل فقال أبو بكر وعلى

نعم هو أخو رسول الله (ص)، الخضر عليه السلام . وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن كامل بن طلحة به وفي
متنه مخالفة لسياق البيهقي ثم قال البيهقي عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بكرة قلت عباد بن عبد
الصمد هذا هو بن معمر البصري . روى عن أنس نسخة قال ابن حبان والعقيلي أكثرها موضوع*
وقال البخاري منكر الحديث . وقال أبو حاتم ضعيف الحديث جداً منكروه . وقال بن عدى عامة ما روي به
في فضائل علي وهو ضعيف غال في التشيع . وقال الشافعي في مسنده أخبرنا القاسم بن عبد الله بن
عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال لما توفي رسول الله (ص)، وجاءت التعزية
سمعوا قائلاً يقول ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالحق ففتقوا
وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب . قال علي بن الحسين أندرون من هذا . هذا الخضر* شيخ
الشافعي القاسم العمري متروك . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يكذب . زاد أحمد ويضع الحديث
ثم هو مرسل ومثله لا يعتمد عليه ههنا والله أعلم . وقد روى من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد
عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي . ولا يصح . وقد روى عبد الله بن وهب عن حذفة عن محمد بن
عجلان عن محمد بن المنكدر أن عمر بن الخطاب بينما هو يصلي على جنازة اذ سمع هاتفا وهو يقول لا
تسبقنا يرحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للبيت إن تعذب فكثيرا عصاك وإن تغفر له فقفر
إلى رحمتك* ولما دفن قال طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريفاً أو جانياً أو خازناً أو كاتباً أو
شرطياً فقال عمر خذوا الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عن هو . قال فتواري عنهم فنظروا فإذا أثر قدمه
ذراع . فقال عمر هذا والله الخضر الذي حدثنا عنه رسول الله (ص)، . وهذا الاثر فيه مبهم وفيه اقطاع
ولا يصح مثله .

وروى الحافظ بن عساكر عن الثوري عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الاصم عن علي بن
أبي طالب قال دخلت الطواف في بعض الليل فاذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يمنعه
سمع من سمع ويامن لا تغلظه المسائل ويامن لا يبرمه الحاح الملحين ولا مسألة السائلين أرزقني برد عفوك
وحلاوة رحمتك قال قلت أعد علي ما قلت فقال لي أو سمعته قلت نعم فقال لي والذي نفس الخضر بيده
قال وكان هو الخضر لا يقولها عبد خلف صلاة مكتوبة إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل ذبذبة البحر
وورق الشجر وعدد النجوم لغفرها الله له . وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن المحرز فانه متروك
الحديث ويزيد بن الاصم لم يدرك علياً ومثل هذا لا يصح والله أعلم . وقد رواه أبو اسماعيل الترمذي
حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا صالح بن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي عن محمد بن يحيى
قال بينما علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله
سمع عن سمع ويامن لا يغلظه السائلون ويامن لا يتبرم بالحاح الملحين أرزقني برد عفوك وحلاوة رحمتك

قال فقال له على يا عبد الله أعد دعاءك هذا قال وقد سمعته قال نعم قال فادع به في دبر كل صلاة فوالذي
نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصباء الأرض وترابها لغفر
لك أسرع من طرفة عين . وهذا أيضا منقطع وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم .

وقد أورد ابن الجوزي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن يوسف حدثنا مالك بن
إسماعيل فذكر نحوه . ثم قال وهذا إسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر . وقال
الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أنبأنا أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد أنبأنا أبو اسحق
المزكي حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد أملاه علينا ببادان أنبأنا عمرو بن
عاصم حدثنا الحسن بن زريق عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى
النبي (ص) قال يلتقي الخضر والياس كل عام في الموسم فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان
عن هؤلاء الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف الشر إلا الله ماشاء الله
ما كان من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . قال وقال ابن عباس من قالهن حين يصبح
وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الفرق والحرق والسرقة قال وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان
والحية والعقرب .

قال الدار القطنى في الافراد هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير هذا
الشيخ عنه يعنى الحسن بن زريق هذا * وقد روى عنه محمد بن كثير العبدى أيضا ومع هذا قال فيه
الحافظ أبو أحمد بن عدى ليس بالمعروف * وقال الحافظ أبو جعفر العقيلي مجهول وحديثه غير محفوظ .
وقال أبو الحسن بن المنادى هو حديث واه بالحسن بن زريق . وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق
على بن الحسن الجهمضى وهو كذاب عن ضمرة بن حبيب المقدسى عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيري
عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعا قال يجتمع كل يوم عرفة بمرقات
جبريل وميكائيل وإسرافيل * والخضر وذكر حديثا طويلا موضوعا تركنا إبراده قصدا والله الحمد .
وروى ابن عساكر من طريق هشام ابن خالد عن الحسن بن يحيى الخشنى عن ابن أبي رواد قال الياس
والخضر يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة
تكفيهما إلى مثلها من قابل . وروى ابن عساكر أن الوليد بن عبد الملك بن مروان بأني جامع دمشق
أحب أن يتعب ليلة في المسجد فامر القومة أن تخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات
فدخل الجامع فاذا رجل قائم يصلى فيما بينه وبين باب الخضر فقال للقومة ألم أمركم أن تخلوه فقالوا
يا أمير المؤمنين هذا الخضر يحيى كل ليلة يصلى ههنا . وقال ابن عساكر أيضا أنبأنا أبو القاسم بن إسماعيل
ابن أحمد أنبأنا أبو بكر بن الطبري أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب هو

ابن سفيان الفسوي حدثني محمد بن عبد العزيز حدثنا حمزة عن السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال رأيت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه قلت في نفسي إن هذا الرجل حافى قال فلهما انصرف من الصلاة قلت من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً قال وهل رأيته يارباح قلت نعم قال ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل . قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي الرملي مجروح عند العلماء * وقد قدح أبو الحسين بن المنادي في ضربة والسري ورباح . ثم أورد من طرق آخر عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر وضعفها كلها . وروى ابن عساكر أيضاً أنه اجتمع بـ إبراهيم التيمي وبسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم . وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الاحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الاسناد * وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لانه يجوز عليه الخطأ والله أعلم . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أباسميد قال حدثنا رسول (س) حديثاً طويلاً عن الدجال وقال فيها يحدثنا يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل قباب المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خیرهم فيقول أشهد أنك أنت الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله (س) يحدثه فيقول الدجال أرايتم إن قتلت هذا ثم أحييته أقشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحياه فيقول حين يحيي والله ما كنت أشد بصيرة فيك مني الآن قال فريد قتله الثانية فلا يسلط عليه قال معمر بلغني أنه يجعل على حلقه صحيفة من نحاس وبلغني أنه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحياه وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري به وقال أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان القتيبي الراوي عن مسلم الصحيح أن يقال إن هذا الرجل الخضر وقول معمر وغيره بلغني ليس فيه حجة وقد ورد في بعض الفاظ الحديث فيأتي بشاب ممثلي شباباً فيقتله وقوله الذي حدثنا عنه رسول الله (س) لا يقتضي المشافهة بل يكفي التواتر . وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه بحالة المنتظر في شرح حالة الخضر للاحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدھا ببيان أحوالھا وجاهلھا رجالھا وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد * وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات ومنهم البخاري وإبراهيم الحاربي وأبو الحسين بن المنادي والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وقد اتصروا لذلك والفت فيه كتاباً سماه بحالة المنتظر في شرح حالة الخضر فيحتاج لهم بأشياء كثيرة * منها قوله (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فالخضر إن كان بشراً قد دخل في هذا العموم لا بحالة ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح انتهى والاصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله . ومنها أن الله تعالى قال (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصرى قالوا
أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن
بث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بث محمد وهم أحياء ليؤمنن
به وينصرنه. ذكره البخاري عنه فلنخضر إن كان نبيا أو وليا قد دخل في هذا الميثاق فلو كان حيا في زمن
رسول الله (ص). لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصل
أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان وليا فالصديق أفضل منه وإن كان نبيا فموسى أفضل منه وقد روى
الامام أحمد في مسنده حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله
أن رسول الله (ص) قال والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسع إلا أن يتبعني . وهذا الذي
يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة . وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم لو فرض
أنهم أحياء مكفون في زمن رسول الله (ص) لكانوا كلهم أتباعا له وتحت أوامره وفي عموم شرعه
كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع معهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كلهم ولما هبطوا معه إلى
بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم في محبل ولايتهم ودار
اقامتهم فدل على أنه الامام الأعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
أجمعين . فاذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حيا لكان من جملة أمة محمد
(ص) ومن يقتدى بشرعه لا يسمه إلا ذلك * هذا عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان
بحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يجحد عنها وهو أحد أولي العزم الخمسة المسلمين وخاتم أنبياء
بنى إسرائيل والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه أجمع برسول الله
(ص) في يوم واحد ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق
فيما دعا به لربه عز وجل واستنصره وأستفتحه على من كفره اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في
الأرض وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال
حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال إنه أخر بيت قاله العرب

وَبَيْزُ بَذْرٍ أَذِيرُ دُجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

فلو كان الخضر حيا لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته . قال القاضي
أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم قل وبلغني
مثل هذا عن أبي طاهر بن الغباري قال وكان يحتج بأنه لو كان حيا لجاء إلى رسول الله (ص) . قلله ابن
الجوزي في العجالة * فان قيل فهل يقال إنه كان حاضرا في هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه .
فالجواب أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات .

ثم ما الجاصل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لاجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمعجزته . ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله (ص) الاحاديث النبوية والآيات القرآنية وانكاره لما وقع من الاحاديث المسكونة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والاهواء العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم من سواهم وتسديده العلماء والحكام وتقريره الأدلة والاحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الامصار . وجوبه الفياق والاقطار . واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم . وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف احد فيه بعد التفهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) صلى ليلة العشاء ثم قال أرايتم ليلتكم هذه فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الارض اليوم أحد . وفي رواية عين تطرف . قال ابن عمر فَوَيْهَلِ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) هَذِهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْخَرَامَ قَرْنِهِ . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان ابن أبي خيثمة أن عبد الله بن عمر قال صلى رسول (ص) ذات ليلة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال أرايتم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الارض أحد وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول (ص) قبل موته بقليل أو بشهر مامن نفس منفوسة أو مامنكم من نفس اليوم منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا بن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر عن النبي (ص) أنه قال قبل أن يموت بشهر يسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله أقسم بالله ما على الارض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة . وهكذا رواه مسلم من طريق أبي نضرة وأبي الزبير كل منهما عن جابر بن عبد الله به نحوه . وقال الترمذي حدثنا عباد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول (ص) ما على الارض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة . وهذا أيضا على شرط مسلم * قال ابن الجوزي فهذه الاحايث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر * قالوا فان الخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله (ص) كما هو المظنون الذي يترقى في القوة الى القطع فلا إشكال وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعيش بعد مائة سنة فيكون الآن مقوداً لا موجوداً لانه داخل في هذا العموم والاصل عدم التخصيص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم . وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام عن البخاري وشيخه أبي بكر بن العربي أنه أدرك حياة النبي (ص) . ولكن مات بعده لهذا الحديث وفي كون البخاري رحمه الله يقول بهذا وأنه بقي الى زمان النبي (ص) نظر * ورجح السهيلي بقاءه وحكاها عن الاكثرين * قال وأما اجتماعه

مع النبي (ص) وتمزيته لاهل البيت بعده فروى من طرق صحاح ثم ذكر ماتقدم مما ضمهناه ولم يورد
أسانيدها والله أعلم

ورث الياست عليه السلام

قال الله تعالى بعد قصة موسى وهرون من سورة الصافات (وإن الياست لمن المرسلين. اذ قال لقومه
ألا تتقون. أندعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الاولين. فكذبوه فاهم
لمحضرون. إلا عباد الله المخلصين. وتركنا عليه في الآخرين. سلام على الياستين. إنا كذلك نجزي
المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين) قال علماء النسب هو الياست النشبي * ويقال ابن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون * وقيل الياست بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران. قالوا وكان ارساله الى
أهل بعلبك غربى دمشق فدعاهم الى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا. وقيل
كانت امرأة اسمها بعل والاول أصح. ولهذا قال لهم (ألا تتقون. أندعون بعلا وتذرون أحسن
الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الاولين) فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله فيقال إنه هرب منهم واخفى
عنهم * قال أبو يعقوب الأذري عن يزيد بن عبد الصمد عن هشام بن عمار قال وسمعت من يذكر عن
كعب الاحبار أنه قال إن الياست اختفى من ملك قومه في الغار الذى تحت الدم عشر سنين حتى أهلك
الله الملك وولى غيره فاتاه الياست فعرض عليه الاسلام فاسلم وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف
منهم فامرهم بقتلوا عن آخرهم. وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو محمد القاسم بن هاشم حدثنا عمر بن
سعيد الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال أقام الياست عليه السلام هاربا من
قومه في كهف جبل عشرين ليلة أو قال أربعين ليلة تأتيه الغربان برزقه. وقال محمد بن سعد كاتب
الواقدي أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه قال أول نبى بعث إدريس ثم نوح ثم ابراهيم
ثم اسماعيل واسحق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا
عمران ثم الياست النشبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم عليهم السلام هكذا قال وفى هذا الترتيب فطر * وقال مكحول عن كعب أربعة أنبياء أحياء
اثنان فى الأرض الياست والخضر واثنان فى السماء إدريس وعيسى. وقد قدمنا قول من ذكر أن
الياست والخضر يجتمعان فى كل عام فى شهر رمضان بيت المقدس وأنها يجبان كل سنة ويشربان
من زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من العام المقبل * وأوردنا الحديث الذى فيه أنها يجتمعان بمرقات
كل سنة وبيننا أنه لم يصح شئ من ذلك وأن الذى يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك الياست
عليهما السلام. وما ذكره وهب بن منبه وغيره أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه اليه لما كذبوه وآخوه

فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشا وألبسه النور وقطع عنه لثة المطعم والمشرب وصار ملكيا بشريا سماويا أرضيا وأوصى الى اليسع بن أخطوب ففى هذا نظر وهو من الاسرائيلات التى لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بيّنة والله أعلم .

فاما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنى أبو - ن أحد ابن سعيد المدائنى يخارنا حدثنا عبد الله بن محمود حدثنا عبدان بن سنان حدثنى أحمد بن عبد الله البرقى حدثنا يزيد بن يزيد البلوى حدثنا أبو اسحاق الفزارى عن الاوزاعى عن مكحول عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله (ص) فى سفر فنزلنا منزلا فاذا رحل فى الوادى يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد (ص) المرحومة المغفورة المثاب لها قال فأشرفت على الوادى فاذا رجل طوله أ كثر من ثلاثمائة ذراع فقال لى من أنت قلت أنس بن مالك خادم رسول الله (ص) قال فأين هو قلت هوذا يسمع كلامك قال فأنه فأقرئه السلام وقل له أخوك الياس يقرئك السلام قال فأتيت النبى (ص) فآخبرته فجاء حتى لقيه ففأقاه وسلم ثم قعدا يتحادثان فقال له يا رسول الله إني مآ كل فى سنة إلا يوما وهذا يوم فطرى فأكل أنا وأنت قال فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحتوت وكرفس فأكلا وأطعماني وصلينا العصر ثم ودعه ورأيت مر فى السحاب نحو السماء . فقد كفانا البيهقى أمره وقال هذا حديث ضعيف بمره والعجب أن الحاكم أبا عبد الله النيسابورى أخرجه فى مستدركه على الصحيحين وهذا مما يستدرك به على المستدرك فانه حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه . ومعناه لا يصح أيضا فقد تقدم فى الصحيحين أن رسول الله (ص) قال إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى السماء الى أن قال ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وفيه أنه لم يأت الى رسول الله (ص) حتى كان هو الذى ذهب اليه . وهذا لا يصح لانه كان أحق بالسعى الى بين يدي خاتم الانبياء . وفيه أنه يأكل فى السنة مرة وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لثة المطعم والمشرب وفيما تقدم عن بعضهم أنه يشرب من زمزم كل سنة شربة تكفيه الى مثلها من الحول الآخر . وهذه أشياء متعارضة وكلها باطلة لا يصح شئ منها . وقد ساق ابن عساکر هذا الحديث من طريق أخرى واعترف بضعفها وهذا عجب منه كيف تكلم عليه فانه أورده من طريق حسين بن عرفة عن هاتئ بن الحسن عن بقية عن الاوزاعى عن مكحول عن وائلة عن ابن الاسقع فذكر نحو هذا مطولا وفيه أن ذلك كان فى غزوة تبوك وأنه بعث اليه رسول الله (ص) أنس بن مالك وحذيفة بن اليمان قالا فاذا هو أعلى جسما بذراعين أو ثلاثة واعتذر بدم قدرته لثلاث تنفر الابل وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله (ص) أكلا من طعام الجنة وقال إن لى فى كل أربعين يوما أكلة وفى المائدة خبز ورمان وعنب وموز ورطب وبقل ما عدا الكراث وفيه أن رسول الله (ص) سأله عن الخضر فقال عهدى به عام أول وقال لى إنك ستلقاه قبلى فأقرئه منى السلام . وهذا يدل على أن الخضر

والياس بتقدير وجودهما وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى ستة تسع من الهجرة وهذا لا يسوغ شرعاً وهذا موضوع أيضاً . وقد أورد ابن عساكر طرقاً فيمن اجتمع بالياس من العباد وكلها لا يفرح بها لضعف إسنادها أو لجهالة المسند اليه فيها * ومن أحسنها ما قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني بشر بن معاذ حدثنا حماد بن واقد عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة فدخلت حائطا أصلى فيه ركعتين فافتحت (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) . فإذا رجل من خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال لي إذا قلت غافر الذنب قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي * وإذا قلت قابل التوب قل يا قابل التوب تقبل توبتي . وإذا قلت شديد العقاب قل يا شديد العقاب لاتعاقبني . وإذا قلت ذي الطول قل يا ذا الطول تطول علي برحمة فالتفت فإذا لأحد وخرجت فسألت من بكم رجل على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية قالوا ما سر بنا أحد فكانوا لا يرون إلا أنه الياس . وقوله تعالى . (فكذبوه فلقهم لمحضرون) أي للعذاب إما في الدنيا والآخرة أو في الآخرة والأول أظهر على ما ذكره المفسرون والمؤرخون . (وقوله إلا عباد الله المخلصين) أي إلا من آمن منهم وقوله (وتركنا عليه في الآخرين) أي ابقينا بعمده ذكرًا حسنًا له في العالمين فلا يذكر إلا بخير ولهذا قال (سلام على الياسين) أي سلام على الياس . العرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا اسماعيل واسماعيل واسرائيل واسرائين والياسين . ومن قرأ سلام على آل ياسين أي على آل محمد وقرأ ابن مسعود وغيره سلام على ادراسين . وقل عنه من طريق اسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس واليه ذهب الضحاك بن مزاحم وحكاه قتادة ومحمد بن اسحاق والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم . *



بحمد الله تعالى قد تم الجزء الاول من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثاني وأوله
(ذكر جماعة من أنبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام)

فهرست الجزء الاول

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٥٥ - باب خلق الجن وقصة الشيطان	٣ - المؤلف والكتاب
٦٨ - باب خلق آدم عليه السلام	٤ - المنهاج في تأليف الكتاب
٨١ - احتجاج آدم وموسى عليها السلام	٨ - فصل
٨٥ - الاحاديث الواردة في خلق آدم	٩ - فصل
٩٢ - قصة قابيل وهابيل	١٣ - واما الكرسي
٩٨ - وفاة آدم ووصيته الى ابنه شيث	١٤ - ذكر اللوح المحفوظ
٩٩ - ادريس عليه السلام	١٥ - ماورد في خلق السموات والارض وما بينها
١٠٠ - قصة نوح عليه السلام	١٨ - ما جاء في سبع ارضين
١١٨ - ذكر شيء من اخبار نوح عليه السلام	٢٢ - فصل في البحار والأنهار
١١٨ - صومه عليه السلام	٢٨ - فصل
١١٩ - حجه عليه السلام	٢٩ - ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيها
١١٩ - وصيته لولده	من الآيات
١٢٠ - قصة هود عليه السلام	أ - الاجماع على ان السموات مستديرة
١٣٠ - قصة صالح نبي ثمود عليه السلام	ب - حديث سب الدهر
١٣٧ - ذكر أبي رغال من بني ثمود	ج - اليونانيون ودمشق
١٣٨ - مرور النبي بوادي الحجر	د - هاروت وماروت
من أرض ثمود عام تبوك	٣٨ - المجرة وقوس قزح
١٣٩ - قصة ابراهيم خليل الرحمن	٤٠ - باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم
١٤٧ - ذكر مناظرة ابراهيم الخليل مع من ادعى الربوبية وهو احد العبيد الضعفاء	٤٩ - فصل
	٥٤ - فصل

صفحة .

١٤٩ - هجرة الخليل الى بلاد الشام ثم الديار المصرية واستقراره في الارض المقدسة

١٥٣ - ذكر مولد اسماعيل آمن هاجر

١٥٤ - ذكر مهاجرة ابراهيم بابنه اسماعيل وامه الى جبال فاران وهي ارض مكة وبناء البيت العتيق

١٥٧ - قصة الذبيح

١٦٠ - مولد اسحاق

١٦٣ - بناء البيت العتيق

١٦٦ - ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على عبده وخليه ابراهيم .

١٧٢ - قصره في الجنة

١٧٣ - صفة ابراهيم عليه السلام

١٧٣ - وفاة ابراهيم وما قيل في عمره

١٧٥ - ذكر اولاد ابراهيم الخليل

١٨٣ - قصة مدّين قوم شعيب عليه السلام

١٩١ - باب ذرية ابراهيم

١٩١ - اسماعيل عليه السلام

١٩٣ - اسحاق بن ابراهيم عليها الصلاة والتسليم

(١٩٧) - ما وقع من الامور المعجبة في حياة اسرائيل .

٢٢٠ - قصة نبي الله ايوب

٢٢٥ - قصة ذي الكفل

٢٢٧ - باب ذكر أم اهلكوا بعامة

٢٢٩ - قصة قوم يس وهم اصحاب القرية

صفحة .

٢٣١ - قصة يونس

٢٣٦ - فضل يونس

٢٣٧ - قصة موسى الكليم

٢٥٩ - فصل

٢٦٨ - هلاك فرعون وجنوده

٢٧٤ - امر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون

(٢٨٠) - دخول بني اسرائيل التيه وما

فيه من الامور المعجبة

٢٨٣ - سؤال الرؤية

٢٨٦ - قصة عبادتهم العجل في غيبة كليم الله عنهم

٢٩٢ - حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان

٢٩٣ - قصة بقرة بني اسرائيل

٢٩٥ - قصة موسى والخضر عليها السلام

٣٠٠ - حديث الفتون المتضمن قصة موسى مفصلا

من اولها الى آخرها

٣٠٧ - بناء قبة الزمان

٣٠٩ - قصة قارون مع موسى عليه السلام

٣١٢ - باب فضائل موسى عليه السلام وشماله

وصفاته ووفاته

٣١٦ - حجته عليه السلام الى البيت العتيق

٣١٦ - وفاته عليه السلام

٣١٩ - نبوة يوشع وقيامه بأعباء بني اسرائيل بعد

موسى وهارون . (الاسباط - بلعام -

وفاته موسى وهارون - فتح اريحا)

صفحة	صفحة
٣٣٧ - واما الياس عليه السلام	٣٢٥ - قصتنا الحضر والياس عليها السلام
٣٤٠ - فهرست الجزء الاول	٣٢٦ - ذكر الاختلاف في اسم الحضر ونسبه وزمن وجوده ونبوته ، وحياته الى الآن ، مفصلا





جميع الحقوق محفوظة

للمنشر

مكتبة المصنف
بيروت